الصحافة الاستقصائية

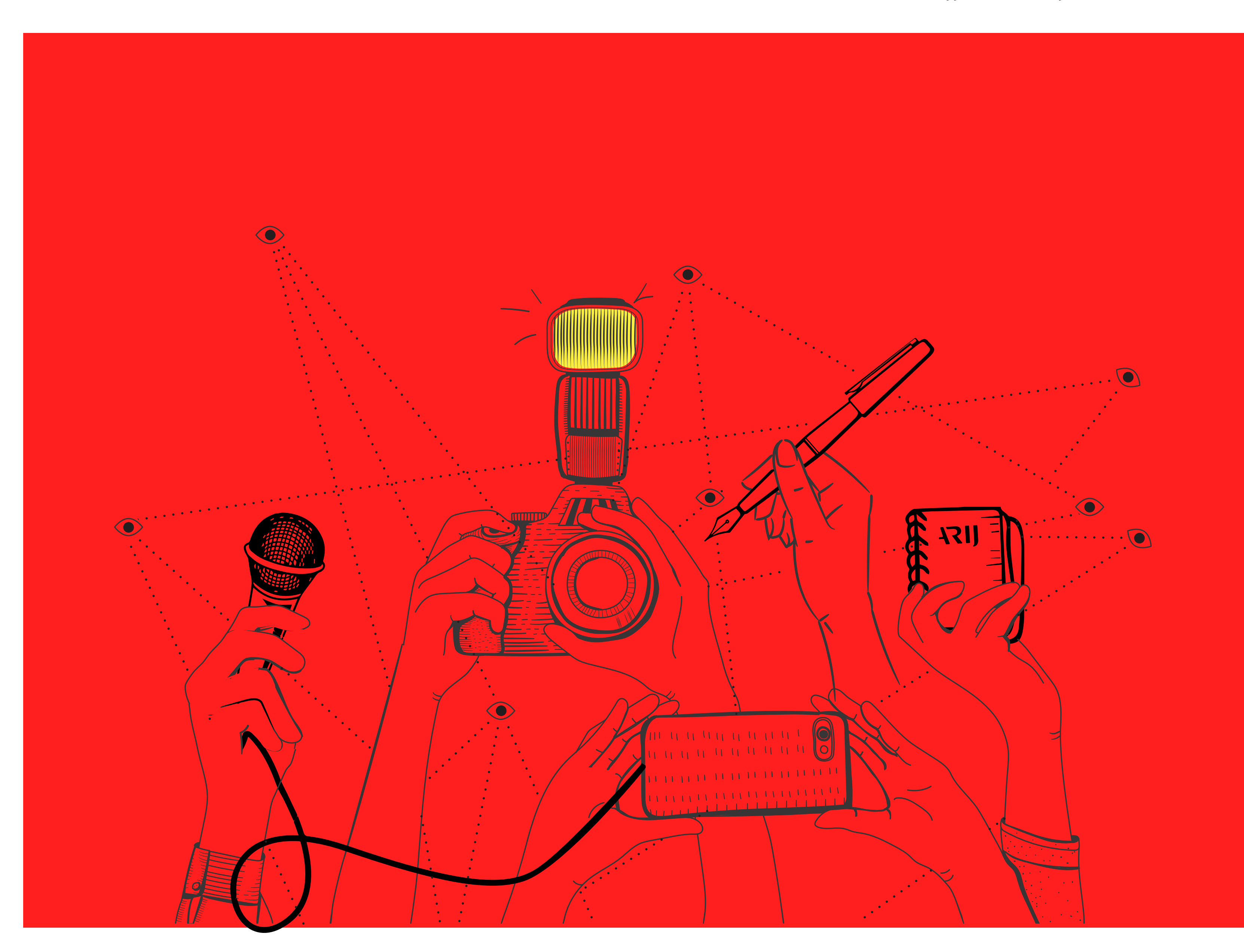
الحديثة

منهاج شامل حسب معايير أريج

تأليف:

مارك لي هانتر

لوك سينجيرز



الصحافة الاستقصائية

الحديثة

منهاج شامل حسب معايير أريج



Friedrich Naumann STIFTUNG FÜR DIE FREIHEIT
Friedrich Naumann Foundation for Freedom
مؤسسة فريدريش ناومان من أجل الحرية

www.arij.net

تأليف:
مارك لي هانتر
لوك سينجيرز

ترجمة و تحرير:
يحيى غانم
سعد حتر
محمد فاضل العبيدلي

التدقيق اللغوي:
رنا الصباغ
عبدالكريم الهندي

صمم الكتاب: Plexable
www.plexable.com

يعتبر منهاج "أريج" الجامعي دليلا عمليا استثنائيا للطلبة الذين يتأهبون لخوض غمار العمل في الميدان. وهو يعد كذلك مرجعا جوهريا للأساتذة الذين يدرسون الصحفيين، ومنهم أولئك الذين يرغبون في أن يصبحوا صحفيين استقصائيين، كيف يبحثون عن الحقيقة ويعرضونها بأفضل الوسائل الاحترافية.

بيسان الشيخ، صحفية ومحررة لبنانية مستقلة، قامت بتدريس منهاج أريج الجامعي للصحافة الاستقصائية في الجامعة الأميركية اللبنانية عام ٢٠١٥ أثناء فترة فحص المنهاج.

"قمنا نحن في جامعة الأهرام الكندية حتى الآن بتدريس منهاج أريج الجامعي لفصول الربيع الدراسية الثلاثة ضمن فترة الفحص التجريبي لمنهاج أريج الجامعي وبالتعاون مع شركاء الشبكة. لقد كان ربط الجوانب العملية والنظرية بالنسبة لنا نقلة رائعة. وقد أتيحت الفرصة لأعضاء هيئتنا التدريسية بإشراف الدكتور مارك هنتر لمشاركة تجاربهم، معززة بنماذج عملية ومحلية. وقد استعنا خلال الفصلين السابقين بصحفيي أريج كمدربين في هذه الدورة".

الأستاذة الدكتورة إيناس محمد أبو يوسف، عميدة كلية الاتصال الجماهيري، جامعة الأهرام الكندية

"يقوم دليل أريج بجسر الهوة بين الصحفيين الاستقصائيين والأكاديميين. أما الصحفيون فلديهم خبرة ميدانية ولكنهم لا يقومون بالتدريس، بينما يقوم الأكاديميون بالتدريس ولكنهم نادرا ما يقومون بالاستقصاء. لذا يحقق هذا الدليل أفضل فائدة لكلا الطرفين. فهو يجعل منك محاضرا متميز لتعليم الصحافة الاستقصائية
بما يحتويه من الأسس والنظريات والموارد والنماذج المتاحة".

الأستاذة الدكتورة ياسمين دبوس، وقد قامت بتدريس منهاج أريج في عام ٢٠١٤ في الجامعة الأميركية اللبنانية. كذلك انضمت الدكتورة دبوس إلى الدكتور هنتر في تدريس أساتذة الإعلام في الجامعات العربية كيفية استخدام المنهاج أثناء فترة التدريس التجريبي.

مقدمة

تحية من القلب

نأمل أن يستفيد كل أستاذ/ة من هذا المنهاج الذي يعنى بكيفية تدريس مساق الصحافة الاستقصائية في كليات الصحافة والإعلام في دولنا العربية والتي تسعى لمواكبة تطور هذا النوع من العمل الصحفي وتهيئة جيل جديد من الإعلاميين العرب، يقدر أهداف "صحافة العمق" أو "صحافة المساءلة" التي تقع في صلب عمل "السلطة الرابعة".

جاءت فكرة هذا المنهاج بعد عقد شبكة "إعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية" – (أريج) عددا من الورشات التدريبية والحلقات النقاشية لأساتذة الجامعات العربية ممن اتصلوا بالشبكة خلال السنوات الست الماضية لأنهم تأثروا بطريقة إيجابية جدا بعد قراءتهم "على درب الحقيقة" دليل "أريج" للصحافة الاستقصائية العربية، وهو منهاج أريج المعتمد لتدريب الصحفيين العرب على أسس صحافة الاستقصاء منذ إطلاقه بدعم من منظمة اليونيسكو العالمية العام ٢٠٠٨.
اليوم دليل أريج "على درب الحقيقة" متاح بعدة لغات: الإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والصينية والكردية وغيرها من اللغات.

خلال السنوات الماضية،اتصل بنا عدد من الأساتذة طالبين دعمهم لتطوير منهاج يطبقونه في كلياتهم ضمن برامج البكالوريوس أو الماجستير. وقد نوهوا بأنهم استمدوا الإلهام من تجربة أريج بعد أن شاركوا معنا في ورشات أو تابعوا التحقيقات التي نشرت عبر موقع الشبكة عن العالم العربي الذي يعتبر الأصعب والأخطر لممارسي الصحافة حول العالم، بحسب تقارير كل المنظمات العربية والدولية المعنية بمقاييس إحترام حرية الرأي والتعبير والصحافة المستقلة، والتي تعتبر من أركان دول المواطنة والقانون وفصل السلطات.

وفي نفس الوقت، عبروا أيضا عن رهبتهم إزاء تدريس صحافة الاستقصاء لأنهم، وبخلاف العديد من زملائهم الغربيين، لم يسبق لهم أن مارسوا هذه العملية على أرض الواقع قبل أن يتحولوا إلى العالم الأكاديمي، كما حصل لمؤلف دليل أريج على "درب الحقيقة" د. مارك لي هنتر، الذي ساعد مشكورا في إعداد الدليل، ومن بعده أول منهاج عربي لتدريس الصحافة الاستقصائية في كليات الإعلام.
في المساق تجدون شرحا مفصلا مع أمثلة لطرحها على الطلاب، وطرقا لتكليفهم بواجبات صفية تساعدكم على اختبار فهمهم وقدراتهم، لأن هذا الضرب من العمل الاستقصائي نادر بين معشر الصحافيين حول العالم لصعوبته ولحاجته إلى الوقت والجهد والتركيز والتنظيم والشجاعة والثقافة القانونية العالية مدعومة بأفضل الممارسات المهنية والأخلاقية.

بعد أربع سنوات من قيام بعض أساتذة الإعلام بتدريس المنهاج الأكاديمي بصورة تجريبية، قاموا هم وطلابهم بتزويدنا بتقييمهم للتجربة، وخرجنا بنتيجة أن الوثيقة سهلة ورائعة ومفيدة وضرورية لمن يسعى للتطوير والتفكير خارج الصندوق. وقد قرر مجلس إدارة شبكة "أريج" إتاحة هذا المساق الأكاديمي للجميع مجانا عبر موقع الشبكة إيمانا منهم بأهمية تعزيز ثقافة الاستقصاء في العالم العربي على أسس علمية وعملية واضحة بعد أن نجحت أريج في تطبيق دليل "على درب الحقيقة" على مئات الصحفيين العرب الشجعان ممن نفذوا تحقيقات، بدعم ورعاية الشبكة، ساهمت في تغيير الواقع نحو الأفضل. ودخلت (مؤسسة فريدريش ناومان من أجل الحرية) كداعم لتغطية تكاليف إنجاز وترجمة وتدقيق هذا المنهاج من باب إيمانها بأن الصحافة أحد مداميك الديمقراطية.

نتمنى أن يحقق هذا المنهاج الفائدة المرجوة، ونرحب بأية اقتراحات لتطويره مع مرور الزمن ومن خلال مراكمة الخبرات الأكاديمية العربية. وتؤكد شبكة أريج أنها على أتم الاستعداد للعمل يدا بيد مع أساتذة الجامعات ممن قرروا خوض هذه التجربة الرائعة في تدريس أسس صحافة الاستقصاء لطلابهم وطالباتهم لكي نراجع سوياً ما أنجز في هذه المرحلة والفرص الممكن تطويرها والبناء عليها. فالكمال للّه وحده.

رنا الصباغ

المديرة التنفيذية

شبكة أريج

عن أهمية الإبداع والفضول والنقد – مساهمة شبكة أريج في الحرية

القارئ العزيز،
عام ١٩٦٤، أطلقت "مؤسسة فريدريش ناومان لأجل الحرية (FNF)" مشروعها الدولي الأول الذي تَمَثّل بأكاديمية تدريب للصحافيين في تونس، استضافها أول مكتب للمؤسسة خارج ألمانيا. واليوم، إذ تحتفل المؤسسة بعيد تأسيسها الستين، تستذكر تاريخها الحافل بالمشاريع الناجحة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والذي يظهر التزاماً لا مساومة فيه تجاه حرية التعبير وحرية الصحافة؛ وهما مقوّمان أساسيان لأي مجتمع حر وديمقراطية فعالة.

وفي هذا السياق، أود التعبير عن خالص امتناني لكافة أفراد فريق شبكة أريج، وأخص بالذكر المؤسّسة والمديرة التنفيذية رنا الصباغ، وذلك على ما يجمعنا من تعاون مثمر وشراكة ثمينة. كلّنا فخر بأن نساهم في هذا المنهج الجامعي المخصص للأساتذة والمحاضرين، ويسرنا استغلال هذه الفرصة للإعلان عن تأسيسنا شراكة "حرية الصحافة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا".

ستركز الشراكة في بدايتها على استضافة عددٍ من ورشات العمل المختصة بالصحافة الاستقصائية وحقوق الإنسان، بالإضافة إلى إعداد ورقات سياسة عامة تتناول مواضيع مثل حرية المعلومات وقانون مكافحة الجرائم الإلكترونية. نثق بأن هذه الخطوة ستقدم مساهمة تفيد بتطوير مجتمعات حرة ومنفتحة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، حيث يكون الصحافيون والجهات التي يمثلونها قادرين على العمل دون رقابة أو قمع أو خوف مستمر على حياتهم.

نعتبر العمل الذي تقدمه أريج معلما على المسار الحاسم نحو حرية التعبير وحرية الإعلام في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وتقديراً لعملها المهم، حصلت أريج حديثا على "جائزة رائف بدوي للصحافيين الشجعان".

وتحوز أريج قصب السبق حين يتعلق الأمر بتشجيع الصحافيين المستقلين العرب. تروّج الشبكة للصحافة الاستقصائية في العالم العربي عبر تمويل المشاريع المميزة والصحافيين المميزين، بالإضافة إلى تقديم التدريب والتوجيه، بل وحتى الدعم القانوني. وهذا ما يجعل أريج صاحبة دور أساسي في منح صحافيي المنطقة منصة لأعمالهم والأدوات اللازمة لتطبيق أفكارهم على أرض الواقع.

هذا المُؤَلّف خيرُ مثالٍ على رؤية أريج، إذ يتّسمُ "المنهج النموذجي لمساق تمهيدي في الصحافة الاستقصائية في الجامعات العربية" بالتفرّد والتميّز، وهو مُصَمَّم لتعليم طلاب الجامعات الصحافة الاستقصائية كمفهومٍ ومُمارَسة على حد سواء. يُتوَقَّع من المشاركين في المساق تطوير وتنفيذ مشروعٍ يتناول قصة استقصائية، الأمر الذي سيساعد على تعميق الفهم لدور الصحافة كمصدر معلومات بالغ الأهمية لكافة المواطنين، باعتبارها أحد أشكال الخدمة العامة للمجتمع، إن جاز التعبير. يعمل المنهج أيضاً على توعية الطلاب تجاه أهمية وفائدة المصادر الرقمية المفتوحة. والهدفٍ هو إرساء تقليد الموارد المشتركة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بما يدعم الهدف العام المتمثل في تحسين نوعية الصحافة في المنطقة.

نحـن بأشـد الحاجـة إلـى مبـادرات مـن هـذه النوعيـة فـي زماننـا هـذا. الصحافـة فـي أزمـة علـى مسـتوى العالـم، فالملكيـة الفكريـة مقوّضـة ومعاييـر الجودة فـي انحـدار. ثمـة مصـادر تهديـد أخرى أكثـر تهديـدا تنبـع مـن ظروف سياسـية واجتماعيـة فـي مختلـف أنحـاء العالـم. فعلـى سـبيل المثـال، انخفـض الاهتمـام بالصحافـة المطبوعـة فـي الغـرب بشـكل مهـول، أمّـا مصـادر الإنترنـت فقـد زادت شـعبيتها، والتـي رغـم أنّهـا أكثـر متابعـة لمجريات الأمـور إلاّ أنّهـا تقـدّم تحليـلات سـطحية مجـرّدة مـن أيّ سـياق أو ارتبـاط أساسـي بالموضـوع المطـروح.

أنمـاط الاسـتهلاك الإعلامـي فـي تغيّـر مسـتمر أيضـاً، فالنـاس يسـعون وراء اسـتيعاب كـمّ كبيـر مـن المعلومـات المقتضبـة بأسـرع وقـت ممكـن. وفـي محاولـة مسـتميتة للوصـول للمزيـد مـن القـرّاء، غالبـا مـا تختـار الصحـف المطبوعـة، حتـى الشـهير منهـا، تقليـل النصـوص وتكبيـر الصـور فـي حيـن تسـعى لخفـض التكلفـة وتعزيـز حضورهـا علـى وسـائط التواصـل الاجتماعـي. ونتيجـة لذلـك، تخلّـت الصحافـة عـن طموحاتهـا الفكرية وخسـرت الصحـف هويّاتهـا التي كانت تميّـزها.

وتمثـل المصداقيـة قضيـة كبيـرة أخـرى بالنسـبة إلـى الصحافييـن والعامليـن فـي مجـال الإعـلام علـى مسـتوى العالـم، حسـبما يظهـر فـي الجـدل حـول مـا يسـمى "الأخبـار المزيفـة". فـي زمـن توجـه فيـه اتهامـات، حتـى مـن رؤسـاء دول، إلـى مصـادر إعلاميـة مسـتقلة رفيعـة الشـأن بالكـذب وتقديـم أدلـة زائفـة، يجـد الصحافيـون أنفسـهم فـي الغالـب فـي موقـف الدفـاع ليـس عـن نزاهتهـم وموثوقيتهـم فحسـب بـل وأيضـا عـن وجودهـم. رغـم أن التدقيـق فـي الوقائـع والقصـص الإخباريـة لا يـزال دون شـك جـزءاً لا يتجـزأ مـن الصحافـة، إلا أنّ الجـدل القائـم حـول "الأخبـار المزيفـة" خلـق جـواً عامـاً مـن انعـدام الثقـة بـل وحتـى العدائيـة تجـاه الصحافييـن، أولئـك الذيـن يُفتَـرض أن يكـون دورهـم خدمـة المجتمـع عبـر التدقيـق بقـوة فـي أداء الحكومـة وممثليهـا.

لا شـك فـي أن الصحافييـن فـي منطقـة الشـرق الأوسـط وشـمال أفريقيـا عرضـة لتحديـات أكبـر شـأناً وأكثـر وضوحـاً. أول هـذه التحديـات وأهمهـا هـو الرقابـة والقمـع الحكومـي. بحسـب "مؤشـر حريـة الصحافـة فـي العالـم لعـام ٢٠١٨"، يواجـه الصحافيـون فـي الشـرق الأوسـط وشـمال أفريقيـا الاضطهـاد. يـؤدي انتقـاد الدولـة أو السـلطات التابعـة لهـا فـي الغالـب لمحاكمـات تعسـفية وعقوبـات علـى مـدى سـنوات، فالصحافيـون يعتبـرون أعـداء الدولـة بـل ويتهمـون أحيانـا بالانخـراط فـي نشـاطات إرهابيـة لمجـرد قيامهـم بعملهـم.

لهـذا السـبب، تجهيـز الصحافييـن بـالأدوات اللازمـة للصحافـة الاسـتقصائية يعـزز حريـة الصحافـة وحريـة التعبيـر فـي المنطقـة، ويدعـم أيضـا ركيـزة أساسـية للديمقراطيـة مـن خـلال التدقيـق فـي عمـل الحكومـة. قـد تتـراوح أدوار الصحافييـن بيـن مجـرد توفيـر المعلومـات وسـرد قصـص تثيـر تبعـات غيـر متوقعـة علـى مسـتويات عديـدة. لهـذا السـبب، تسـتلزم الصحافـة الاسـتقصائية مسـؤولية عظمـى فـي حيـن توفـر أيضـا الفرصـة الفريـدة لتغييـر رأي النـاس وإحـداث فرقٍ فـي العالـم.

فـي عالـم يتزايـد فيـه العنـف والقمـع والشـك تجـاه الصحافييـن، تلعـب الصحافـة الاسـتقصائية دوراً أساسـياً فـي مُسـاءلة الجهـات الحكوميـة. وهـي تصبـح مصـدر معلومـات بديـلا للإعـلام الحكومـي أو الموالـي للحكومـة. خَلْقُ الشـفافية مـن خـلال إعـلام المواطنيـن، وبالتالـي تمكينهـم مـن تكويـن آرائهـم الخاصـة، لهـو واحـد مـن أهـم آليـات ديمقراطيـة ناجحـة ومزدهـرة.

لا تقتصـر الصحافـة علـى نقـل المعلومـات، بـل إنهـا تعمـل أيضـاً كأداة تعليميـة تـروّج لتثقيـف المواطنيـن وتوعيتهـم، وهـو مـا يمثـل العمـود الفقـري لأي ديمقراطيـة. ليـس بالإمـكان ضمـان وحمايـة سـيادة القانـون مـا لـم تـكن أفعـال الدولـة شـفافة أمـام مواطنيهـا.

سأختم بمقولة لواحدٍ من أبرز السياسيين الليبراليين الألمان، رالف داريندورف (١٩٢٩ – ٢٠٠٩)، الرئيس السابق لمجلس إدارة "مؤسسة فريدريش ناومان لأجل الحرية": "المثقّفون مهرّجون في نظر المجتمع المعاصر، وقد صاروا مجبرين على التشكيك في كل ما لم يخضع للتشكيك والاندهاش تجاه كل ما يبدو طبيعياً والتساؤل النقدي للسلطة بكل أنواعها وطرح كل الأسئلة التي لا يتجرأ غيرهم على طرحها." هذه هي روح الإبداع والفضول والنقد التي تميز عمل أريج والتي من الواجب الاعتزاز بها والحفاظ عليها في عالم الصحافة والإعلام في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. فلنأمل أن نكون نقترب خطوة واحدة من فتح مجتمعات لا يعتبر فيها الإعلام والصحافيون العدو بل حليفاً قيّماً ومدافعاً عن المجتمع الحر والديمقراطية الفعالة.

د. رينيه كلاف
رئيس الإدارة الدولية
مؤسسة فريدريش ناومان لأجل الحرية

الفهرس

منهاج نموذجي لمساق تمهيدي عن
الصحافة الاستقصائية في الجامعات العربية
(فصل دراسي واحد، ٣٧.٥ ساعة معتمدة)

١. الهدف من المنهاج

كان من الشائع خلال حياتنا أن نسمع مقولة أن الصحافة لا يمكن أن تُدرَّس، كنا نسمع هذه المقولة حتى من أساتذة الصحافة. فالصحافة، حسب هذه المقولة، يمكن أن يتم تعلمها من خلال الممارسة العملية فقط. كان هذا هراءً، فأي نشاط فكري يمكن أن يتم تعلمه إذا لم يكن الأستاذ والطلاب مؤمنين بذلك.
وكان من الشائع أن نسمع الصحافيين والأساتذة يقولون إن الصحافة الاستقصائية هي نفسها "الصحافة القديمة الجيدة"، التي تمارس كما يجب. استندت هذه المقولة إلى حد كبير إلى رغبة الصحافيين الاستقصائيين في تشجيع الصحافيين الآخرين على الحذو حذوهم. والحقيقة هي أن الصحافة الاستقصائية تحتاج إلى مهارات ومواقف لا يتعلمها معظم الصحافيين أبدا كما يقول جون أولمان في كتابه الرائع "دليل الصحفي".[١]

ومع ذلك فإن معظم الصحافيين يستطيعون أن ينجحوا في العمل الاستقصائي إذا ما تزودوا بالطرق المناسبة والرغبة في استخدامها. وقد صممنا هذا المساق ليوفر كلا الأمرين.

اتخذنا طريقة واحدة لتعليم الصحافة الاستقصائية. فنحن نُدخل مراجع للأدب الأكاديمي وأفكارا تعليمية (اقتراحات) لكل جلسة. ويمكن أن تستخدم الملحوظات التعليمية دليلاً للأساتذة الذين لم يدرّسوا هذه المادة من قبل. كما يمكن أن تستخدم المراجع دليلاً لمن يرغب في المزيد من الدراسة والبحث. وتشمل المراجع كراسات مجانية أو زهيدة الثمن قمنا بكتابتها طيلة السنوات الخمس الماضية، بما فيها دليل الممارسة، ومختارات من القصص الاستقصائية مع كلمات ختامية من مؤلفيها وكراسات تهدف إلى معرفة الطرق المتقدمة في الاستقصاء. وقد تمت كتابة هذه المواد خصيصا لتوفير نصوص تأسيسية للأساتذة، ولذلك فستحل محلها كتب أخرى في المستقبل. أما في الوقت الحالي فنعتقد أن هذه الكتب ستكون مفيدة لكم.

[١] دليل الصحافي: دليل المحقق إلى الوثائق والأساليب.مطبعة سانت مارتن، ١٩٨٣

نحـن نعطيكـم هنـا نقطـة تبـدأون منهـا؛ أمـا النقطـة التـي تنتهـون إليهـا فتعتمـد علـى إلهامكـم وبصيرتكـم وشغفكم بالموضـوع. قـد تسـتخدمون، أو لا تسـتخدمون، أو تعدلـون أي جـزء مـن هـذه المادة أو كلهـا لتناسـب اهتماماتكـم ومصالحكـم ونقـاط قوتكـم كأسـاتذة. بعـد أن أوضحنـا هـذه الأمـور، نسـتطيع أن نضمـن أنكـم تسـتطيعون، باسـتخدام هـذه المـادة، التعامـل مـع الاهتمامـات والمخـاوف الرئيسـية لطلابكـم. نسـتطيع أن نضمـن هـذا لكـم لأننـا درّسـناها بنجـاح لطـلاب البكالوريـوس والصحافييـن فـي فرنسـا والمملكـة المتحـدة والولايـات المتحـدة والبرازيـل والصيـن وتونـس وهولنـدا وبلجيـكا والنرويج والعـراق ومصـر والسـنغال والكاميـرون وسـاحل العـاج وجنـوب إفريقيـا وأوكرانيـا ودول وأقاليم أخرى. هـذه مادة قوية يمـكنكـم أن تستفيـدوا منـها.

١ – أولئـك الحاصليـن علـى تدريـب أكاديمـي ولكنهـم بـلا خبـرة، أو لديهـم خبـرة قليلـة، فـي العمـل الصحافي المتعمق والكتابة والتحرير.

٢ – وأولئـك الذيـن يتمتعـون بخبـرة عمليـة ولكـن تدريبهـم الأكاديمـي محـدود ويدرّسـون الصحافـة الاستقصائية بشـكل قصـصي.

الفئـة الأولى معروفـة بشـكل خـاص فـي العالـم النامـي. فقـد كان مـن المسـتحيل عملياً علـى الصحافييـن المهنييـن فـي العديـد مـن الـدول التـي تحـررت مؤخـراً مـن الحكـم السـلطوي أن يمارسـوا الصحافـة الاستقصائية. ولهذا فالمعلمون لديهم معرفة نظرية فقط بالصحافة الاستقصائية.

وهـذه مشـكلة حتـى فـي الـدول التـي أصبحـت فيهـا الصحافـة الاسـتقصائية ممارسـة راسـخة، حيـث يمـكننـا وبـكل تجـرد أن نـصـف التدريـس فـي مسـتويات البكالوريـوس والماجسـتير بأنـه ضعيـف مـن منظـور أكاديمـي فـي معظـم الحـالات. وتـصل نتائـج هـذا الضعـف إلـى مـا هـو أكثـر مـن مجـرد الفشـل فـي الوصـول إلـى معرفـة مفيـدة وذات قيمـة. فالطـلاب يتعلمـون عـادة الطـرق الشـخصية التـي نجحـت مـع معلمهـم الـذي يمتلـك تجربـة عمليـة بشـكل أو بآخـر. وقـد تعكـس هـذه الطـرق الممارسـة الفضلـى أو لا تعكسـها. كمـا أنهـا لا تعكـس دائمـا، بـل ولا حتـى غالبـا، معرفـة عميقـة بتاريـخ ممارسـات الصحافـة الاسـتقصائية، أقلها لأن هذا التاريخ لم يكتب قط في أماكن متعددة.

ليسـت هـذه بالقضيـة البسـيطة إذا مـا حكـم المـرء عليهـا بحقيقـة أن الصحفييـن الذيـن يعرفـون تاريـخ العمـل الاسـتقصائي كانـوا مسـؤولين عـن تطـورات كبيـرة فـي عصرنـا. نحـن الآن فـي لحظـة سـيغادرنا فيهـا قريبـا الصحافيـون الممارسـون التاريخيـون، وبشـكل خـاص أولئـك المسـؤولون عـن حقبـة فضيحـة "ووترغيـت". فإذا لـم نفسـر تاريخهـم ونشـرحه سيعاني طلابنـا بالتأكيـد مـن المهمـة الشـاقة لإحيائـه وهـم يجهلونـه.

عالج إصدار اليونسكو "مناهج نموذجية لتعليم الصحافة" الصادر في ٢٠٠٧ [٢] هذا الوضع جزئياً. ففي منهاج لمساق "الصحافة العميقة"، تحدثت ايفون ت. شوا، وهي صحافية استقصائية من الطراز الأول، بشكل جيد عن جوانب المهنة المختلفة التي يجب تغطيتها في مساق تمهيدي. ولكنها قدمت القليل من الإرشادات للأساتذة الذين يفتقدون للتجربة العملية، ولا يوجد أية ملاحظات للتعليم في مناهجها، والسبب بالتأكيد يعود إلى ضيق المساحة. زد على ذلك أن تركيزها على الممارسة يستبعد دراسة الصحافة الاستقصائية كنشاط اقتصادي وسياسي. وسنتحدث لاحقا عن هذه النقطة بشكل أكبر.

الفجوة بين الأكاديميين وممارسي الصحافة هي أمر ثابت في تعليم الصحافة؛ وقد شهدتها شخصياً في كليات التجارة وفي الجامعات. وشعوري الشخصي هو أن من المفيد لممارس الصحافة أن يتعلم طريقة تفكير الأكاديميين وأن يقدر القوة والعمق اللذين يميزان أفضل أعمالهم. كما أن من المفيد للأكاديميين أن ينتجوا مصادر يحتاجها ممارسو الصحافة، وهذا المنهاج يطلب منهم أن يتولوا هذه المهمة وخاصة من خلال البحث في المصادر المفتوحة ونماذج الصحافة الاستقصائية في الأقاليم التي كانت غائبة تماما أو بشكل كبير حتى الآن عن الأدب الأكاديمي.

لا شيء يبدأ من لا شيء، ولكن هناك فجوة كبيرة في معرفتنا عن "من أين تبدأ الصحافة الاستقصائية في معظم أنحاء العالم". ولهذا السبب أسسنا حججنا الأكاديمية بشكل كبير على أكثر القواعد المعرفية عمقاً وتوفراً في هذا الحقل، ألا وهي من الولايات المتحدة. المراجع ليست بالضرورة كاملة، وفي التحديثات القادمة سنعلن بالاسم عن الأكاديميين الذين يزودوننا بمزيد من المراجع والرؤى التي يمكن أن تضيف إلى الكتاب. فلنفكّر الآن بابتكار رئيسي لهذا الكتاب، ألا وهو تركيزه على العناصر التي تحدد استدامة الصحافة الاستقصائية كفن وكقوة اجتماعية وكمشروع اقتصادي.

١. تدريس الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للصحافة الاستقصائية

لسنا على علم بأي مساق من فصل واحد يُعطى فيه الطلاب مدخلاً شمولياً للصحافة الاستقصائية، بما في ذلك الجوانب الرئيسية لتاريخها، وجمالياتها، وأخلاقياتها ونماذجها الاقتصادية. هذا سهو خطير من منظور مسيرتهم المهنية. فغالبا ما يجدون أنفسهم مضطرين لإقناع المسؤولين عنهم في مؤسساتهم بالسماح لهم بإجراء تحقيق لأنهم (أي المسؤولين) لم يمارسوا قط عملا استقصائياً بأنفسهم. وعليهم دائما أن يفسروا ما يفعلون لجمهور يرى أن عملهم خطير، كما فعل الصحافيون الاستقصائيون في فرنسا في ثمانينيات القرن الماضي [٣]. ولهذا علينا تزويد طلابنا بحجج يستطيعون التعليق عليها واستكشافها وتكييفها لأغراض مشاريعهم الخاصة.

[٢] أنظر: اليونسكو، "مناهج نموذجية لتعليم الصحافة في الدول النامية والديموقراطيات الناشئة"، (٢٠٠٧).

[٣] مارك هنتر، الصحافة الاستقصائية في الولايات المتحدة وفرنسا، المطابع الجامعية لفرنسا، ١٩٩٧.

يحكم تدريس الصحافة الاستقصائية كمشروع افتراضان رئيسيان: الأول هو أنها نوع من الخدمة العامة، وامتداداً لذلك فإن قيمتها الرئيسية هي اجتماعية بطبيعة الحال. والثاني هو أنها تهدف إلى إطلاع المواطنين عليها لكي يتخذوا قراراتهم الخاصة لا إلى فرض استنتاجاتها عليهم. ويمكن الاعتراض على كلا الافتراضين على أسس نظرية وعملية.

١. الصحافة الاستقصائية كمحرك لقيمة الفرد والمؤسسة

اقتراحنا الأول هو أن الاقتصاد يشكل جانباً مركزياً في الصحافة الاستقصائية، سواء كنا نعتبر عملنا ممارسة صحافية أو مشروعاً اقتصادياً. النتيجة الطبيعية هي أنه يجب إنتاج قيمة للصحافي وللوسيلة الإعلامية التي تنشر التحقيق الاستقصائي، وكذلك للجمهور، وإلا فلن يكون العمل مستداماً.

أحد الأسباب الكامنة وراء هذه الأفكار هي أنه خلال عقدين من تدريس الصحافة الاستقصائية على مستويات البكالوريوس والدراسات العليا والمستوى المهني، وجدنا شخصاً ما في كل مجموعة مشاركة يسألنا والآخرون يصغون بانتباه: "هل يستطيع هذا العمل أن يكون مصدر رزق لنا؟" الجواب هو نعم، إذا علمناهم كيف. فمهارات الصحافة الاستقصائية قيمة هائلة تضيف إلى المسيرة المهنية المستقبلية للطالب، وتحوز المادة الاستقصائية تقديراً عالياً في المؤسسات الإعلامية التي تستغلها استغلالاً صحيحاً. ليس هناك سبب لكي نكون خجولين أو غامضين بشأن هذا وخاصة في وقت لا يستطيع فيه معظم طلاب الصحافة إيجاد عمل بعد التخرج. فلكي نؤهلهم لمسيرتهم المهنية، علينا أن نناقش حرفة الصحافة، وكيف تنتج الصحافة الاستقصائية الموارد والأصول (المادية)، لا التكاليف فقط. نستطيع أن نريهم أنهم سيجدون دائما عملا إذا تعلموا كيف يستقصون ويحققون، إضافة إلى خلق قيمة اجتماعية لأنفسهم.

وهذا يقودنا إلى نقلة كبيرة في طبيعة الصحافة عموماً، والصحافة الاستقصائية خصوصاً: بزوغ مشاريع صحافية عابرة للحدود. فلم يعد صحيحاً أن "كل الصحافة هي شأن محلي". فالصحافة الاستقصائية تقود بشكل متزايد العناصر المحلية إلى إطار عالمي، وخلال هذه العملية تخلق جمهوراً عالميا للقصص الكبرى. لا تستطيع الصحافة التي تلبي المعايير المحلية فقط الوصول إلى هذا السوق العالمي. وفي السياق نفسه لا تستطيع التأثير في السجالات العالمية. علينا أن نفتح الباب، إذا كنا نأمل في تدريب طلابنا ليصلوا إلى أعلى المراتب في مهنهم - وإذا لم نكن نأمل ذلك فما الذي علينا فعله بالضبط لتعليم طلابنا مهارات ذات مستوى عالمي.

٢. الصحافة الاستقصائية كعامل للتغيير

المبرر الجوهري للتقرير الإخباري (الريبورتاج) الموضوعي هو أنه يمكّن المواطنين من بلورة آرائهم بعد تزويدهم بالحقائق. ولكن هذه الفكرة هي تطور حديث نسبيا. ففي التاريخ، مكن مفهوم الموضوعية الصحف الحزبية في الولايات الأمريكية في القرن التاسع عشر من الوصول إلى جمهور أوسع وغير حزبي. وبالتحديد، كانت الفضائح أو الجرائم المثيرة تعرض على أنها "موضوعية" أو تمثيل صادق للحياة المعاصرة.[٤] ولاحقاً، مكّن ادعاء الموضوعية الصحافيين الذين تولوا التحقيق في فضيحة "ووترغيت" من الادعاء بأنهم كانوا يعملون لما فيه المصلحة العامة ولا يسعون إلى تدمير رئيس منتخب لدوافع حزبية خاصة بهم فقط.

[٤] أنظر دان شيلر، الموضوعية والأخبار: الجمهور وازدهار الصحافة التجارية، فيلادلفيا: مطبعة جامعة فيلادلفيا، ١٩٨١.

وسواءً اعتبرنا الموضوعية مثالاً يمكن تحقيقه بالكامل أو لا، فإن الادعاء بعدم الحزبية التي دافعت عن الصحافة الاستقصائية في مرحلة ما بعد "ووترغيت" كانت صادقة. وما يزال هناك منظرون– صحافيون ممارسون بارزون يؤمنون بأن المهمة الأساسية للصحافة الاستقصائية هي تقديم معلومات غير منحازة تستطيع دعم قرارات المواطن، أمثال تشارلز لويس مؤسس "مركز النزاهة العامة"، وهي مؤسسة كبرى في تاريخ الصحافة الاستقصائية ومقرها الولايات المتحدة. وكانت حجة لويس التي كتبها في عدة مقالات عاملاً أساسياً في ظهور مراكز الصحافة الاستقصائية غير الربحية حول العالم [٥]، والتي سندرسها لاحقاً في هذا الفصل.

لكن هناك دائما حجة مضادة مفاهيمية وتجريبية: الصحافيون لا يقدمون الوقائع فقط. إنهم يروون قصصاً لما اكتشفوه، والقصص حسب تعريفها [٦] دائما ما تقود إلى المعنى.

معنى القصص الاستقصائية، على الأغلب دائما، هو أن هناك شيئا ما يجب أن يتغير. بكلمات أخرى، الصحافيون الاستقصائيون لا يقومون فقط بمجرد دعوة جمهورهم لاتخاذ قرار بشأن قضايا معينة، بل إنهم يقترحون، بشكل قوي ومباشر بدرجة أو بأخرى، ماهية القرار من خلال توثيق الحقائق وجمع المعلومات. إنهم يصدرون حكماً بما اكتشفوا، وإذا اكترثوا بالمجتمع فإنهم سيريدون لهذا الحكم أن يُتبع بالتأثير. هذه الرغبة مغروسة في الممارسة. وحتى الصحافيين الذين يدّعون الاحترام الكامل للحقوق الديموقراطية لجمهورهم سيقدمون طلبات للجوائز التي تشمل معاييرها ما إذا كان لقصصهم "نتائج".

ندرك، بأنه في العديد من الدول، متقدمة وغير متقدمة، يمكن أن تعمل هذه الرغبة كتصريح بالكذب. فالوظيفة الأصلية في أصول نشأة الصحف الناطقة بالانجليزية على الأقل كانت توطيد الأغراض الحزبية، وتلك الوظيفة الحزبية يمكن أن تُدعّم إما بتجاهل بعض الحقائق (في المصطلحات الحديثة، كما نقول بالعامية "لفها") أو بتزييف الحقائق. ولا يعتبر أي من هذه الإجراءات متوائما مع العمل الاستقصائي ذي المستوى العالمي. فالمستوى المهني الأعلى الذي نريد لطلابنا أن يتعلموه يتطلب أخذ كل الحقائق بالحسبان قبل التوصل إلى حكم. ولكنها تستطيع وهو ما يجب أن تتوصل إليه غالبا.

لا تحقق القصص الاستقصائية، بغض النظر عن درجة عمقها أو موضوعيتها، النتائج بالصدفة أو بمجرد عرضها. وكما أظهر بورتس وآخرون في عملهم الكلاسيكي "صحافة الغضب"، فإن مثل هذا النجاح يتطلب إما حشد الغضب الشعبي أو بناء التحالفات التي تستخدم ما تكشف [٧] عنه التحقيقات الاستقصائية كروافع لإحداث التغيير. وإذا لم تحدث واحدة من هذه الاستراتيجيات أو إذا فشلت فلن يتغير شيء.

[٥] أنظر تشارلز لويس، .. "الطريق غير الربحية"، مجلة كولومبيا للصحافة ٣.٤٦(٢٠٠٧):٣٢–٣٦.
أيضا روان، ريتشارد ج. "النموذج غير الربحي للصحافة الاستقصائية: هل يستطيع إنقاذ صحافة الخدمة العامة؟".
ورقة عمل، أيار/مايو ٢٠٠٩، كلية أي. دبليو. سكريبس للصحافة، جامعة أوهايو، ٢٠٠٩، عبر
http://www.scripps.ohiou.edu/media/podcasts/j416/papers/rouan.pdf

[٦] اسحاق روه.. "الصحافة كرواية قصة، التغطية كسرد". مجلة العالم السلوكي الأمريكي ٢,٣٣(١٩٨٩):١٦٢–١٦٨.

[٧] بورتيس، ديفيد،محرر."صحافة الغضب: الصحافة الاستقصائية وبناء الأجندات في أمريكا. مطبعة غيلفورد، ١٩٩٢".

فـي السـنوات العشـرين التـي تلـت نشـر كتـاب "صحافـة الغضـب"، أيـدت الممارسـة رؤيـة بورتـس بـأن تحالفات القـوى الاجتماعيـة ضرورية للحصـول علـى التغييـر مـن خـلال الصحافـة الاسـتقصائية. وخـلال هـذه العمليـة، تـم إثبـات أن الحياديـة ليسـت ضروريـة دائمـا للمصداقيـة أو للأثـر. ويـزداد تولـي المنظمـات غيـر الحكوميـة للصحافـة الاسـتقصائية أمثـال "غرينبيـس" و"مشـروع مراقبـة الحكومـة"، الذيـن يعلنـون أغـراض عملهـم. تحالفـت وسـائل الإعـلام الإخباريـة الكبـرى، مثـل صحيفـة الـ"غارديـان"، علنـا مـع مثـل هـذه المنظمـات فـي مناسـبتين مهمتيـن علـى الأقـل (قضيتـي ويكيليكـس وترافيجـورا) فـي العقـد الماضـي. ويجـب أن نأخـذ بالحسـبان مثـل هـذا الدليـل السـاطع علـى أن الرغبـة والطمـوح لتغييـر المجتمـع هـي رغبـة ذاتيـة أصـلا رغـم أن الصحافـة الاسـتقصائية تسـتخدم بقـوة الحقائـق التـي تحصـل عليهـا لغـرض إحـداث التغييـر.

لا يمكـن تجاهـل هـذه البيئـة الجديـدة وغموضهـا، فهـي أكثـر تعقيـدا بكثيـر مـن العالـم الـذي كانـت فيـه الموضوعيـة معيـاراً صحافيـاً، بـل يجـب تقديمهـا للطـلاب بطريقـة يسـتطيعون أن يبحـروا ويزدهـروا فيهـا. ولا يسـتطيع أي معلـم فـي أي مـكان فـي العالـم أن يتنبـأ أو يقـدم أجوبـة علـى كل التحديـات اللاحقـة. ولكننا نستطيع أن نجعل طلابنا واعين لها ونساعدهم في البحث عن حلول.

نشوء الطرق المتكاملة للصحافة الاستقصائية

فـي الوقـت الـذي كتبـت فيـه ايفـون ت. شـوا منهاجهـا النموذجـي، كانـت الفكـرة أن العمليـات المختلفـة للعمـل الاسـتقصائي - التصـور، التخطيـط، البحث، التنظيم وتأليف القصة - هي مهام منفصلة يجب إتمامها فـي سلسـلة متتابعـة مـن الخطـوات المنفصلـة. وفـي عـام ٢٠٠٩، أظهـر نشـر شـبكة "إعلاميـون مـن أجـل صحافة اسـتقصائية عربيـة" (أريج) www.arij.net واليونسـكو كتيـب –علـى درب الحقيقـة– دليـل"أريـج" للصحافـة الاسـتقصائية العربيـة، كيـف يمكـن لهـذه الخطـوات أن تندمـج فـي تيـار عمـل واحـد مسـتمر. وتشـمل منافع هذه الطريقة اقتصاديات الوقت - وهذا رد واضح على فكرة أن العمل الاسـتقصائي بطيء ومكلف دائما - وكذلك زيادة جودة المعلومات وسرد القصة.

المنهـاج الـذي بيـن أيدينـا الآن هـو الأول مـن نوعـه الـذي يدمـج تمامـا ذلـك الدليـل "علـى درب الحقيقـة" وملاحقـه المختلفـة. كمـا إنـه الأول الـذي يشـمل ملحوظـات للتدريـس تشـرح للمعلـم كيـف يقـدم المـادة وكيـف يشـرك الصـف فـي المناقشـة. وبالطبـع ليـس هنـاك مـا هـو إجبـاري بشـأن هـذه المـادة. فالمدرسـون – الصحافيـون الممارسـون ذوو الخبـرة سـيطورون أعمالهـم وأدواتهـم الخاصـة التـي قـد يكـون بعضهـا أفضـل مـن الموجـود هنـا. لقـد أدرجنـا العديـد مـن ابتـكارات الصحافييـن الممارسـين والأكاديمييـن الآخريـن بعـد اسـتئذانهم، فقـط مـن بـاب الإلهـام. (كلمـا سـنحت لنـا الفرصـة قمنـا بمشـاهدة زملائنـا وهـم يدرّسـون). وبمـا أن العديـد منكـم يعرفـون بالفعـل فيجـب أن تعـرف أنـت أيضـا كذلـك. فهـذه حرفـة وكل الحـرف تتطلـب التدريـب والتلمـذة. المبتدئـون فـي هـذا الحقـل سـيكون لديهـم أيضـاً فراسـة يمكـن أن نضيفهـا إلـى عملنـا، أو أغـراض تجعـل الاسـتغناء عـن بعضـه ضـرورة. نحـن نبنـي أرضيـة تحـت الزجـاج وندعوكـم لوضـع السـقف أينمـا شـئتم. كمـا ندعوكـم إلـى مشـاركة اكتشـافاتكم معنـا مـن خـلال تدريـس هـذا المنهـاج فنحـن نعطـي الحـق لأصحابـه ونذكـر بالاسـم وبشـكل منهجـي الزمـلاء الذيـن يسـاهمون فـي مشـروعات مثـل هـذه، ويسـرنا أن نذكـر إسـهاماتكم فـي الطبعـات القادمـة للكتاب.

[٩] أنظر: مارك لي هنتروآخرون، "على درب الحقيقة – دليل"أريج" للصحافة الاستقصائية العربية دليل للصحفيين الاستقصائيين، اليونسكو، ٢٠١١

نحو أرشيف للنماذج والمصادر المفتوحة

ليس هناك مساق واحد في الصحافة الاستقصائية أو أي معهد، بغض النظر عن درجة جودة عمله أو أهدافه المثيرة للإعجاب، يمكن أن يكون كافيا لجعل الصحافة الاستقصائية معلما دائما ومتجذرا في تضاريس المشهد. ويمكن قراءة هذا المنهاج كدعوة للمشاركة في ذلك المشروع الطموح ونأمل أن تقوموا أنتم وطلابكم بالبحث الضروري الذي يساهم في خلق تراث عربي ومصادر مشتركة.

نطلب منكم أن تساهموا بشكل خاص في معرفة ماهية المصادر المفتوحة. فالمصدر المفتوح هو أي معلومة أو أرشيف يمكن الوصول إليه بحرية من المجال العام. لقد كانت عملية تجميع مصادر مفتوحة واسعة في الولايات المتحدة مبادرة أساسية من جون أولمان، أول مدير لمؤسسة الصحافيين والمحررين الاستقصائيين[١٠] Investigative Reporters and Editors (IRE) وكان ضرورياً لمأسسة الصحافة الاستقصائية في الولايات المتحدة. وليس هناك من سبب لعدم إنشاء مثل هذه المصادر في المنطقة العربية أيضا. أظهرت "لوحة العمل (Dashboard) الخاصة بمشروع الاستقصاء الصحفي للجريمة المنظمة والفساد" أنه يمكن تجميع المعلومات المتاحة للجمهور عن الشركات في مختلف البلدان وفهرستها وجعلها قابلة للاستخدام على مستوى عالمي. ويمكن فعل ذات الشيء على المستويين الوطني والإقليمي.

لقد وفرنا بعض المصادر المفتوحة في هذا المنهاج. هذا مهم. وبنفس القدر من الأهمية وفرنا نماذج يمكن أن تفيد المعلمين كتمارين تطبق خلال الحصة التدريسية لإيجاد وتصنيف المصادر العامة. وبتجميعهم وإشراكهم في هذه المادة يستطيع المدرسون والطلاب أن يساعدوا في إنشاء أرشيف إقليمي للمصادر يمكن مقارنته بأرشيفات المصادر المفتوحة الموجودة في الولايات المتحدة وأوروبا. كما أننا سنساعد في الرد على اعتراض ستسمعونه بالتأكيد من طلابكم: ليس هناك مصادر مفتوحة على الإطلاق في العديد من الدول العربية. هذا الرأي صحيح بالتأكيد لأنه لا يوجد أبدا معلومات مفتوحة وعامة بما يكفي حيثما كان مكان عمل الصحافي. ولكن الصحيح أيضا هو أن هناك دائما معلومات مفتوحة أكثر مما يتوقعه المرء، ولكنك لن تجدها إلا إذا بحثت عنها.

هناك مهمة أخرى يمكن أن يساهم فيها كل مستخدمي هذا المنهاج وتقع في مجال تاريخ الصحافة، ألا وهي اكتشاف وتحليل نماذج في هذا الفن الذي تطور عبر عقود. قد تكون هذه النماذج صحافيين أفرادا، أوسائل إعلامية أو نسقا، أو أعمالا منفردة تجسد المثل العليا وأفضل الممارسات في الصحافة الاستقصائية في لحظة معينة. قد تنتمي بعض النماذج إلى مملكة الخيال القصصي في استخدامها الحقيقة لإثراء الفن، واستخدام الفن لإعطاء قوة لسرد الحقيقة. وسيعود بعضها إلى جهود النشطاء أو المناضلين أو المنظمات غير الحكومية الذين يتخطون وسائل الإعلام الرسمية الخجولة بحثا عن الحقيقة. وبعض هذه النماذج كتبها صحافيون تحدوا الضحالة حولهم وميزوا أنفسهم بالشجاعة والتماسك.

[١٠] مرجع سابق.كرّاس الصحفي.

نحن نعلم هذا لأنه غالبا ما يتردد المشاركون في دوراتنا التدريبية وندواتنا عندما نطلب منهم أن يعطونا أسماء لمثل هذه النماذج. أحيانا لأن هذه النماذج نادرة وقامت الأنظمة السلطوية بسحقها أو التعتيم عليها. وأحيانا لأن الناس لم يدركوا أهمية وجود شخص نعجب به ويسبقنا على دربنا. (صدقونا، هذا الأمر مهم ومهم جدا). وأحيانا بسبب إجهادات الحياة العملية التي تجعل من الصعب علينا أن نقف ونتأمل. وأحيانا للأسف لأن الناس يمنعهم الكسل والعجرفة من أن يروا في عمل الآخرين ما هو أكثر من منافسة يجب إهمالها أو نسيانها. علينا أن نتجاوز هذه العوائق. علينا أن ندرب طلابنا على البحث عن الإلهام على المستويين العاطفي والعملي من الصحافيين الذين بقربنا، من داخل تراثهم التاريخي والوطني والمهني.

لقد وفرنا لكم عددا من التحقيقات النموذجية في هذا المنهاج من المصادر الوطنية والدولية المتاحة مجانا. كما عرضنا لكم كيف يمكن استخدامها في الصف كمواد للتحليل من حيث الطرق المستعملة، والبنى السردية والأثر الاجتماعي أو القانوني. ويجب أن يكون التركيز دائما على كيفية تطوير الطلاب لممارساتهم وأخلاقياتهم من خلال دراسة النماذج. ويمكن تقليد بعض النماذج؛ وبعضها تحتوي أساليب يمكن استعمالها؛ والبعض الآخر موجود لغرض الإلهام بكل بساطة.

هذه المادة مجرد بداية ونطلب منكم توسيعها وتنميتها في الصف وفي بحثكم الأكاديمي. ونأمل أنكم وطلابكم ستسعون وراء أعمال أخرى وصحافيين يستحقون الاقتداء بهم وأن تتجشموا عناء التفكير بما يجعلهم مثار إعجابكم فعلا. ونأمل أنكم ستتركون سجلا لهذا البحث في الأدب الأكاديمي للجيل القادم من المعلمين والطلاب، مثلما نأمل أنكم ستشاركون اكتشافاتكم مع آخرين في الإقليم كما تشاركون مصادركم المفتوحة. أما بالنسبة للمصادر المفتوحة فقد وفرنا لكم قوالب يمكن أن تعمل كمرشد لعمل الطلاب على النماذج.

دعونا نفكر في بنية ومحتوى هذا المساق بالتفصيل، محاضرة تلو الأخرى. يتمثل الشكل العام واستراتيجية المساق في السير من مبادئه العامة وتطوره التاريخي ومن ثم الانتقال نحو الممارسة. لقد لاحظنا أن الطلاب الذين يدفعهم أساتذتهم مباشرة إلى الممارسة، مفترضين أن "التعلم بالممارسة" هو أفضل وسيلة للتقدم، يصبحون مشوشين ومترددين. ولذلك نخبرهم في البداية بما سيفعلون وكيفية تطور الممارسة في تاريخ الصحافة الاستقصائية. كما سنعطيهم فكرة عن الأسواق والمهن التي قد تكون مفتوحة أمامهم بعد التخرج. ثم سنريهم، عندما يصبحون متحمسين للدخول في هذا العالم، كيف يقومون بهذا العمل.

هذه إحدى طرق استعمال هذه المادة. ويمكنكم أن تقرروا تغيير ترتيب الفصول لتبدأوا بالعمل التطبيقي قبل أن يتعلم الطلاب تاريخ الصحافة الاستقصائية واقتصادياتها. يحصل الطلاب في بعض الجامعات على تعليم نظري فقط دون ممارسة، ويتحرقون شوقا للدخول إلى الميدان. يمكنك أن تعطيهم ما يريدون وتُدخل محتوانا الأكاديمي ضمن التمارين العملية. وستجد الطريقة الفضلى طريقة لقيادة صفك بها. هذا الخيار متروك لكم.

الملحق:

المقدمة إلى الصحافة الاستقصائية: وصف المساق ومخططه

ملاحظة: مثلما هو الحال بالنسبة للمواد الأخرى في هذا المنهاج، يمكن تعديل مخطط هذا المساق لإنشاء منهاج نهائي طبقا لمقاييس مؤسستك أو للتفضيل الشخصي للأستاذ الذي سيدرس المساق.

يمكن تعريف الصحافة الاستقصائية بعدة طرق: كطريقة إخبارية صحفية، كفن أدبي وتوثيقي، كقدرة تنظيمية وشخصية، كحافز للتغيير الاجتماعي والسياسي، وكتيار اقتصادي قوي في تاريخ وسائل الإعلام. يهدف هذا المساق التمهيدي لفصل واحد (٣٧.٥ ساعة معتمدة) إلى مسح مختلف جوانب هذا الحقل. وفي نهاية الفصل:

- سيكون لدى الطلاب فهم راسخ لكيفية تصور ووضع فكرة التحقيق الاستقصائي والبحث فيها وتنظيمها وكتابة قصة قوية عنها. وستصبح الأمثلة عن التحقيقات الاستقصائية عالية المستوى من منطقتهم والعالم مألوفة لهم. سيتعلمون أساسيات التحقيق المبني على القصة لأن هذه الكتابة هي الطريقة المعيارية العالمية في هذا المجال.

- ستظهر التحديات التي يمكن أن تواجه عملهم أقل رعبا لأنهم سيتزودون بالاحتياطات الأخلاقية والاجتماعية والقانونية.

- ستشمل مهاراتهم تطوير المصادر المفتوحة (المتاحة) وإجراء مقابلات في صميم المصادر الإنسانية. وسيتعلمون كيف ينشئون قاعدة البيانات الخاصة بهم وغيرها من الأصول المهنية التي جمعوها أثناء البحث والتوثيق.

- كما سيفهمون كيف يمكن للاستثمارات في الصحافة الاستقصائية أن تساهم في ازدهار الأفراد والمؤسسات. سيرسخ فهمهم لتاريخ هذا الفن وعلاقته بشركات الصحافة.

سيكون هذا المساق متطلبا سابقا لمساق ثانٍ من فصل واحد مكرس كليا للتفكير في تصور لمشروع تحقيق استقصائي وكتابته.

النصوص الرئيسية:

- هنتر، مارك لي: على درب الحقيقة – التحقيق المستند إلى القصة:دليل"أريج" للصحافة الاستقصائية العربية، ٢٠١١. (ملاحظة: هذا النص متوفر باللغتين العربية والانجليزية من موقع شبكة أريج www.arij.net

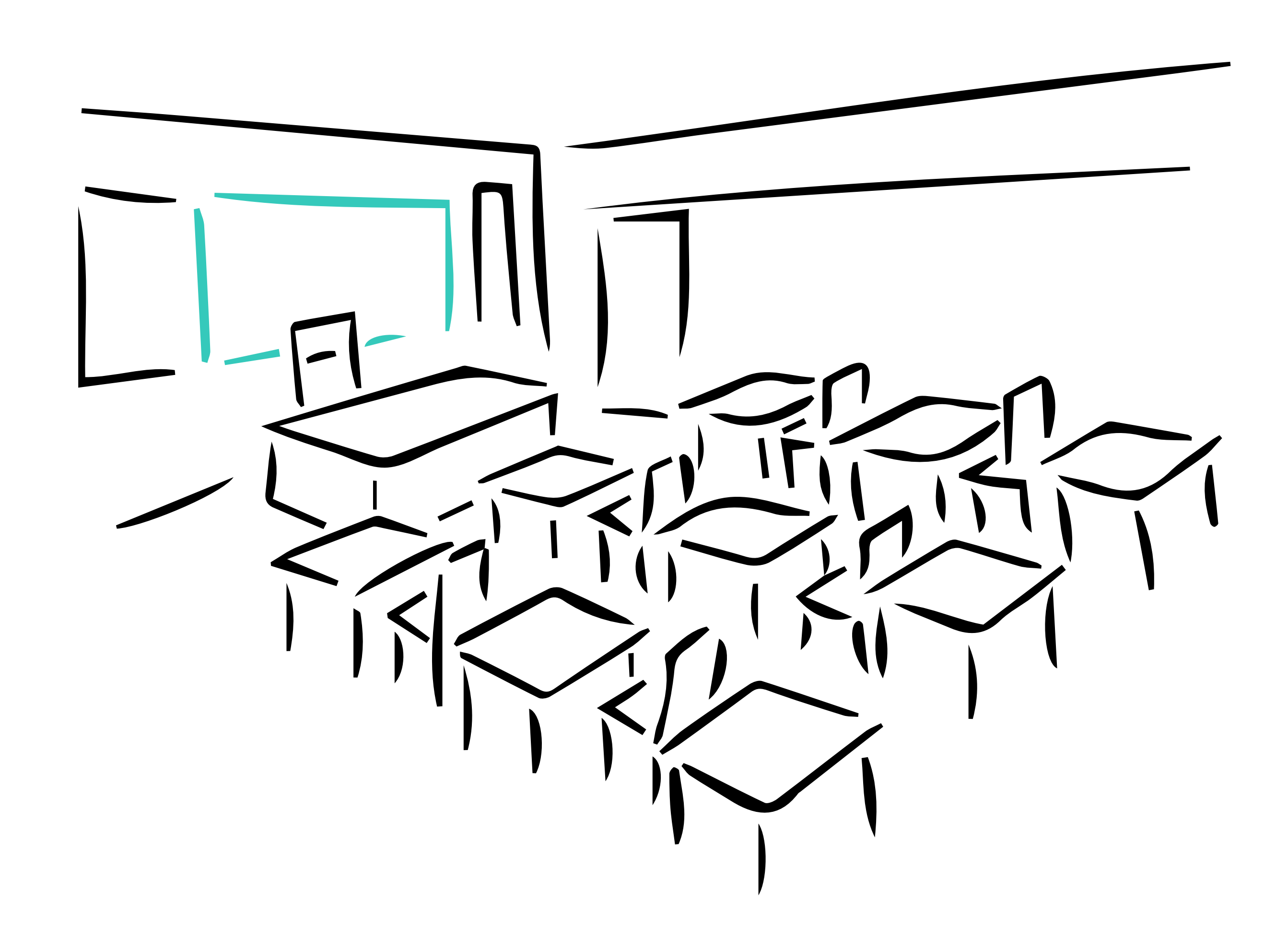
- هنتر، مارك لي، محرر. كتاب الصحافة الاستقصائية العالمية. اليونسكو، ٢٠١٢. التحميل المجاني باللغة الانجليزية: *http://portal.unesco.org/geography/en/ev.php-URL_ID=15958&URL_DO=DO_TOPIC&URL_SECTION=201.html*

- أريج.نت www.arij.net يحتوي هذا الموقع الالكتروني على أرشيف باللغة العربية حول التحقيقات الاستقصائية المرئية والمكتوبة ومتعددة الوسائط والتي أشرفت عليها شبكة أريج بعد تدريب الزملاء والزميلات على منهاج الشبكة استنادا إلى دليل "على درب الحقيقة"، والعديد منها مزود بتوثيق موسع لملاحظات الكتاب والتي يمكن أن تستخدم كمصدر تعليمي.

مخطط المساق

٣٧.٥
ساعات دراسة

٢٥
محاضرة



فصل دراسي واحد، ٣٧.٥ ساعة معتمدة

تعريف الصحافة الإستقصائية

/ساعة ونصف



قراءة تمهيدية:على درب الحقيقة – التحقيق المستند إلى القصة:دليل"أريج" للصحافة الاستقصائية العربية ٢٠١١ وسيشار إليه من الآن فصاعداً باسم "الدليل")، تقديم بقلم يسري فودة (صفحة ٦–٧)، الفصل الأول (صفحة ٨–١٠).

- الهدف الأول من هذا الفصل: توضيح الفروق بين الصحافة الاستقصائية من ناحية وبين إعداد التقارير الإخبارية من ناحية أخرى، وهي تشمل: الأساليب والمعايير المهنية والأخلاقية بالإضافة إلى النتائج.

- الهدف الثاني: تشجيع الطلبة على الكشف عن مفاهيمهم، بما في ذلك أي تصورات مغلوطة حيال هذا النمط من الصحافة وما يتطلعون إليه في دراستهم. ولهذا، على الأستاذ المحاضر أن يحرص على ألا يحتكر النقاشات وأن يتيح الفرصة للطلبة لإثراء النقاش، مكتفيا بالتوجيه فقط؛ وينبغي أن يكون ذلك السمة العامة للفصل الدراسي.

أولا: الصحافة ليست جلّها استقصائية

ليس صحيحاً ما يقوله البعض - ومن بينهم أساتذة - من أن الصحافة كلها صحافة استقصائية، أو أن صحافة الاستقصاء هي الصحافة الجيدة التي يتم إنجازها بنفس الأساليب القديمة ولكن بطريقة أكثر تمحيصا. فما وجه الاستقصاء في مشاهدة مباراة تنس وكتابة تقرير عنها؟ قد يكون التقرير مكتوباً بشكل جيد ومسلٍ ويصل إلى الجمهور المستهدف، إلا إن كتابته تبقى محصورة بعنصر واحد قائم على المشاهدة فقط. وهذا يسري على أي شكل من أشكال كتابة التقارير المبنية على المشاهدة أو إعادة كتابة مادة مثل نص خطاب أو بيان علاقات عامة. وهذه الأنماط تشكل ثلثي المادة الإخبارية في الصحف.[11]

أما فكرة أن الصحافة الجيدة التي تبنى وفق الأساليب القديمة تغني عن صحافة الاستقصاء فهي فكرة غير واقعية. ونحن هنا لا نجادل في أن الصحافيين الذين يتدربون على كتابة الأخبار يمكنهم أن ينفذوا تحقيقات معمقة ، لكن عليهم أن يكتسبوا مهارات وقدرات جديدة تعينهم على النجاح.

فعلى سبيل المثال، هناك فارق شاسع بين إجراء حوار استقصائي لساعات وبين حضور مؤتمر صحافي قصير. كما أن التحقيق يكون إجراؤه أكثر صعوبة وأكثر كلفة، إذا لم يكن مدعوماً بوسائل لأرشفة وتنظيم المعلومات، وهي وسائل لا يعرفها سوى قلة من الصحافيين. وفي هذا المقام، يمكن للأستاذ المحاضر أن يقول: يمكن للصحفي أن يكون مهنياً جيداً، بمعنى أن يسعى إلى معرفة حقيقة الأحداث والشخصيات والمجتمع من دون أن يكون محققاً صحفياً. فكتّاب الأعمدة ومقالات الرأي والقائمون على إجراء الحوارات والمراسلون الذين ينقلون مآسي الحروب والكوارث، هم نماذج لهؤلاء الصحافيين الأكفياء الذين ليسوا بالضرورة صحافيين استقصائيين.

[11] انظر
Lewis, J., Williams, A., Franklin, B., Thomas, J., & Mosdell, N. (2008). The quality and independence of British journalism. *Cardiff: Cardiff University Media Department.*

ليس بالضرورة أن يصبح كل طالب في الفصل محققاً صحفياً. لكن الأهم هو أن يقدّر كل طالب أهمية الصحافة الاستقصائية باعتبارها منهجاً ، مهنةً، وقوّة اجتماعية قادرة على التغيير. فصحافة الاستقصاء ليست وحيا إلهياً لا يأتيه الباطل، إلا أن الكثير من النقد الموجه إليها وكذلك الإطراء ليس سوى جهل. مثال على ذلك القول إن المحققين الصحافيين ليسوا سوى مغامرين يعملون بشكل منفرد، وأن التحقيق يتم دائما ببطء وبكلفة عالية، أو أنه يدور حول تدمير سمعة أشخاص أكثر من كونه أداة لإصلاح المجتمعات.

لهذا، فإن الهدف الرئيس لهذا المنهاج هو تعريف الطلبة بحقيقة أسس صحافة التحقيقات الاستقصائية، بحيث يقررون لاحقاً إن كانوا سيتخذونها سبيلا في المهنة وكيفية تحقيق ذلك.

ويتفق معظم الصحفيين الممارسين لهذا النوع من الصحافة على التعريف التالي للاستقصاء:

"كتابة التقرير من خلال المبادرة الذاتية وعمل منتج يتعلق بأمور ذات أهمية للقراء أو المشاهدين أو المستمعين. وفي أوقات كثيرة لا يرغب الأشخاص أبطال التحقيق أو المتورطون في القضية في الكشف عن القضايا موضع التحقيق".[١٢]

وفي هذا المقام تجدر الإشارة إلى عناصر ثلاثة:

العنصر الأول:
الصحافي لا يُقدم على نشر أو تسريب تحقيق قام به آخرون، ما يعني أن أي كشف يجب أن يكون بفضل جهد الصحافي نفسه. كذلك، قد يعتقد كثيرون أن مجرد الحصول على ثقة مصادر رفيعة المستوى، وبما يمكن أن ينجم عن ذلك من انفراد، وبما قد يحمله هذا الإنفراد من معلومات حصرية، يعد تحقيقاً استقصائياً. لكن هذا الاعتقاد خاطئ. فمثل هذه القصة إذا انتهت فقط بحوار أو حوارات وتصريحات، فإنها لن ترقى إلى مستوى التحقيق.

العنصر الثاني:
أن يكون موضوع أو موضوعات التحقيق ذات أهمية قصوى للجمهور المتلقي من حيث كونها تتعلق بأمر قد يؤثر في حياتهم. وفي هذا الصدد، فإن هذا الجزء من التعريف يتسم بالمرونة نظرياً وعملياً. وقد يقال إن حياة المشاهير تعني الكثير للمتلقين، وبالتالي فإن المشاهير أهداف مشروعة للاستقصاء. إلا أن تأثير المشاهير في الغالب يكون رمزياً. في حين أن صحافة الاستقصاء معنية أكثر بالموضوعات التي لها تأثير مادي مباشر على العامة والأفراد.

[١٢] راجع
Brant Houston ed., *The Investigative Reporter's Handbook. A Guide to Documents, Databases and Techniques*, IRE, Fourth Edition, Boston/New York 2002, p. viii.

العنصر الثالث:
في بعض الحالات، يحاول البعض إخفاء الحقيقة، في حين أن الصحافي معني بالكشف عن الأسرار. وكما يقول جوليان أسانج صاحب تسريبات ويكيليكس: "عندما تكون المعلومات سرية، فإن قيمتها المادية والاقتصادية ترتفع بشكل تلقائي".

وعلى أية حال، فإن كثيراً مما نطلق عليه أسراراً هي في الحقيقة وقائع لا يعيرها العديد اهتماماً، أو أنها وقائع تبدو بلا معنى، إلا إنه بالتقصي تتكشف المعاني المخفية أو التي نجهلها لتلك الوقائع. وهذا يكون صحيحا بشكل خاص بالنسبة للتحقيق في الأرشيفات التي قد لا تكون محتوياتها سرية، ولكنها في معظم الأحيان تكون مدفونة ومهملة، رغم أنها يمكن أن تتضمن معلومات تحظى باهتمام كبير لدى الرأي العام.

وسيجد الأستاذ المحاضر نموذجين من هذا النوع من الاستقصاء في كتاب نماذج الصحافة الاستقصائية الدولية.[١٣]

ثانياً: استكشاف المفاهيم المسبقة للطالب

في المحاضرة الأولى من العام الدراسي، نسأل الطلبة كثيرا: لماذا تهتمون بصحافة الاستقصاء؟ ماذا تعني لكم؟ لماذا تريدون خوض غمارها؟

ومع تقدم سير المناقشة، تكتب إجابات الطلبة على لوح (سبورة) لكي يراها الجميع، على أن يتم وضع إشارة على جميع الإجابات المتشابهة. وعلى المحاضر تشجيع الطلبة على الإجابة بصراحة. ففي بعض الأحيان، يتضح أن بعض الطلبة – ممن يقولون مبدئياً أنهم لا يرغبون في التحقيق– موهوبون في هذا اللون من ألوان العمل الصحافي.

سيبدي أغلب الطلبة فضولاً بشأن صحافة الاستقصاء والرغبة في معرفة المزيد عنها. ويمكنك كمحاضر أن تعدهم بتعلم الكثير.

وسيقول بعض الطلبة أن هدفهم من الاستقصاء هو مساعدة المجتمع أو مكافحة الفساد أو رغبتهم في معرفة الحقيقة. في حين سيقول البعض الآخر إنهم يريدون أن يكونوا "صوت من لا صوت لهم". وهؤلاء سيكتشفون فيما بعد أن لدى من لا صوت لهم الكثير ليقولوه، إذا وجدوا الشخص الذي يعرف ماذا يسأل وكيف. إن السمات المشتركة في تلك الإجابات هي الرغبة في الاستقلالية المهنية والقدرة على استكشاف الواقع واستخدام ذلك في إحداث تغيير إيجابي.

[١١] أنظر تحديداً جيمس كيرتشيك "الرجل الأبيض الغاضب".
James Kirchick, "Angry White Man: The bigoted past of Ron Paul", pp. 12-20

في المقابل، قليل من الطلبة سيتحدثون عن المتعة. ففي مقدمة لدليل الاستقصاء (على درب الحقيقة، دليل شبكة أريج للصحافة الاستقصائية العربية)، يتحدث الزميل يسري فوده عن نوعين من المتعة في التحقيق:

المتعة الأولى: هي متعة التقاط الخيوط والربط بين النقاط وذلك قبل الوصول إلى لحظة الكشف.
المتعة الثانية: تتمثل في ذلك الشعور الجميل عندما يشكرك ذلك الذي لم يكن مقدرا له أن يعلم بهذا الكشف من قبل، وقد علم.

بالتأكيد، فإن هناك متعة في أن تعرف شيئاً يعرفه قليلون. وفي الغالب فإن الصحافي الاستقصائي يعلم عن القصة التي يتابعها أكثر من أي من مصادره كل على حدة. لكن لماذا يشكر أي شخص هذه الصحافي الاستقصائي لمجرد قيامه بعمله؟

في الواقع، ليس لدى غالبية الصحافيين الوقت – أو هم لا يخصصون الوقت– للخوض بعمق في تفاصيل القصص الإخبارية. وليس لديهم الوقت كذلك لرفع ظلم واقع أو معاناة بعض فئات المجتمع حتى وإن كتبوا عنها. ولهذا، فإن غالبية الناس تشكر الصحافي الاستقصائي لأنه أخبر وكشف عن الحقيقة، في حين لم يفعل ذلك زملاؤه المنهمكون في تغطية الأخبار اليومية. وقد يقول بعض الطلبة إن ذلك أسرع طريقة لخلق أعداء، وفي هذه الحالة يمكن أن تطمئنهم بأن العكس هو الصحيح. وهذا ما ألمح إليه الزميل يسري فوده في تشخيصه للإستقصاء.

ثالثا: أهمية السرد في التحقيق الاستقصائي

ما يريده الجمهور منا ليس كتيب معلومات، بل أن يدرك معنى هذه المعلومات المنشورة، وتلك المعاني التي تحتويها القصة. بمعنى آخر، فإن الاستقصاء لا يستهدف العثور على معلومات فقط، وإنما يتمحور حول سرد قصة تقوم على معلومات جديدة ومهمة وموثقة.

ملحوظة: لم نصادف طالباً عجز عن العثور على معلومات مثيرة، ولكننا صادفنا عديدين لم يستطيعوا استخدام هذه المعلومات في سرد قصة مثيرة للإهتمام ومشوقة. وفي أحيان عديدة نستخدم أسلوباً بسيطاً في إيضاح الفارق بين الحقائق والقصة. نطلب من الطالب أو الطالبة أن يتذكروا أول خمسة أسماء من دليل الهاتف الخاص بهم بالإضافة إلى هواتفهم وعناوينهم الإلكترونية. وبالطبع سيفشلون.

سنطلب منهم أن يقرأوا هذه الأسماء من دليل الهاتف الخاص بهم، وذلك قبل أن نسألهم كيف تعرفوا على هؤلاء الناس، وبالتأكيد سيتذكرون في هذه الحالة. وهذا بالضبط هو الفارق بين الحقائق والسرد. نحن ننسى الحقائق بمفردها، ولكننا نتذكرها إذا كانت في إطار قصة.

في هذا الجزء من الدليل مقتطفات ننصح بدراستها لأنها ستوضح أن كل طرق ممارسة الاستقصاء تنبع من خطوات تقليدية في كتابة التقارير الإخبارية. ولكن هناك فروقاً تظهر في المجالات التالية:

أ) البحث.

ب) العلاقات مع المصدر.

ج) النتائج.

أ) البحث: الاتجاه عمقاً وعرضا

قلما نجد في الصحافة التقليدية قصصاً تستغرق بحثا وكتابة أكثر من أيام قليلة، في حين أن التحقيقات قد تستغرق أسابيع وشهوراً. كما أنها تتضمن معلومات أكثر بكثير من تلك التي تجدها في القصص العادية، ما يحتم درجة عالية من التنظيم الذي تزيد أهميته بزيادة كمية المادة التي يحصل عليها الصحافي. يمكنك كمحاضر أن تعد الطلبة بأنهم سيتعلمون كيفية تنظيم وإدارة المعلومات وأن هذه المهارة سيستخدمونها طوال حياتهم.

ب) العلاقات مع المصدر: من الاعتماد إلى التحدي

في العادة يتندر المراسلون الأمريكيون بالقول: "لا تثق بأحد سوى أمك، ولكن عليك التحقق من كل ما تقوله".

بالطبع فإن الواقع مختلف. فهؤلاء الصحافيون يقتبسون من مصادر بعضها تقول أشياء من الصعب التأكد من صحتها وآخرون يكذبون. وهذا أحد أسباب افتقاد العديد من وسائل الإعلام للمصداقية لدى قطاعات من الجمهور. ولكن ما يلفت النظر أن الغالبية من كبار المسؤولين يتم الاقتباس منهم دون التحقق مما يقولونه وكأن كلامهم منزل من السماء.

هذا الاعتماد المؤسسي شبه الرسمي[١٤] للصحافيين على المسؤولين الرسميين ضعف في الولايات المتحدة خلال حرب فيتنام، عندما اتضح أن المسؤولين استخدموا الصحافيين لتضليل الرأي العام. لكن خلال السنوات الأخيرة، تخلّت غالبية الصحافيين عن عادة الارتياب في ما يقوله المسؤولون، والتحقق منه. أحد أسباب هذا التراجع هو أنه لم يعد لدى الصحافيين وقت لجمع المعلومات التي تدعم تشكيكهم في ما يدعيه المسؤولون؛ فأغلب وسائل الإعلام تخفض عدد محرريها وموظفيها بسبب الاوضاع الاقتصادية لقطاع الإعلام. وهناك سبب آخر لذلك، وهو أن العديد من الصحفيين يرون أنفسهم كحراس للنظام أو للدولة وقيمها أكثر من كونهم ناقدين لها. ففي القرن التاسع عشر، قال أدولف أوشيز مؤسس صحيفة نيويورك تايمز: "مهمة صحيفتي الاستماع لآراء المسؤولين وتأييدهم".

[١٤] أنظر على سبيل المثال:
Schiller, Dan. "An historical approach to objectivity and professionalism in American news reporting." Journal of Communication 29.4 (1979): 46-57.

وفي عام ١٩٩٢، حاول المحرر الطبي لصحيفة لوموند الفرنسية جون إيف نوا التصدي لما تم الكشف عنه من أن الحكومة وزّعت أكياس دم ومشتقاته ملوثة بفيروس (نقص المناعة المكتسبة/ الإيدز). وكان دافعه في ذلك أن مثل هذا الكشف سيدمر النظام الصحي في فرنسا. وفوق ذلك، فإن العديد من الصحافيين ممن يزعمون ممارسة الاستقصاء، ليسوا سوى قنوات لمصادر تقوم بتزويدهم بسبق صحافي ومعلومات حصرية. فهؤلاء الصحافيون لا يعثرون على أي شيء بأنفسهم، وقصصهم عبارة عن إعادة كتابة لتقارير أعدتها الحكومة أو منظمات مجتمع مدني. وبالتناقض مع ذلك، فإن الصحافيين الاستقصائيين لا يمكن أن يقبلوا كون أي شيء حقيقيا لمجرد أن شخصاً، وبخاصة إذا كان مسؤولاً، هو المصدر. ولكنهم بدلا من ذلك يحرصون على التأكد من صدقية هذه المعلومات عبر مقارنتها بمعلومات من مصادر أخرى. كما أنهم لا يعتقدون بأهمية شخص لمجرد كونه يشغل منصباً رسمياً، فأهمية المصدر للصحافي الاستقصائي تقوم على أساس صلاحية المعلومات التي يقدمها الأول للثاني.

النصيحة التي يمكن أن يقدمها المحاضر في هذا المقام هي أن الطلبة سيتعلمون كيف يحترمون أنفسهم بشكل أكبر في مواجهاتهم مع المسؤولين والمصادر، وذلك من خلال التعلم وإعداد أنفسهم لمقابلات معمقة. بهذه الطريقة، سيكون الطلاب أكثر قدرة على تحدي المصادر إذا حاولت الحط من شأنهم أو الكذب عليهم، وبالقدر ذاته في تصديهم للمصادر التي لا تفتأ تردد معلومات مغلوطة ولكن بنية طيبة.

ج: النتائج: اثبات الحاجة للتغيير

غاية المحقق الصحافي هي الوصول إلى قاعدة بأن شيئا ما حدث لم يكن ينبغي له أن يقع ولذلك يجب ألا يتكرر مرة ثانية، أو العكس: أن شيئاً يستحق أن يقع أو أنه أوقف عن الحدوث بشكل تعسفي. وقد برز هذا المبدأ في جميع البلاد التي تمارس فيها تقاليد راسخة للتحقيق الاستقصائي. وفيما بعد، سنساعد الطلبة على أن يجدوا نماذج من بلادهم في هذا الخصوص، الأمر الذي يعد أساساً شديد الأهمية لبناء حركة صحافية استقصائية في العالم العربي.

في تاريخ الصحافة الأمريكية، لم تأت النظرة الثاقبة للصحافي وقدرته على استخلاص الأحكام نتيجة للنظريات، وإنما تولدت في غمرة فضيحة "ووترغيت" عندما وجهّت صحيفة "واشنطن بوست" أصابع الاتهام صوب البيت الابيض. وهنا ظهر التراث الصدامي للصحافة[١٥]، وذلك حين تخطّى الاستقصاء ما يسمى بحيادية الموضوعية. هذا الجانب الصدامي القائم على حقائق موثقة ذو أهمية فائقة للطلبة ومن المهم تنميته لديهم، وإلا فإنهم سيخلطون بين الرأي والتحقيق.

وقد تكون العناصر التالية مفيدة في إعدادك لمثل هذه المناقشة:

[١٥] راجع
See Miraldi, Robert. Muckraking and Objectivity: Journalism's Colliding Traditions. New York: Greenwood

- ما هي الموضوعية من الناحية العملية؟ إعداد التقارير وفق النمط التقليدي يستهدف أولا تحقيق التوازن؛ بمعنى أنه يجب استيفاء جميع جوانب القصة[16]. وبالطبع، فإن العديد من الصحافيين لا يبذلون الجهد لتحقيق ذلك. فهم يقتبسون من مصادر تتفق مع أفكارهم أو يسمحون للمشاهير والمسؤولين بأن يقولوا ما يريدون من دون أن يحققوا فيما يقولونه من معلومات. ولكن يمكن لجميع الطلبة أن يتفقوا على أن الحصول على معلومات وتعليقات من جميع الأطراف يجب أن يكون معيارا مهنيا معمولا به. إعداد التقارير بشكل تقليدي يستهدف بعد ذلك تحقيق الحيادية. فلا ينبغي على الصحفي اختيار أطراف المناظرة في القصة، إلا إذا كانت ستصنف بإعتبارها رأياً. وبدلا من ذلك، على الصحافي أن يترك المتلقي يقرر أي طرف في المناظرة لديه حجة أقوى. العديد من الطلبة سيعتقدون بأن ذلك هو الأفضل لتحقيق الحيادية. إلا أن المحقق الصحافي يرفض قبول العالم كما هو، فالتحقيق كقصة يستهدف الاختراق أو الكشف عن موقف معين بهدف الإصلاح أو التنديد، وفي حالات أخرى تقديم نموذج أفضل.

- لن يعاني الطلاب من أي حيرة في هذا الصدد، إذا طرحت عليهم السؤال التالي: كيف يمكن للصحافي – المفترض أن يكون موضوعياً – رفض الإقرار بأن ما يقوله الناس هو الحقيقة؟ والإجابة هي: يمكن للصحافي، بل ويجب عليه أن يكون محايداً تجاه الحقائق، وبالتالي يجب عليه أن يتعامل مع الحقائق على أنها هي الحقيقة بغض النظر عما إذا كانت تلك الحقائق تعجبه أو لا. في الوقت ذاته، يمكن للصحافي استخدام تلك المعلومات التي تم التحقق منها بشكل موضوعي لاستخلاص حكم قوي ومحكم إزاء موقف معين. بمعنى آخر، يصبح الصحافي مؤهلاً وموثوقاً به لاستخلاص الأحكام بشأن معنى الحقائق من خلال الاستقصاء.

يجب التنبه إلى مخاطر ثلاثة قد تظهر خلال هذا النقاش:

الأولى: غالبية الطلاب لم يتمعنوا من قبل في معنى الموضوعية. ففي الغالب تكون الموضوعية مجرد شعار ومظلة تستخدم في حال تعرضهم للنقد بالقول إنهم كانوا يسردون حقائق موضوعية. وهذا ما يصفه جاي تاكمان بـ"الطقس الاستراتيجي للموضوعية"، لكي يزعم الصحافي بأنه أدى عمله بشكل سليم[17]. والموضوعية بمعناها الحقيقي تعني التسليم بالحقائق حتى وإن لم تعجبنا. إلا أن ذلك لا يعني استبعاد أن نستخلص معاني من تلك الحقائق طالما أننا لا نحرفها أو نقتطعها من سياقها.

الثانية: على المحاضر أن يحرص على عدم الدخول في جدال بين الطلاب حول من منهم موضوعي بحق. فالطلاب يحبون هذا النوع من الجدال الذي يشعرهم بأنهم مثقفون، في حين لن يكسبهم هذا الجدال أي شيء إيجابي. بالطبع، لدينا جميعا أهواؤنا، وبعضها أهواء لا شعورية. وكذلك، فإن انتقاء الحقائق يتضمن حكماً ذاتياً، إلا أن تلك النقاط لا علاقة لها بموضوع النقاش. المسألة المهمة في هذا المقام هي: إذا كنا قد استبعدنا معلومات تتعارض مع أهدافنا، فعلى المحقق أن يستعمل جميع المعلومات التي يحصل عليها والتي لها علاقة بموضوع التحقيق. ورغم أن لبعض هذه الحقائق معاني أكثر من غيرها، إلا أنه لا يمكن استبعادها لمجرد أننا كمحققين لا نميل إليها.

[16] أنظر مثلا: "مجتمع الصحافيين المحترفين – ميثاق اخلاقي". يمكن الحصول على نسخة عبر الرابط:
http://www.spj.org/ethicscode.asp?mobile=no

[17] أنظر:
Tuchman, Gaye. "Objectivity as strategic ritual: An examination of newsmen's notions of objectivity." American Journal of sociology (1972): 660-679.

د: العوامل العاطفية في التحقيق الاستقصائي

في مقدمة "على درب الحقيقة" – يلفت الزميل يسري فودة النظر إلى أن المحققين الصحافيين يمكن أن يأخذهم الهوس بعملهم إلى درجة يبدون فيها وكأن ليس لديهم وقت لأي شيء آخر. ويمكن للمحاضر هنا أن يؤكد للطلبة أن تلك الحالة الذهنية ليست دائمة، وإنما تحدث خلال إجراء تحقيقات معينة وتنتهي بانتهائها. ولكن الإلتزام الشخصي هو أحد متطلبات التحقيق الاستقصائي الذي يتطلب أيضا قدراً أكبر من إعداد التقارير بشكلها التقليدي. فمن دون هذا الالتزام الشخصي بكشف الحقيقة، لن تستكمل القصة. وفي مقدمة الزميل فودة، يمكن أيضا الخروج بملحوظة مهمة للطلاب، ألا وهي رغبة المحققين صغار السن في إثبات شجاعتهم في مواضيع تتسم بالخطورة. وفي هذا الصدد يمكن للمحاضر أن يشدد على ثلاثة عناصر:

الأول: الهدف من الاستقصاء هو العثور على قصة أصلية حصرية وكتابتها بشكل يجعلها تظل مخفية من دون الاستقصاء. في بعض الأحيان يكون الخطر جزءاً من العمل، إلا أنه ليس الهدف بحد ذاته. نحن لا نتقصى لإثبات شجاعتنا، بالتالي فإننا لا نقدم على مخاطر غبية غير مطلوبة.

الثاني: المخاطر جزء من كل عمل وليس فقط الاستقصاء، وبالتالي فإن المخاطر يمكن إدارتها، وخلال الفصل الدراسي سيتعلم الطلبة كيف يفعلون ذلك.

الثالث: غالبية المخاطر في الاستقصاء نفسية أكثر منها بدنية أو قانونية. ويتعرض الزميل فودة للعديد من أنواع المخاطر الذهنية والنفسية والعاطفية والاجتماعية التي ينطوي عليها هذا النوع من الصحافة التي تتسم بالتحدي، ومن بينها:

- الضغط المتولد عن إدارة مهام كثيرة ومعقدة والقيام بها.
- تكوين علاقات شديدة الحساسية مع المصادر والحفاظ عليها.
- الدخول في صراعات ومواجهات مع أشخاص ومؤسسات قوية.
- مواجهة الشكوك الذاتية.
- الشعور بعدم جدوى ما قام به الصحفي الاستقصائي لأن الظلم الواقع أو المشاكل التي تم كشفها لن تتغير.

وكما هو الحال مع المخاطر الخارجية، يمكن تعلم السيطرة على المشاعر والتحكم بها، ما يجعل الطلبة أكثر قوة واحترافية. وفي مرحلة لاحقة، سيطلب من الطلبة التفكير في "العائد على الاستثمار" من القيام بقصة يتم خلال إنجازها تحسين مهاراتهم الاحترافية والانسانية.

الفصل الثاني

الصورة والحقيقة للصحافي الاستقصائي

/٣ ساعات

تحضير إضافي للمحاضر: يرجى قراءة تحقيق بوب وودوارد وكارل برنشتاين "كل رجال الرئيس" ومشاهدة الفيلم الذي يحمل نفس الأسم (All Presidents Men). كما يمكن مراجعة أرشيف صحيفة "واشنطن بوست" حول فضيحة "ووترغيت" على هذا الرابط:

http://www.washingtonpost.com/watergate



في خريف عام ١٩٧٢، اكتشف الصحفيان الشابان بوب وودورد وكارل برنستاين من صحيفة "واشنطن بوست" تورط مسؤولين في البيت الأبيض بحادثة السطو على مقر الحزب الديموقراطي في فندق ووترجيت؛ الذي كان يمثل المعارضة في ذلك الوقت. وسرعان ما كشف تحقيقهما عن دليل على مؤامرة إجرامية شارك فيها الرئيس (الجمهوري) ريتشارد نيكسون. وقد تضامنت مع الصحيفة وسائل إعلام أخرى وقاضٍ فيدرالي إتسم بالشجاعة. وانتهت الحملة إلى إجبار الرئيس نيكسون على الاستقالة تحت التهديد بمحاكمته برلمانياً وإعلان عدم أهليته للقيادة.

فضيحة ووترغيت صنعت الصورة المعاصرة للصحافي الإستقصائي أكثر من أي قصة صحافية أخرى، إذ ألهمت هذه القصة جيلا من الصحافيين الشبان لا في الولايات المتحدة فحسب، ولكن في أوروبا ودول أخرى.[1] وفي أقل من عشر سنوات، أعيد تشكيل الجوانب الأساسية لمهنة الصحافة. إلا إنه يمكن القول بأمانة إن كثيرا من الصحافيين وأساتذة الصحافة وطلبتها لم يطلعوا مباشرة على تلك اللحظة الحرجة في تاريخ مهنة الصحافة. وبدلا من ذلك علموا بقضية "ووترجيت" من مصادر ثانوية.

استراتيجية هذا الجزء من المنهاج تكمن في الكشف عن الهوة التي تفصل بين الأسطورة والواقع في مجال صحافة الاستقصاء. وبالتنسيق مع المحاضر، يشاهد الطلبة فيلم "كل رجال الرئيس" الذي يروي وقائع فضيحة "ووترجيت"، ثم يفتح المحاضر/ة باب النقاش بناء على أسئلة سيوزعها عليهم؛ بناء على المعلومات المستقاة من الفيلم فقط. سيطلب منهم الأجابة على ما يلي:

- من غير "وودورد" و "برنستاين" قاموا بالنشر عن فضيحة "ووترغيت" ؟
بناء على الفيلم، ما هي الأساليب التي استخدمها وودورد وبرنشتاين. من الضروري التركيز في هذا السؤال على أسلوبهم في طرح الأسئلة وإجراء الحوارات وتقنيات العمل المنظم.

- بناء على الفيلم، من كان أهم مصدر لهما؟ وماذا كشف هذا المصدر؟

- بناء على الفيلم، ما هو الخطر الأكبر الذي واجهاه خلال التحقيق؟

- بناء على الفيلم، وبخلاف الصحفيين، من وقف أيضا معارضاً لنيكسون وسعى إلى تحقيق العدالة بشأن ما فعله.

[1] أنظر: مارك لي هنتر، الصحافة الاستقصائية في فرنسا والولايات المتحدة.
Hunter, Le Journalismed'investigation en France et aux Etats-Unis

يجب تشجيع الطلبة على تدوين ملاحظات أثناء مشاهدة الفيلم، وعلى المحاضر/ة وضع درجات للطلبة أثناء المناقشة بناء على تلك التدوينات.

وفي النهاية، يمكن للمحاضر أن يقول للطلبة: " ليس سراً بين الصحافيين الاستقصائيين أن الواقع في فضيحة "ووترغيت" كان مختلفا تماما عن الأسطورة التي حملها الفيلم، وذلك رغم أن كتاب "كل رجال الرئيس" لوودورد وبرنستاين - والذي ينبغي على المحاضر والطلبة قراءته - تضمن حقيقة ما حدث في هذه القضية".

- بداية، رغم أن وودورد وبرنستاين كانا المحرك الأساسي لقصة الفيلم، إلا أنهما لم يكونا الوحيدين؛ فقد كان لهما منافسون بمن فيهم أعظم محقق صحافي أمريكي في العصر الحديث وهو سيمور هيرش. وهنا فإننا ننصح المحاضر والطلبة بالإطلاع على مقالات هيرش على موقع مجلة "نيويوركر" ، خاصة قصته المتميزة التي كشف فيها عن وقائع التعذيب في معتقل أبو غريب بالعراق.[٢]

- يشير الفيلم إلى اعتماد الصحافيين بشكل كبير على المصادر المجهولة. ومنذ قضية "ووترغيت"، بات من بين قواعد المهنة ألا يتم استخدام معلومات من مصادر مجهولة، إلا إذا اتفقت عليها أربعة مصادر على الأقل.

- الفيلم تجاهل ابتكارات أخرى في الواقع مثل:

– قيام الصحفيين (وودورد وبرنستاين) بجمع وثائق من داخل حملة نيكسون الانتخابية ، بما في ذلك دليل التليفونات للحملة الذي تضمن أرقام تليفونات وأسماء ومناصب أصحابها، وهو ما أعتبر خارطة تنظيمية للتحقيق.

– الصحفيان استهدفا مصادر في مواقع إدارية دنيا، ذلك لأن أصحاب المناصب العليا كانوا سيضللونهما. فعمّال النظافة مثلا لم يروا ولم يسمعوا الكثير، في حين أن القيادات المتوسطة المستوى سمعت ورأت أكثر بكثير، ولكن لم يكن بوسعهم تغيير الواقع. هؤلاء هم من استهدفهم وودورد وبرنستاين.

– ذهب الصحفيان إلى المصادر في منازلهم من دون إشعار مسبق، ضمن استراتيجية للتعامل مع مصادر قد تتعرض حياتهم للخطر، أو لوجود احتمالات بالكشف عن تقصيهما قبل أن يحصلا على أي معلومات. تلك الاستراتيجية ثبتت جدواها.

[٢] يمكن الإطلاع على مقالات سيمور هيرش في مجلة "نيويوكر" عبر هذا الرابط:
www.newyorker.com/archive/2004/05/10/040510fa_fact

- ومن أجل الحفاظ على سياق الوثائق والحوارات التي حصلا عليها، طورا نظاماً لحفظ وترتيب المعلومات على غرار النموذج المعمول به في مكتب التحقيقات الفيدرالي، ألا وهو "مقاطعة المعلومات" أي أنه في حال أتى مصدر على ذكر أحداث مرتبطة بمصدر أخر يتم وضع نسخة من الحوارات في ملف كل مصدر. خلال اجتماعاتهما بالمصادر، لم يهتما حصرياً بالمعلومات، لكنهما أوليا أيضا اهتماماً بالمشاعر، خاصة مشاعر "الخوف/ القلق" من جانب المصادر، وهو ما نبههما -بالإضافة إلى المعلومات- إلى أهمية القصة التي يعملان عليها.

- لم يكن الخوف من الرئيس نيكسون أعظم خطر واجهه الصحافيان، إنما الخوف من أن يشطّا عن الاتهامات بأكثر مما تدعمه الأدلة. ففي لحظة ما من التحقيق، أدى عملهما إلى تدمير مستقبل ثلاثة رجال لم يرتكبوا أي خطأ. وفي لحظة أخرى توقف التحقيق مدة ستة أشهر، وكان هناك احتمال بألا يكتمل التحقيق بسبب نشرهما ادعاءات مغلوطة.(وهنا، على المحاضر أن يوضح للطلبة كيف حدث ذلك. ففي غمرة محاولاته اليائسة لتأكيد معلومة معينة، لجأ برنستاين إلى حيلة قامت على أساس أن ينهي المصدر مكالمة تليفونية في لحظة معينة، وهو ما لم يفهمه المصدر، وبالتالي فإن برنستاين فهم أن تلك كانت إشارة للتأكيد على المعلومة في حين أن الأمر كان عكس ذلك).

- ادعّى الفيلم أن الصحافيين كانا محايدين سياسياً، في حين أنهما في الواقع كانا خصمين لإدارة نيكسون الجمهورية، أو هكذا بدا الأمر؛ فغالبية الجمهوريين لم يسلموا أبدا بحقيقة ما جاء في التحقيق.[٣]

- الأهم هو أن وسائل الاعلام لم تكن الوحيدة التي عارضت نيكسون، لكن ما حدث هو أنه كلما تفاقمت أزمة الرئيس، انضمت لمعارضته قوى اجتماعية أخرى، بما في ذلك رجال أعمال احتقروا أساليب ابتزاز الحزب الجمهوري لهم في الحصول على الدعم المادي لمصلحة حملة الرئيس نيكسون.[٤] كما كان للقاضي الفيدرالي جون سيريكا دور بارز في المواجهة، وفي مؤشر على خطورة موقف الرئيس. وبفضل القاضي سيريكا، ضمّت النيابة دليلا مهما في القضية – ألا وهو التسجيلات الصوتية في البيت الأبيض، حيث تم التخطيط للجرائم– إلى السجلات العامة للقضية. ولا يرجع الفضل في الكشف عن هذا الدليل إلى الصحفيين وودورد وبرنستاين.

- يترك الفيلم انطباعا بأن "صاحب الصوت الأجش" "Deep throat" أو ما يسمى بـ "مطلق صافرة الإنذار" هو المصدر الوحيد في القصة، وأنه هو الذي زود الصحفييَن بالمعلومات التي أدّت إلى نجاح التحقيق، في حين كان دوره في الواقع مجرد التأكيد لهما على أنهما يحقّقان في قصة ذات أهمية بالغة. كما ساعدهما على تجنب الوقوع في أخطاء جسيمة.

[٣] راجع:
Becker, Lee B., Robin E. Cobbey, and Idowu A. Sobowale."Public support for the press." Journalism & Mass Communication Quarterly 55.3 (1978): 421-430.

[٤] انظر: جيمي بريسلين "كيف انتصر الطيبون أخيراً".
Breslin, Jimmy, How the Good Guys Finally Won : Notes from an Impeachment Summer. Ballantine Books, 1976.

(بعد أن يوضح المحاضر تلك النقاط، عليه سؤال الطلبة: ماذا غيرت تلك المعلومات في رؤاكم؟ وما الذي خرجتم به فيما يتعلق بنظرتكم إلى الصحافة الاستقصائية؟ قد يجيب البعض بأنها تشير إلى أن ذلك العمل لم يكن بطولياً وليس بالإثارة التي تخيلوها. وقد لا يقرّون بأن ذلك العمل بدا بعد هذه المعلومات أقل متعة وأكثر صعوبة. آخرون قد يعربون عن ارتياحهم لأنه ليس عليهم أن يخوضوا مثل هذه المعارك بمفردهم. وفي هذا الصدد، سيكون مطلوباً من المحاضر أن يوضح نقطتين لاختتام المناقشة):

- لا يوجد عملياً مثل هذا المصدر، الذي يمكن أن يكون مصدراً وحيداً للتحقيق. كما سيكون خطأ قاتلا أن يعتقد الصحفي أن "مطلق صافرة الإنذار" او "صاحب الصوت الاجش" سيزوده بالمعلومات التي يحتاجها كافة، وهو الخطأ الذي شاع في أعقاب "ووترغيت"، فيما لا يزال صحفيون محترفون يميلون إلى الاعتقاد بذلك.[٥] لذلك وبعد "ووترغيت" قال ناشر ومحرر صحفي لقراء صحيفته أنه من الضروري حماية المصادر والعيش معها. وبالتالي، فإن الجانب الأسطوري لفضيحة ووترغيت ترك انطباعا لصحافيين سذج بإمكانية تجاهلهم وسائل أخرى للحصول على المعلومات والتركيز على محاولة الحصول على أسرار من مصادر رفيعة.

- ويمكن للمحاضر أن يضيف: إذا كان لدى المصدر سر، فإن الأسباب التي تدعوه لإطلاعك عليه محدودة جداً، وأنه سيحاول على الأغلب التأثير عليك والتلاعب بك. وقد يذهب بعض الطلبة بظنونهم إلى حد محاولة العثور على مصدر سري يقوم بالعمل بالإنابة عنهم، وهم في هذه الحالة الطلاب الأقل موهبة والأكثر كسلاً. فإذا رفضوا أو بدأوا بالشكوى من محاولة تعليمهم طرقاً أخرى غير تلك التي يتخيلونها، فيفضل عدم إهدار الوقت معهم.

- لا يمكن للصحافي إنجاز العمل بمفرده، بل يجب أن يتشارك مع لاعبين آخرين في وسيلته الإعلامية وفي المجتمع، يمتلكون الاستعداد لمعالجة المعلومات التي يحصل عليها الصحافي والبناء عليها. وسنعاود الحديث عن تلك النقطة في الفصل السادس، أما في الجزء الآتي، فسنبحث دروسا عملية مهمة في صحافة الاستقصاء فيما بعد عصر ووترغيت.

[٥] راجع: كارلا ماريا روب، "الصحافيون الاستقصائيون يكشفون كيف ينجزون تحقيقاتهم"، Editor and Publishe. الاينار/كانون الثاني ١٩٧٥

كيف تبدأ القصص الاستقصائية

/ ساعة ونصف

يناقش هذا الجزء كيفية بحث الصحفيين عن موضوعات لتحقيقاتهم.

قراءة تمهيدية: تحقيق مجدولين علان، "آلاف الأطفال والنساء "المعلقات" ضحية سوء إدارة قسم التبليغ في المحاكم الشرعية" عبر موقع www.arij.net

وكتيب "ايمانويل مي "دموع المهاجرين الأفارقة" بنصه الانجليزي الصفحات ٤١–٤٩. ايضا: الصفحات ٤١–٤٩ و٥٠–٦٦.

تكليف تمهيدي مسبق: على الطلبة اختيار فكرة قصّة أو قصتين تثيران الأسئلة، قبل أن يدخلوا المحاضرة، والسعي للإجابة عن تفاصيلهما من خلال تحقيق. على سبيل المثال: قصة إخبارية تفيد بأن عدة مساكن في منطقة ما انهارت بفعل الأمطار الغزيرة. هذه القصة تطرح أسئلة من بينها: كيف يمكن أن ينهار منزل؟ من المسؤول عن فحص مواقع البناء وأساساتها ومنح التراخيص؟ هل تم استخدام المواد والتصميمات المطلوبة؟

3

2

1

أولاً: التعرف على الموضوع

سنركز منذ هذه اللحظة في المنهاج على المهارات التي تمكّن الطلبة من فهم القصة الاستقصائية ثم البحث في تفاصيلها وصولاً إلى استكمالها. هذه التقنية قد تثير حالة من الترقب والقلق لدى البعض. منشأ القلق هنا أنهم في الأغلب لا يتصورون كيفية عثور الصحافي على قضية ما تتطلب مزيداً من العمل. ويمكن للمحاضر هنا أن يطمئن الطلبة أنهم بمجرد أن يحدّدوا ما يبحثون عنه وكيف يتم ذلك، فإنهم سيجدون قصصا عديدة قابلة للتحول إلى تحقيقات استقصائية محتملة. بإمكاننا اكتشاف القصص التي يمكن ان تتحول الى استقصاء عبر:

أ: معلومة – بقايا قصة – الملاحظة

(أ–ا) يقول الصحافي البلجيكي الكبير كريس دي ستوب: "أنت لا تختار الموضوع، ولكنه هو الذي يختارك". ويقصد دي ستوب بذلك أن كل صحافي مؤهل لفهم قصص معينة أكثر من غيره من زملائه الصحافيين، وبالتالي، فإن الأشخاص الذين لهم مصلحة في أن تنشر قصة أو قصص بعينها هم الذين يسعون للصحافي. وبشكل أكثر عملية، فإن الصحافي الإنجليزي المستقل نيك دافيز (الذي كشف فضيحة التنصت على التليفونات في صحيفة "ذي جارديان") وضع خطة لتحقيق الهدف، تتمثل في كيفية عثور الصحافي على موضوع التحقيق. ويقول دافيز، إن الصحافي يبدأ بالتعامل مع واحد من أشكال متعددة من المعلومات، وهي:

- معلومة صغيرة ذات دلالة:

يوفر هذه المعلومة مصدر بشري، وقد يكون من أسباب تقديمها ملاحظة اطلع عليها المصدر وأثارت غضبه، وهو يريد من الصحافي أن يصلح ما بدا فاسداً أو ظالماً. هدف آخر من توصيل المعلومة قد يكون أن المصدر يستبطن ثأراً أو كيدية ويأمل في أن يستخدم الصحافي كأداة أو أن يكون المصدر متحمساً لاكتشاف أو تطور ما ويرغب في جلب الإنتباه إليه.

وفي كل الأحوال، فإنه في هذه الفئة من محفزات التحقيق، يزود المصدر الصحافي بقرينة أو قرائن مبدئية تتحول فيما بعد إلى تحقيق. وتعد قصة "سرقة الصحة في الفلبين" أنموذجا جيدا لما تكون عليه بداية مثل هذه التحقيقات. ويدورهذا التحقيق حول الكيفية التي تحول فيها قرار الانتقال من المركزية في خدمات الصحة في البلاد إلى اللامركزية وإلى ممارسات فاسدة. وقد بدأ التحقيق بمعلومة خلال اجتماع بين مجموعة غير ربحية من المتخصصين في المجال الطبي وبين أحد الصحافيين، إذ ذكرت المصاعب التي يلاقيها الأطباء في المناطق الريفية منذ أن تحولت مسؤولية الصحة إلى السلطات المحلية.[1] وتجدر الملاحظة هنا أن الاجتماع كان له هدف وبالتالي بات طرفا المعادلة يشتركان في هدف واحد:

الصحافي يبحث عن معلومات قد تتحول إلى تحقيق، في حين أن المصدر يستهدف صحافياً يهتم بالمعلومات التي يقدمها. وهنا يجب أن ينبه المحاضر الطلبة إلى إنه في حال لم يكن الصحافي مستمعاً جيداً، فلن ينجم عن ذلك تحقيق، وإذا حدث وأنجز تحقيقا فإنه لن يكون تحقيقا جيدا.

[1] أنظر: مارك لي هنتر، الصحافة الاستقصائية في فرنسا والولايات المتحدة.
Hunter, Le Journalismed'investigation en France et aux Etats-Unis

(أ-٢): البقايا:

وهي في الثقافة الأمريكية تعني بقايا الطعام التي قد تستخدم لاحقاً أو تلقى بعيداً. وهنا، يمكن القول إن وسائل الإعلام زاخرة بمثل هذه البقايا من القصص التي تكاد تصرخ قائلة: "هناك المزيد لما يجب الكشف عنه بداخلنا" إلا إنها تترك لتتعفن. وعن ذلك يقول الصحافي والت بوجدانيش في صحيفة "نيويورك تايمز" والحائز على جائزة بوليتزر: "إذا قرأت الصحيفة التي تعمل فيها، ستجد كافة أنواع الخيوط في القصص التي تؤدي إلى تحقيقات ولكن لم يتح لكاتبها الوقت الكافي ليتحرى عنها".

وهنا يجب الانتباه إلى أن هذه الخيوط هي حقائق تبدو غريبة أو خارج السياق في القصة الأصلية المنشورة.[٢][٣]

ومثال ذلك التحقيق الذي انجزه الصحافي المستقل نيك ديفيز حول تنصت صحيفة (نيوز أوف ذا ورلد) على هواتف مشاهير، سياسيين وعائلات ضحايا. إذ انطلق التحقيق من خبر كتبه زميل صحافي عن عملية القبض على أحد قراصنة الهواتف كانت تلك الصحيفة قد استأجرت خدماته، ناقلا على لسان محررها أنه حادث فردي. على أن ديفيز استبعد صدقية ذلك الخبر وشرع في تحقيق استقصائي حتى رصد حالات مماثلة كانت كافية لكي يلعب هو وتحقيقه دورا كبيرا في إغلاق تلك الصحيفة.[٤]

وقد يحمل الطلبة قصصاً من الصحف تحتوي على مثل هذه البقايا الثمينة. وللعثور عليها يمكن للمحاضر أن يسأل:

ما الذي تقوله القصة؟ وما الذي عجزت عن قوله؟ وإذا أجاب أحد الطلبة إنه يستشعر أن شخصا ما يتستر على شيء ما، فيجب سؤاله: من؟ وعلى ماذا يتستر بالتحديد؟ إذا أجاب الطالب بأن التستر كان على فساد، فيكون السؤال: ما نوع الفساد؟ وهل تلقى أحد رشوة للقيام بذلك؟ وإذا طالت المناقشة عن الحد، يمكن للمحاضر القول: "سنعالج مثل هذا التمرين في الأسابيع المقبلة، و سنحاول ملاحظة أي شيء يبدو غريبا ونحاول أن نعلل هذه الغرابة، قبل أن نرى كيف سنتحقق منه".

[١] انظر:كارلا ماريا روب، "الصحافيون الاستقصائيون يكشفون كيف ينجزون تحقيقاتهم" Editor and Publisher الاينار/كانون الثاني ١٩٧٥.مصدر سابق تمت الاشارة اليه في الفصل الثاني.

[٢] راجع الرابط http://www.talkingbiznews.com/1/going-against-the-conventional-wisdom/

[٣] ايضا انظر هذا الرابط:
http://businessjournalism.org/2011/06/10/nyts-bogdanich-jss-fauber-on-how-to-get-people-to-talk-to-you/

(أ–٣) الملاحظة:

وتتمثل في الأسئلة الناجمة عن الملاحظة بخصوص أحداث أو حقائق لاحظها ورصدها الصحافي، ويمكن أن توحي بظواهر أشمل. بمعنى آخر، ملاحظات تفجّر مكنون الأسئلة، وذلك قبل أن نبدأ في التفكير فيما لاحظناه من زوايا مختلفة.

وفي الأغلب، فإن القصص التي تنشأ من خلال الملاحظة تكشف عن مشكلة تبدو مخفية، مع أنها تقع أمام أعين الجميع، لكن لا أحد ينتبه إليها. ولعل أفضل أنواع الملاحظة تلك التي تتعلق بحقائق غريبة لم يتنبّه إليها عامة الناس أو الصحافيون بسبب استعجالهم. مثال على ذلك التحقيق شديد التميز حول البغاء القسري في أوروبا، والذي نفّذه الصحافي البلجيكي كريس دي ستوب.

وقد بدأ التحقيق حين لاحظ الصحافي البلجيكي اختفاء جميع العاهرات الأوروبيات من شوارع بروكسل لكي تحل محلهن أفريقيات. وكان السؤال: كيف يمكن أن يحدث مثل هذا التحول في يوم وليلة. في ذلك الوقت كانت الشرطة وإدارة الهجرة تعتقد بأن المسألة فردية وشخصية، وبأن أولئك العاهرات جئن بمبادرة منهن لتحسين ظروفهن المعيشية. أما دي ستوب، فاتجه تفكيره إلى وجود منظمة وراء ذلك التحول. وبما أن الدعارة غير مشروعة في بلجيكا، فتصبح هذه المنظمة إجرامية بالضرورة.

وهذا هو المبدأ: إذا حدث تغير مفاجئ في البيئة المحيطة بك، فإن ذلك يعني أنه قد تكون هناك قصة وراء ذلك.

- تمرين منزلي على الملاحظة

يمكن للمحاضر أن يكلف الطلبة بتمرين منزلي ليتدربوا من خلاله على شحذ قدراتهم على الملاحظة، مثل:

- اسأل كل طالب أن يذكر مكاناً اعتاد الذهاب إليه بشكل دوري مثل الشارع الذي يسكن فيه أو مطعم يرتاده من وقت لآخر.

- سيذهب كل طالب إلى المكان المحدد ويحاول ملاحظة الأشياء التي تغيرت فيه منذ آخر مرّة كان هناك. قد يلحظ كتابة على الحائط أو أشخاصا غرباء يزورون المكان. كما يجب على الطالب أن يدقق في كل شيء يمكن أن يكون له علاقة بهذا التغيير. وفي هذا المقام، ينبّه المحاضر الطلبة إلى أهمية أن تستند الملاحظة إلى حقائق موجودة، وألا يتم خلطها بآراء تحت أي ظرف من الظروف.

- فلا يكفي أن نقول إن هذا المكان قذر جدا، ولكن يجب أن نترجم ذلك إلى حقائق محددة.

- تحليل تحقيق: "آلاف الأطفال والنساء "المعلقات" ضحية سوء إدارة قسم التبليغ في المحاكم الشرعية" عبر موقع شبكة أريج www.arij.net

سنقدم أنموذجاً قوياً لتبيان كيف يمكن لقصة عظيمة أن تظل غير مروية ببساطة لأن راويها المفترض لم يلحظها. تبدأ قصة مجدولين علان بملاحظتها حول خذل نظام القضاء الشرعي أختها مرارا في الأردن. كما لاحظت وجود العديد من المطلقات على غرار أختها، حرمن بالغش والخداع من نفقتهن الشرعية.

بموجب القانون في الأردن، فإن المحاكم الشرعية هي القائمة على إنفاذ حق المطلقة في الحصول على نفقة من طليقها. إلا إن العاملين في هذه المحاكم لا يتقاضون رواتب عالية أو حوافز ويعانون من الفقر وزيادة حجم العمل، ما يؤدي إلى الإهمال والتحايل في إنجاز مهماتهم. وتحرم هذه التجاوزات العديد من المطلقات ليس فقط من حقهن في النفقة، بل من حقهن أيضا في رؤية أبنائهن.

على المحاضر البدء بالشرح أن الكشف المحوري في هذه القصة جاء نتيجة لملاحظة مجدولين في قضية شخصية. مثال على معاناة المطلقات، تلك الحقيقة البسيطة المتمثلة في إجبارهن على الاختيار بين الجلوس على الأرض أو الوقوف بسبب غياب المقاعد في المحاكم. وهنا يسأل المحاضر:

ماذا يعني عدم وجود مقاعد للنساء؟ والإجابة هي أن تلك المعلومات هي ملاحظات مبدئية تؤشر إلى ظلم متغلغل ستكشفه القصة حين تتبلور.

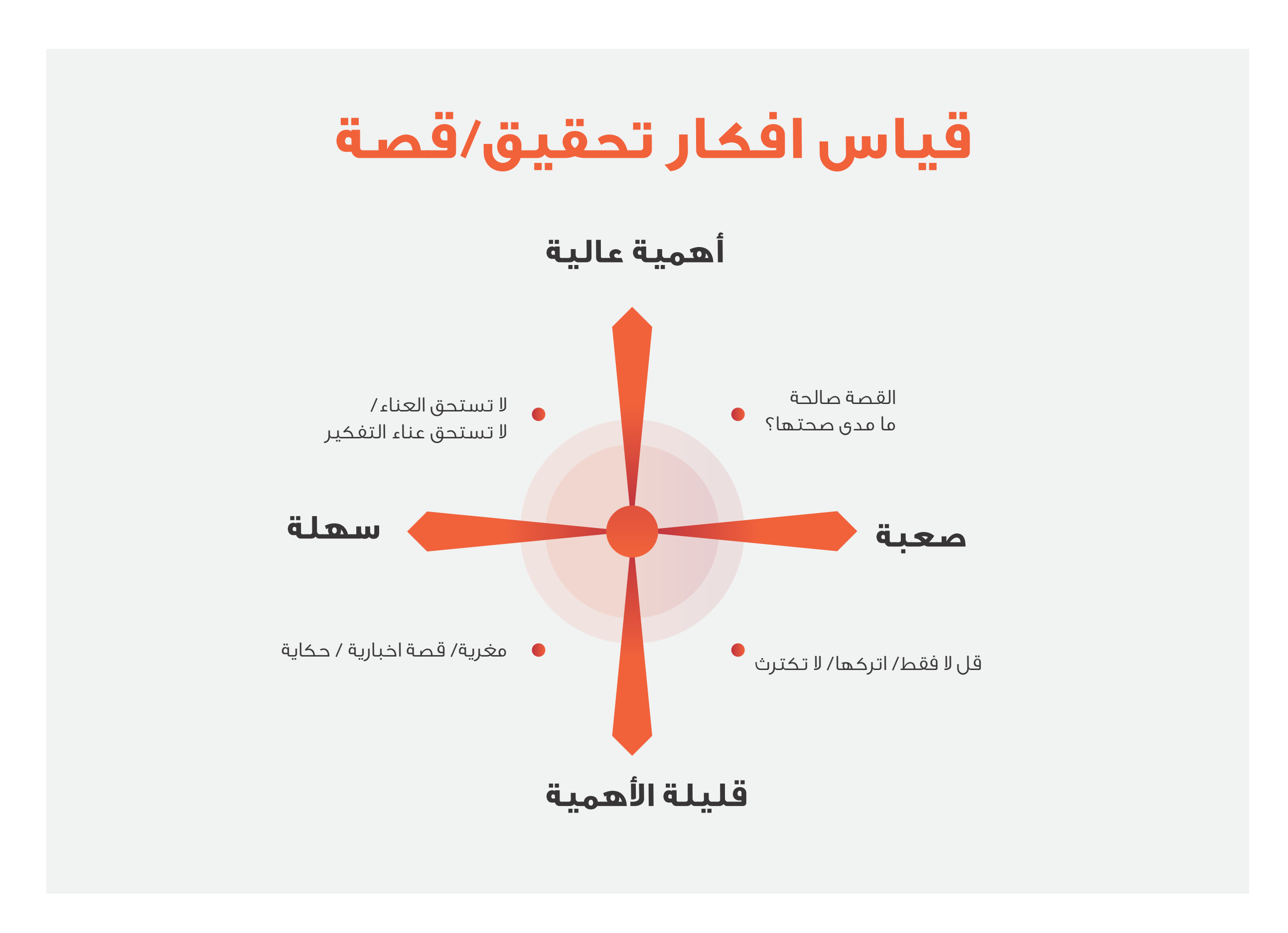
والسؤال التالي: لماذا لم يلحظ آخرون ما لاحظته مجدولين؟

في الحقيقة، قد يكون هناك آخرون لاحظوا ولكن إما أنهم ظنّوا أن تغيير الواقع أمر صعب أو أن ذلك أمر طبيعي. وعلى العكس من ذلك، صدمت مجدولين بهذه الحالة المهينة.

وبعد ذلك بإمكان المحاضر أن يقول إن مجدولين راقبت المشهد ليس فقط بعيونها بل بعواطفها. وبعدها قد يقول المحاضر: لا مانع من أن يكون لدى الصحفي ردة فعل عاطفية على ما شاهد. لكن بعد ذلك عليك التأكيد على أن ما رآته مجدولين حقيقي و أن المشاعر لا تخدعها. وهذا ما حدث مع مجدولين. ففي البداية، غضبت لما رأته، ثم ركزت لكي تعثر على العوامل التي أسهمت في الوصول إلى هذا الوضع بدلا من الغرق في مشاعرها. ثم جاء دور الاكتشافات من خلال الاستماع لنساء وقعن ضحايا لهذا النظام؛ مثل حقيقة اضطرارهن دفع رشاوى للعاملين في هذه المحكمة. وقد اكتشفت مجدولين أن بعض العاملين في المحكمة ليس لديهم خيار سوى تقاضي رشاوى لأن رواتبهم وبدلات التنقلات لا تتيح لهم القيام بمهامهم. وجدير بالملاحظة أن مجدولين لم تكن تسعى لإلقاء اللوم على أفراد، ولكنها كانت تستهدف فحص نظام التبليغ في المحاكم، ما يمثل معضلة تقليدية في التحقيق الاستقصائي: هل نحن نهاجم الأشخاص أم نستهدف إصلاح النظام الذي مكنّهم من الفساد؟

ويثير تحقيق مجدولين سؤالين رئيسيين حول اختيار القصة موضع التحقيق: "هل القصة تستحق العناء؟".

فهناك دائما قصص كثيرة متاحة للتحقيق فيها، وهي أكثر مما يمكن أن ننجزه. ولذا، فإن على الصحافي أن يقدر الوقت والموارد الضرورية للمهمة وأن يقيّم أيضا إذا ما كانت القصة تستحق ذلك؟ وتساعد الخارطة المرفقة في التعرف على: هل القصة تستحق أم لا؟ وقد وضعت هذه الخارطة الصحافية ديبرا نيلسون الحائزة على جائزة بولتزر.



وفي مناقشة أهمية الخارطة، يمكن للمحاضر أن يسأل الطلبة: ما الذي يكسب القصة أهمية أو العكس؟

خلال النقاش، لا تسمح للطلبة بتقديم إجابات عمومية، ولكن ألزمهم دائما بأشياء محددة. مثال على الإجابات الجيدة:

- القصة تدور حول ضحايا دمرت حياتهم أو تعرضوا للقتل. وهنا يشير المحاضر إلى أن القصة يمكن أن تظل مهمّة حتى لو كان المتضرر من التجاوزات أو الإساءات شخص واحد.
- ولكن أهمية القصة تزداد بصورة طردية مع عدد الناس المعنيين بالضرر أو المعاناة ومدى ما تعكسه تلك المعاناة من خلل في الأنظمة التي تحكم وتنظم حياتنا، من قبيل: ظروف العمل غير الآمنة، الفساد، السلع المغشوشة، الخ.

- القصة تدور حول نظام أوأنظمة أو مؤسسة ضربها الفساد أو مؤسسة ينخرها عدم الكفاءة. وفي هذه الحالة، كلما زاد حجم المؤسسة أو الأنظمة ازدادت أهمية القصة، وهو ما ينطبق على قصة مجدولين. فهذه القصة تتعلق بمؤسسة يعمل فيها المئات وتتحكم في مصائر آلاف المطلقات وأخريات سيتطلقن في المستقبل.

- بعض القصص تكتسب أهميتها من كونها تقدم أنموذجاً يعكس أوضاع الآخرين ومعاناتهم. ومثال على ذلك قصة إيمانويل مايا "أوروبا عبر الصحراء: دموع مهاجر أفريقي"، والتي تعد أول تقرير متعمق عن المأساة المستمرة لملايين الأفارقة، بلسان صحافي قرّر أن يتقمص دور المهاجر. هذه القصة، التي باتت تحقيقاً، انطلقت من بقايا قصة خبرية حصلت في عام ٢٠٠٩ حول إعدام مهاجرين غير شرعيين في ليبيا ووجود ٢٠ نيجيريا ينتظرون تنفيذ الإعدام.[٥]

بعد مناقشة الطلبة في هذه المواضيع، يمكن للمحاضر أن يسأل:

أي من تلك العناصر يمكن رؤيتها في قصة مجدولين؟ هل هي قصة مهمة؟ وإذا كانت كذلك، فما الذي يكسبها الأهمية ولمن؟ ومرة أخرى، يجب أن يلتزم الطلبة بأن يكونوا محددين في إجاباتهم. فليس مقبولا أن تكتفي بالقول: هذه القصة مهمة للمجتمع الأردني، بل تكون الإجابة على النحو الآتي:

القصة مهمة للمطلقات في الأردن لأنها تستهدف إزالة أسباب معاناتهن - ولكنها أيضا مهمة من أجل إصلاح النظام القضائي الشرعي وإصلاح أحوال العاملين فيه بما لا يضطرهم لتقاضي رشاوى.

ثانياً: ما العائد على استثمارك؟

إذا نجحت قصة مجدولين، حتى ولو جزئيا، فإنها ستؤدي إلى إصلاحات في القضاء الشرعي. وعلى أقل تقدير، سيقل عدد الأشخاص الذين سيعانون في المستقبل نتيجة النظام الظالم غير الكفؤ، وهو أول ما يستهدفه التحقيق الاستقصائي: عالم أفضل، وهي أعظم جائزة قد يحصل عليها أي صحافي.

إلا أن ذلك ليس البعد الوحيد الذي ينبغي على الطلبة تدبره. فعليهم التفكير في العائد الذي يمكن أن يحصلوا عليه من استثمار وقتهم وحماسهم في التحقيق.

طرحنا هذا السؤال على مئات الطلبة والصحافيين العاملين، إلا إننا لم نجد منهم من يفكر في أكثر من عنصر أو عنصرين من تلك العوائد، ومنها:

- المال، سواء كان مكافأة بدل التحقيق، أو مشروعات أخرى ستقوم عليه مثل إعداد كتاب.

- الإشادة بالتحقيق والاعتراف بمزاياه والذي يمكن أن يترجم إلى مزيد من الشهرة أو الحصول على جوائز مهنية.

[٥] الكتاب، ص ٦٥

- مزيد من التقدير للوسيلة الإعلامية الناشرة سواء بتعزيز السمعة الطيبة القائمة أو زيادة حجم متابعيها ومزيد من العوائد المادية.

- فرص عمل أفضل في المستقبل.

- دعم المهارات المهنية.

- علاقات جديدة مع المصادر ومع جهة العمل.

ورغم أن مسألة المردود قد تثير حرجاً لدى الطلبة، إلا إنه يجب على المحاضر أن يدفع بها، وأن يؤكد أن الهدف من العمل أيضا، هو العائد المعنوي والمادي. وهذا ما حدث مع مجدولين علان. فإلى جانب ما حققه عملها من إصلاح لنظام القضاء الشرعي، فإنها فازت بجائزة على عملها ولمع إسمها في حقل صحافة الاستقصاء في العالم العربي.

ولكن يمكنك - كمحاضر - أن تطرح على الطلبة حقيقة أن مجدولين عندما بدأت التحقيق كانت مبتدئة مثلهم، فما المهارات والمعارف التي اكتسبتها خلال قيامها بهذا التحقيق؟ ويمكن أن تتضمن الإجابات ما يلي:

- تعلمت كيف يمكن إجراء الحوار مع الضحايا، ليس مجرد الاستماع إليهن وإنما تشجيعهن على التحدث عن قصصهن، وهي المهارة الأصعب التي يفشل كثير من الصحافيين في
- اكتسابها. والسبب في ذلك أن الضحايا يعانون من الألم والحيرة والخوف، وهو ما سنتحدث عنه بإسهاب في الفصل الخاص بالحوارات والمقابلات.

- تعلمت كيفية إجراء المسوحات واستخلاص نتائجها.

- تعلمت كيفية استخلاص معلومات حساسة من أشخاص يقومون بأشياء غير أخلاقية أو غير مشروعة. وقد فعلت ذلك بسؤالها المسؤولين حول إذا ما كانت النساء / الضحايا ينطقن كلمة الحق فيما يتعلق بإجبارهن على دفع رشاوى. وبدلا من أن تسأل المرتشين: " لماذا ترتشون؟ سألتهم لماذا تحتاجون لهذه الأموال؟ وكانت الإجابة: "لأنهم لا يمتلكون تكاليف التنقل وتوصيل البلاغات بأحكام المحكمة، وأن الرشاوى هي الوسيلة الوحيدة لتعويضهم ماديا". ورغم أن ذلك ليس بالضرورة التفسير الوحيد لتقاضيهم رشاوى، فإنه من المرجح أن يكون أحد الأسباب، وبالتالي تعلمت مجدولين عدم إصدار أحكام على الناس قبل أن تستمع إلى قصصهم.

- اكتسبت مجدولين الثقة في قدرتها على القيام بمشروع معقد كهذا وإنجازه بنجاح؛ ثقة ساعدتها على تحمل الضغوط التي مارستها عليها السلطات بعد النشر، وبالتالي تعلمت كيف تدافع عن قيمها الشخصية والمهنية وعملها.

وقبل الانتهاء من المناقشة ينبغي إيضاح التالي للطلبة:

عند البدء في تحقيق استقصائي، اسأل نفسك إن كنت ترغب في أن تصبح خبيراً في موضوع التحقيق. ولمزيد من التوضيح يمكن توجيه السؤال التالي:

- ما هي الموضوعات والقضايا التي تهتم بها؟ وما الشيء الذي تريد أن تعرفه عن هذه القضايا ولم تكن تعرفه سابقا؟

لست بحاجة للحصول على إجابات كاملة أو نهائية من الطلاب. ولكن يجب على الطلبة أن يضعوا هذه الأسئلة دائما في أذهانهم. فإن لم يجدوا ما يهتمون به، ولم يكن هناك ما يثير فضولهم، فستكون مهمتهم في الالتزام غير كافية. ومن الأفضل لهم اكتشاف هذا الالتزام في الفصل الدراسي بدلا من محاولة اكتشافه في الميدان. هنا يجب أن توضح للطلبة أنهم ليسوا بالضرورة بحاجة إلى أن يكونوا محققين صحفيين، ولكن عليهم أن يحرصوا على الاهتمام بما يمكنهم التحقيق فيه.

صياغة الفرضية

/ ٣ ساعات

قراءة تمهيدية للمحاضر والطلبة: الفصل ٢ (الصفحات ١٣-٢٦) مارك لي هنتر "التحقيق المبني على قصة"، من دليل الاستقصاء (على درب الحقيقة - دليل أريج للصحافة الاستقصائية العربية)، منشورات اليونسكو ٢٠٠٩.

قراءة تمهيدية للمحاضر: الجزء الأول من الفصل الأول (الصفحات ٩-١٥)، لوك سينجرو مارك لي هنتر: "السيناريو الخفي"، رسم وتخطيط التحقيقات الاستقصائية، مركز الصحافة الاستقصائية. منشورات لوغان، لندن ٢٠١٢.

قراءة تمهيدية للطلبة: على درب الحقيقة: الصحافة الاستقصائية– مساق تدريبي اليكتروني مجاني



ما بين عام ١٩٧٠ وعام ٢٠٠٠ تقريباً، لم يكن هناك منهاج متكامل للصحافة الاستقصائية. ولكن خلال السنوات العشر الماضية، تغيرت الصورة بشكل جذري. ففي الوقت الحاضر، يستخدم الصحافيون منهجاً متكاملاً في عملهم الاستقصائي، بما يميزهم عن زملائهم غير الاستقصائيين.[1] وفي هذا الجزء، سنعرض لمنهاج أساسي لصحافة الاستقصاء، ألا وهو استخدام الفرضيات لتأطير البحث الاستقصائي والاسترشاد به أثناء الاستقصاء. هذا المنهاج طرحته الشبكة العالمية للاستقصاء عقب تأسيسها في عام ٢٠٠٣. وهو لا يعتمد على البناء النظري، وإنما تم استنباطه من العمل البحثي الميداني، والذي يطرح حلولا للمشكلات التي تظهر أثناء الممارسة.

فلا يمكن أن نجري استقصاءً دون أن نعرف ماهية القضية التي نستقصيها والشيء الذي نبحث عنه؟ بخلاف ذلك سنغرق في المعلومات التي نحاول البحث عنها وسنظل ندور في دوائر دون أن ندرك مكامن المعلومات التي نبحث عنها. ولهذا، فنحن بحاجة إلى أن ندرك ما هي القصة وما جوهرها قبل أن نشرع في الاستقصاء، وهل حصل الأمر بهذا الشكل أم بشكل آخر؟ بمعنى آخر، نحن بحاجة إلى فرضية أو إلى تفسير مبدئي مقترح مبني على دليل أو أدلة محدودة كنقطة بداية لإجراء مزيد من التقصي.[2]

وفي هذا القسم سيتضح للمحاضر - ومن ثم سيتعلم الطلبة– كيفية استخدام هذا المنهاج. وبناء على ذلك سيساعد المحاضر الطلبة في وضع فرضيات للاستقصاء بأنفسهم، وهي التي ستؤطر وتوجه تحقيقاتهم تحت إشرافه شخصياً.

(أ): شرح استخدام الفرضيات في الصحافة

لنفكر في ذلك العالم الذي يسعى لإثبات أو نفي وجود مصدر للوباء. أول ما يفعله هذا العالِم هو جمع وتقدير الحقائق المتاحة مثل: مدى تشابه الوباء الحالي مع أوبئة سابقة شهدها العالم أو قرأ عنها، والنقطة التي شكلت بداية الوباء، ثم النقطة التي انطلق إليها، وكيف انتقل من نقطة البداية إلى نقطة النهاية، وذلك تمهيدا لصياغة فرضية تتسق مع هذه الحقائق والمعطيات.

وبعد ذلك ينطلق العالم للتحقق من عناصر محددة في الفرضية، وذلك أثناء سعيه لجمع مزيد من الحقائق. ويجب على العالم تقبل فكرة تغيير الفرضية إذا ظهرت حقائق جديدة تقتضي ذلك؛ فالقاعدة هي أن الفرضية تطرح ليتم إثباتها أو نفيها بهدف الوصول إلى تفسير صحيح. فالفرضية ليست هي الحقيقة النهائية، وإنما هي أداه للوصول إلى الحقيقة.

وبالطريقة نفسها، يطرح الصحافي الاستقصائي الفرضية قبل أن يشرع في التحقق من صحتها، وبالتالي إثبات أن القصة حقيقية. ومن خلال هذه العملية، فإننا إما أن نخلص إلى نتيجة بصحة القصة أو أن نكتشف أدلة تؤدي إلى قصة أخرى.

[1] انظر: مقدمة الكتاب. الصفحات : ٧-٨-٩-١٠

[2] تعريف الفرضية حسب قاموس اوكسفورد.انظر الرابط
http://www.oxforddictionaries.com/definition/english/hypothesis

ويجد كثير من الصحافيين صعوبة في فهم هذا المنهاج، وقد يحتج بعضهم بالقول إن افتراض حدوث شيء ما قبل إستطلاع حقائق الموضوع كافة ليس من أخلاقيات الإعلام. هذا صحيح ولكن في حالات محدودة للغاية.

وبالطبع، لا يستطيع الصحافي/ة نشر النسخة الأخيرة من القصة قبل جمع كل الحقائق المتعلقة بها وتقييمها. إلا أنه يمكنه استخدام مخيلته بناء على ما سمعه وقرأه وعايشه بشأن موضوع معين حتى يقوم باستنتاج ما يمكن أن يكون قد حدث، ومن ثم يختبر هذا الاستنتاج. بالإضافة إلى ذلك، من الصعب جدا أن تتقصّى موضوعا بمراكمة كم هائل من المعلومات عنه قبل أن تخرج بفهم واضح ونتائج أو خلاصات. فإذا فعلت ذلك، فإنك ستغرق في بحر من التفاصيل العشوائية. ولهذا، ومن أجل الاستقصاء السليم، لابد من طرح فكرة مبدئية ومرحلية حول ما نتقصى.

وغالبا ما يضع الصحافيون فرضياتهم من خلال ردود فعل قائمة على حالة اللاوعي، ما يدفع الصحافي للذهاب إلى موقع الحدث حاملاً رأياً مسبقاً أو حتى أحكاماً مسبقة حول ما سيجده. وإذا كان هذا الصحافي خاملاً وكسولاً، فسيكتفي بجمع الحقائق التي تدعم فكرته المبدئية وينهي القصة هنا. فإذا كان هذا الصحافي الكسول محظوظاً، فإن ما سيقدمه من تضليل لن يصيب أحدا لا بشكل مباشر ولا غير مباشر. إلا أن النتيجة يمكن أن تكون أكثر ثراءً إذا تقبل الصحافي حقيقة أن الفكرة المبدئية يمكن أن تكون مغلوطة، وكان مستعدا لاستبدالها بأخرى تتسق مع الحقائق بشكل أكبر. ومثال على ذلك، يقول توماس فريدمان: "عندما حققت في مذبحة صبرا وشاتيلا خلال الغزو الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، جانب مني أراد أن يثبت مسؤولية إسرائيل، في حين رغب الجانب الآخر في إثبات العكس. هذان الجانبان مثلا فرضيتين متناقضتين لا يمكن أن يصحا في وقت واحد؛ ففي النهاية يجب أن تصح فرضية واحدة فقط. إلا أن كلتا الفرضيتين مثلتا نقطة انطلاق جيدة للتحقيق، ذلك أن واحدة منهما يمكن أن تكون هي الحقيقية. وبالتالي، فإن الفرضيتين مفيدتان، لأنهما يحصران تركيز الصحافي في البحث عن إجابة للسؤال الرئيسي، وهو:

كيف حدثت المذبحة؟ وهذا هو الأمر الأكثر أهمية، إذ أنه من دون ذلك سيركز الصحافي فقط على الدمار والخراب الناجم عن المذبحة فقط ويتجاهل السبب. وأيضا، فإن السؤال الرئيسي هذا مهم جدا، لأننا إن لم نبحث عن شيء ما، فإننا لن نجده. وفي النهاية، توصل فريدمان إلى أن الإسرائيليين هم المسؤولون عن المذبحة، والنتيجة كانت تحقيقا حصل على جائزة بوليتزر للصحافة.[٤]

ومن وجهة نظر الصحافيين، فإن الفرضية هي ما نعتقد أنه قد حدث. وبالتحقق من الفرضية نعثر على معلومات جديدة تعطينا فكرة أصدق لما حدث، ومن ثم نعدل الفرضية بحثا عن مزيد من المعلومات. وفي النهاية فإن الفرضية التي نحقق فيها والمعلومات التي تدعمها تكون هي جوهر القصة التي عثرنا عليها وسنسردها لاحقا.

[٣] انظر Friedman, Thomas L., 1989, From Beirut to Jerusalem, New York: Doubleday, pp. 162-163

[٤] راجع:
Thomas L. Friedman, “the Beirut Massacre: the Four Days”. New York Times, Sept. 26 1982, via http://www.nytimes.com/1982/09/26/world/the-beirut-massacre-the-four-days.html

(ب): معايير وضع الفرضيات

يجب على أي فرضية أن تمر بعدة اختبارات:

١- أن نأخذ بعين الأعتبار أفضل المعلومات التي لدينا

الفرضية ليست مجرد تكهن. على سبيل المثال، نحن لا نفترض وجود مخلوقات فضائية لتفسير بناء أهرامات الجيزة. كما أننا لا ننظر إلى حدث ما ونقول: "لا يمكن أن يكون ذلك إلا نتيجة مؤامرة" من دون أن تكون لدينا معلومات توحي بذلك. كذلك، فإننا لا نخترع حقائق لتفسير ما لا نستطيع رؤيته، ولكننا نضع نظرية تراعي وتستوعب ما نعرفه ونراه بالفعل وما نسعى إلى التحقق منه. مثال على ذلك: لنفترض أن منازل مبنية على تلة انهارت عقب هطول أمطار غزيرة، فنحن نعلم في هذا السياق أن المنازل تبنى طبقا لمواصفات وإجراءات تنظيمية، ومن ثم فإننا نفترض التالي:

- تم تجاوز إجراءات البناء التنظيمية سواء من خلال المقاول أو المفتش الذي رخص بصلاحية البناء، أو من جانب الاثنين معا.
- أو ان الإجراءات التنظيمية غير كافية لعدم استيعابها الظروف الاستثنائية مثل الأمطار الغزيرة.

٢- ضرورة تضمين الفرضية عناصر محددة يمكن التحقق منها:

في الأغلب، فإن معظم الطلبة يعانون من مفهوم مغلوط على غرار معظم الصحافيين، وهو أمر يتعلق باعتقادهم أنه يكفي للحصول على معلومات مهمة أن يتصلوا بالمصادر ويطلبوا منها الحقيقة. ولإظهار عبثية ذلك الأسلوب أطلب من أحد الطلبة أن يلعب دور مراقب بناء واسأله:

"هل قبلت رشوة للتصريح بالبناء المخالف؟ وقد يجيب الطالب متفكها: "بالطبع، وهذه عادتي". في هذه الحالة، يكون الرد مازحا "أشكرك، وسأودعك السجن إن لم يسبقني أحد اقارب الضحايا إلى قتلك".

وهذه هي النقطة، لا يمكن لأحد يتمتع بالذكاء أن يتطوع بتقديم معلومات لصحافي لمجرد أن الأخير طلب ذلك. إلا إنه يمكن للعديد من المصادر أن تؤكد أو تنفي معلومات بحوزة الصحافي. وببناء فرضية، سيكون لدينا تصور أكثر وضوحا للمعلومات التي يجب الحصول عليها قبل أن نتكلم مع أي شخص أو جهة، وهي الحقائق التي تجعل الصحافي أكثر قوة لدى بدء الحوار.

وقد يحتج بعض الطلاب بأنه يمكن للصحافي أحيانا جمع مادة حساسة ومهمة قبل أن يبدأ التحقيق، خصوصاً إذا تحاور مع أسر الضحايا أومع شهود كارثة أو جريمة ما. هذا صحيح، إلا أنه ليس لدى هؤلاء الشهود المعلومات المهمة التي سيحصل عليها الصحافي، والتي ستكون ذات أهمية في مسار التحقيق بعد مرحلة الكتابة عن الكارثة ووقوعها إلى أن يصل إلى مرحلة أسباب وقوعها.

وفي هذا السياق، تلزمنا الفرضية بأن نأخذ في الاعتبار الإجراءات المنظمة للبناء فضلا عن الظروف المناخية. وفي الوقت الذي يكون منافسونا مشغولين بنقل ردود الأفعال الرسمية وإجراء حوارات مع ناجين وفرق الانقاذ، حيث يمكننا أن نسبقهم باستخدام المصادر المفتوحة مثل السؤال عن:

- كميات الأمطار التي هطلت؟ (يمكن الحصول على هذه المعلومات من مصلحة الأرصاد الجوية). ما مدى انحدار التلة؟ (بامكاننا الذهاب الى موقع الحادث ومعاينة التلة).
- من يمتلك تلك المنازل؟ من بناها؟ بالطبع يمكن أن يزودنا الجيران بأسماء مالكي العقارات المنهارة، ولكن يمكن أن نكون أكثر توثيقا إذا ما حصلنا عليها من البلديات أومن مصلحة التسجيل العقاري. وإذا لم تكن مثل هذه المعلومات موثقة لدى جهات رسمية، فسيكون هذا أول دليل نحصل عليه يثبت أن البناء غير قانوني، ما سيثير الأسئلة التالية: لماذا تم السماح بالبناء؟ ومن سمح به؟
- ما هي الإجراءات المنظمة للبناء والتي تضمن سلامة أساس البناء؟ (يمكن الحصول عليها من البلديات أو إدارات المحافظات).
- من يقوم بتنفيذ هذه الإجراءات والرقابة عليها؟ (البلديات أو إدارات المحافظات).
- هل تم فحص هذه المنازل؟ (قد نكتشف أن سجلات التفتيش موجودة ومتاحة لدى البلديات أو المحافظات)

ستمكننا الفرضية من التمييز بين الحقائق التي يمكن أن نتحقق منها وكيف نتحقق منها وبين تلك الحقائق غير المفيدة. إذا كانت الفرضية تدور حول مسألة "أن المباني انهارت بسبب رشاوى تقاضاها مفتشون"، فإن تركيزنا سيكون حول ما إذا كان بإمكاننا أن نصل إلى شاهد على هذه العملية. وهذا سيجعل الفرضية بلا فائدة لأنها لن تقودنا إلى مصادر معلومات تعيننا على التقدم في غياب المعلومات. ففي حال وجود رشاوى، لا يمكن لأحد على علاقة مباشرة بالرشوة أن يتحدث بما يعرفه لصحافي؛ ببساطة لأنه في الغالب سيكون طرفا في الجريمة.

٣- الفرضية تصاغ بما لا يزيد عن ثلاث جمل في صورتها الأولى

يحب الطلبة أن يفاخروا بالحقائق التي سمعوها أو اكتشفوها، وسيقومون بطرحها كما لو كانت قصصاً في حد ذاتها. لكن للأسف، الحقائق ليست قصصاً؛ فالقصة ينبغي أن تتضمن حقائق توضع في سياق أحداث متسلسلة تؤدي إلى مغزى. ومن الضروري أن يكون أختصار القصة سهلا. وأي شيء آخر غير ذلك يعني أن الطلبة لم يفهموا ما يريدون إثباته.

ولذا، على المحاضر تذكير الطلبة بالقاعدة الأساسية، ألا وهي ضرورة اكتسابهم عادة التفكير استنادا إلى القصة التي يسعون لكشفها وسردها، وليس مجرد العثور على حقائق. وهذا يوجب عليك أن تؤكد عليهم بأن الحقائق مهمة ولكن في سياق قصة تبدأ بفرضية تدعمها حقائق. فإذا لم تكن هناك قصة، فإن الحقائق لا قيمة لها.

ويمكن للمحاضر أن يسأل الطلبة: لماذا يجب ألا تزيد الفرضية عن ثلاث جمل؟
وفي الأغلب، سيرد الطلبة:" لأنها ستكون عناوين القصة". وقد يجيب البعض: "لأنها إذا طالت ستكون فضفاضة وغير مفهومة".

وفي الإجابتين عنصر مشترك ألا وهو الجمهور. ولكن قبل أن تصبح القصة ذات معنى للجمهور، يجب أن تكون بالأساس مفهومة لصاحبها قبل أن تخرج للنشر. فإن لم يستطع الطلبة التعبير عن فرضياتهم في جمل قليلة، فهم في هذه الحالة لا يستوعبون القصة مثار التحقيق وبالتالي لا يفهمون ما يبحثون عنه وكيف سيعثرون عليه.

(ج): وضع الفرضيات

في هذا الجزء، سيقترح الطلبة فرضياتهم من أجل التدقيق. وهذه مرحلة مهمة، إذ من الآن فصاعدا، سيشتبك الطلبة مع الجانب العملي في الاستقصاء، وذلك من خلال تصميم تحقيقاتهم.

ويسير التمرين كما يلي:

ا- قم بحث الطلبة على طرح فرضية أو قصة يريدون تحقيقها ولكن ضمن عبارة قصيرة. مثال على ذلك: "مدارس قائمة على الغش تسلب أموال الفقراء من أجل منحهم شهادات لا قيمة لها". ويمكنك كمحاضر أن تساعد الطلبة بأن تسألهم: "ما الذي تظنه حصل في هذه المسألة"؟ أو "بمن تشك"؟

كما يتعين عليك أن تشجعهم على بدء الإجابة بـ: "أظن" أو "أعتقد" وهي الكلمة المناسبة للبدء في إثبات الفرضية بدلا من استخدام الكلمات الإتهامية. ويمكن للمحاضر أن يخبر الطلبة أن ليس عليهم أن يطرحوا فرضيات كاملة، بل أن يتعلموا كيف يشحذون فرضياتهم ويحسّنونها من خلال المناقشة داخل القاعة.

أ) أثناء التقدم في المناقشة، يقوم الطلاب بكتابة كل فرضية على لوحة (السبورة) أو على شاشة العرض الإلكتروني.

ب) دع الطلبة يصوتوا على ثلاث أو أربع فرضيات مثيرة للاهتمام أكثر من غيرها من حيث موضوعاتها وأكثر واقعية من حيث القدرة على تحقيقها؛ أي من حيث الوقت اللازم لتحقيقها والسبل المتاحة لذلك. قد يقترح البعض فرضية تقتضي اختراق عصابة إجرامية. هذا الاقتراح (وما على شاكلته) مرفوض لصعوبة الحصول على معلومات ولوجود عنصر المخاطرة المرتفع، وإن أصروا على تنفيذه فلينفذوه خارج سياق المادة لأن المحاضر لن يحتسب العلامات ضمن المقرر. وعلى المحاضر أن يبين للطلبة أنهم سينقسمون إلى مجموعات، كل منها ستعمل على فرضية محددة.

ج) اختـر إحـدى هـذه الفرضيـات واكتـب أسـفلها: مـا الـذي تأمـل فـي الـكشـف عنـه؟ وذلـك قبـل أن تشـرح للطلبـة أن كل تحقيـق يـؤدي إلـى كشـف. وبالتالـي مـن المهـم أن يـدرك الطلبـة مـا هـو الكشـف الـذي سـتظهره القصـة، والإجابـة عـن هـذا السـؤال سـتكون هـي الفرضيـة. مثـال، أن يقـول الطلبـة: "أصحـاب المنـازل يخدعوننـا فـي الإيجـارات، ونرغـب فـي أن نـكتشـف كيـف يقومـون بـذلك، وكيف يمـكن أن نوقفهم عن الاستمرار في هذه العملية".

هـذه بدايـة جيـدة، ولكننـا نرغـب فـي التقـدم قليـلا لتحويـل هـذه الفرضيـة الأوليـة إلـى أداة بحـث من خلال تركيزها على شيء محدد، وهو ما سنحققه في الخطوات التالية:

د) اطرح سؤالا حول ما إذا كان موضوعهم يبدأ بـ :

- معلومة من مصدر (من طالب تعرض للخداع مثلا)؛
- شائعة؛
- بيـان رسـمي صـادر علـى سـبيل المثـال عـن إدارة الجامعـة التـي يـدرس فيهـا طلبـة تعرضـوا للخـداع؛
- بقايا قصة، مثل أسئلة لم تتم الإجابة عنها في قصة إخبارية أخرى؛
- ملاحظة لصحافي

د) أطلب من الطلبة أن يسردوا الحقائق التي حصلوا عليها من المصدر الأصلي.

- علـى سـبيل المثـال، إذا كانـت شـائعة، سـيكون السـؤال: مـا الـذي تضمنتـه الشـائعة بالضبـط؟ هنـا، يجـب التنويـه إلـى أن دليـل صحافـة الاسـتقصاء الخـاص بشـبكة أريـج "علـى درب الحقيقة"الصـادر عـام ٢٠٠٨ يتضمـن نموذجـاً مفصـلاً لقصـة بـدأت بشـائعة: قيام أطباء بقتل أطفال ولدوا قبل أوانهم (خداج) لكي لا يكبروا بتشوهات.
- إذا كان مصـدر الموضـوع بقايـا قصـة، فيكـون السـؤال: مـا الـذي تضمنتـه القصـة الأصلية؟
- إذا كان الموضـوع شـيئا لاحظـه الصحافـي فالسـؤال هـو: مـا الـذي لاحظتـه بالضبـط؟ مثـلا هـل قـام هـذا الصحافـي بمقابلـة صاحـب شـقة حـاول خداعـه؟ حيـث يسـعى المحاضر من خلال طرح هذا السؤال إلى معرفة ما بحوزته من معلومات.
- وأخيـرا، علـى المحاضـر أن يسـأل الطلبـة هـل تذكرهـم القضيـة التـي هـم بصـدد صوغ فرضيتها بقصص مماثلة أو بحقائق مماثلة؟

وطـوال فتـرة المناقشـة، يجـب علـى الطلبـة تدويـن ملاحظاتهـم، للتأكـد مـن فهمهـم للموضـوع، قـل لهـم كمحاضـر "نحـن بصـدد تعريـف وتحديـد مشـروعك وعليـك أن لا تضيـع وقتـك" . وأطلـب منهـم بعـد إنتهـاء النقـاش بـأن يـزودوك بالملاحظات التـي كتبوهـا وأخبرهـم أنـك كمحاضـر سـتقوم بتقييـم هـذه الملاحظات وتمنحهـم درجـات عليهـا. وهـذا جـزء مـن منهجيـة العمـل التـي ينبغـي أن يتعلموهـا. هـذا سـيعينك ايضـا على قياس ما فهموه وليس فقط ما بدا لك من استمتاعهم بالنقاش.

خ) وبعد أن يستوفي الطلبة الجانب الوصفي لما يأملون في اكتشافه، وبالإضافة إلى كتابة المعلومات المتوافرة، يسأل المحاضر: "هل هذا ما نعرفه؟ ما الذي نرغب في معرفته من ما لا نعرفه حتى الآن؟ ما هي الأسئلة التي يمكن أن تطرحها في هذا الصدد بخصوص القصة"؟

أطلب من أحد الطلبة تدوين جميع الأسئلة التي تدور في رؤوس زملائه على السبورة. قم بحث الطلبة على طرح أسئلة تبدأ بكلمة "كيف؟" أكثر من "لماذا؟" فمن الأفضل في هذه المرحلة تركيز فهم الطلاب على "كيف؟"، لأنها تتعلق بحقائق محددة ويمكن التحقق منها، في حين أن الأمر ليس كذلك بالضبط في الإجابة عن "لماذا؟".

الفرضية:
"أصحاب عقارات يخدعون طلبة في الإيجارات"؛ فرضية ستطرح الأسئلة التالية:

- كيف يتم هذه الخداع؟
- ما هو دور الجامعة في المسألة؟
- كيف يمكن وقف ذلك الخداع؟

و) أطلب من الطلبة أن يجيبوا عن هذه الأسئلة من وحي خيالهم مع التوضيح أن كل إجابة هي افتراض، وبالتأكيد ستكون جزءا من الفرضية. شجعهم على أن تبدأ إجاباتهم بشخص أو بموضوع إنساني على أن يتبعوه بفعل، وذلك للحصول على إجابات محددة. فذلك سيعيننا كمحاضرين للحصول على أجابات محددة ما ويساعد الطلبة في الحكم على مدى قدرتهم على تحقيق هذه القصة.

وبالنسبة للقضية المطروحة حيال الغش الذي يمارسه أصحاب العقارات هذه حصلنا على هذه الفرضية الطويلة:

"صاحب العقار يتقاضى إيجارات مبالغا فيها ومقدمات أجور لا يتم إرجاعها مقابل شقق حالتها مزرية. صاحب العقار يعلن عن الشقق مستغلاً الخدمات الجامعية بشأن توفيرالسكن بهدف جذب المستأجرين. الجامعة لا تبذل جهداً في التحذير من الخداع الذي يمارسه صاحب العقار ولا تعاقب من يقوم بذلك، كما أنها لا تساعد الطلبة على تجنب الوقوع في الخداع".

يجب أن توضح/ي للطلبة أنهم وضعوا قائمة بعناصر محددة يمكن أن تلعب دورا في القصة، ومن بين هذه العناصر: الشقق، المقدم المالي للإيجار (العربون)، الإيجارات، أصحاب العقارات، الإعلانات وغيرها.

ك) الآن، اطلب/ي من الطلبة في كل مجموعة أن يحددوا النقاط الأسهل في فرضيتهم للتحقق منها. هنا، ستجد أن غالبية الطلبة سيبدأون بالأصعب والذي يتمثل في الأسرار التي تتطلب مغامرات بطولية. وعلى المحاضر تغيير هذا الاندفاع، بقوله إن "كل تحقيق سيصبح أكثر صعوبة كلما تعمقنا أكثرفي العملية، وإن لم نستطع معالجة الجانب الأسهل في العمل، فإننا لن نستطيع أن نقوم بالجانب الأصعب فيما بعد".

عند هذا الحد، قل للطلبة إنك ستقرأ عليهم الفرضية ببطء، وأن عليهم أن يوقفوك كلما سمعوا شيئا يمكن التحقق منه، وذلك قبل أن تسألهم: "كيف ستحققونه؟"

في المثال السابق:

- يمكن أن نتحقق من أن مالكي الشقق يطلبون إيجارات ومقدمات مبالغاً فيها بمجرد مقارنة قيمة الإيجارات التي يدفعها الطلبة بأسعار السوق.
- إذا كان أصحاب الشقق يعلنون عنها للطلبة، فيمكن رصد هذه الإعلانات سواء كانت في الصحف أو في إعلانات الشوارع.
- يمكننا أيضا تحديد الطلبة من أصحاب الشكوى.

ومن بين هذه العناصر الثلاثة التي ينبغي أن نتحقق منها، فإن أكثرها سهولة هو التعرف على مستوى الإيجارات ثم الإعلانات، وأخيرا التوصل إلى الطلبة أصحاب الشكوى.

(د): ملاحظات ختامية

بمجرد أن يضع الطلبة فرضية قابلة للتحقيق- أو مسارا لقصة تحتوى على عناصر قابلة للتحقق منها من مصادر متاحة، فينبغي أن توضح لهم التالي:

ا- قد يبدو أن وضع الفرضية يستهلك وقتا طويلا. ولكن بالتدريب والممارسة، ستتم هذه العملية في دقائق بالمقارنة مع الوقت الطويل الذي يمكن تضييعه والذي يقاس بالأيام، بل بالأسابيع والشهور في حال لم تتوفر لديك فرضية. وفي الصورة الأكبر، فإن صحافيي الأخبار يبدون أسرع ويكونون في الغالب أصحاب رد فعل، في حين ينبغي أن يكون صحافيو التحقيقات الاستقصائية أصحاب فعل أكثر من كونهم أصحاب رد فعل. كما يجب عليهم أن يسيطروا على القصّة منذ البداية.

٢- قد يسأل طالب: أحب أن أبقي ذهني مفتوحا؛ ألن يكون هناك احتمال أن تؤدي الفرضية إلى أن أفقد شيئا مهما بسبب التركيز على مجموعة معينة من الحقائق دون غيرها؟

وفي الحقيقة، يمكن أن تصيب الفرضية الصحافي بالعمى، ولكن في حالتين فقط:

- إذا وصل الصحافي إلى أدلة تناقض الفرضية، لكنه يرفض هذه الأدلة.
- إذا استخدم الصحافي الفرضية بشكل غير واعٍ بهدف تسهيل العمل وتسريعه، ما يؤدي بالتالي إلى إمكانية أن يستسلم لتصوراته المسبقة مع الإكتفاء بقليل من الأدلة التي تدعمها.

وينبغي عليك، كمحاضر، أن تنبه الطلبة إلى عدم الوقوع في هذه المخاطر، وأن تقدم الحل؛ فالصحافي الأمين يختبر دائما الحقائق التي تظهر أثناء التحقيق بقياسها على الفرضية التي انطلق منها.

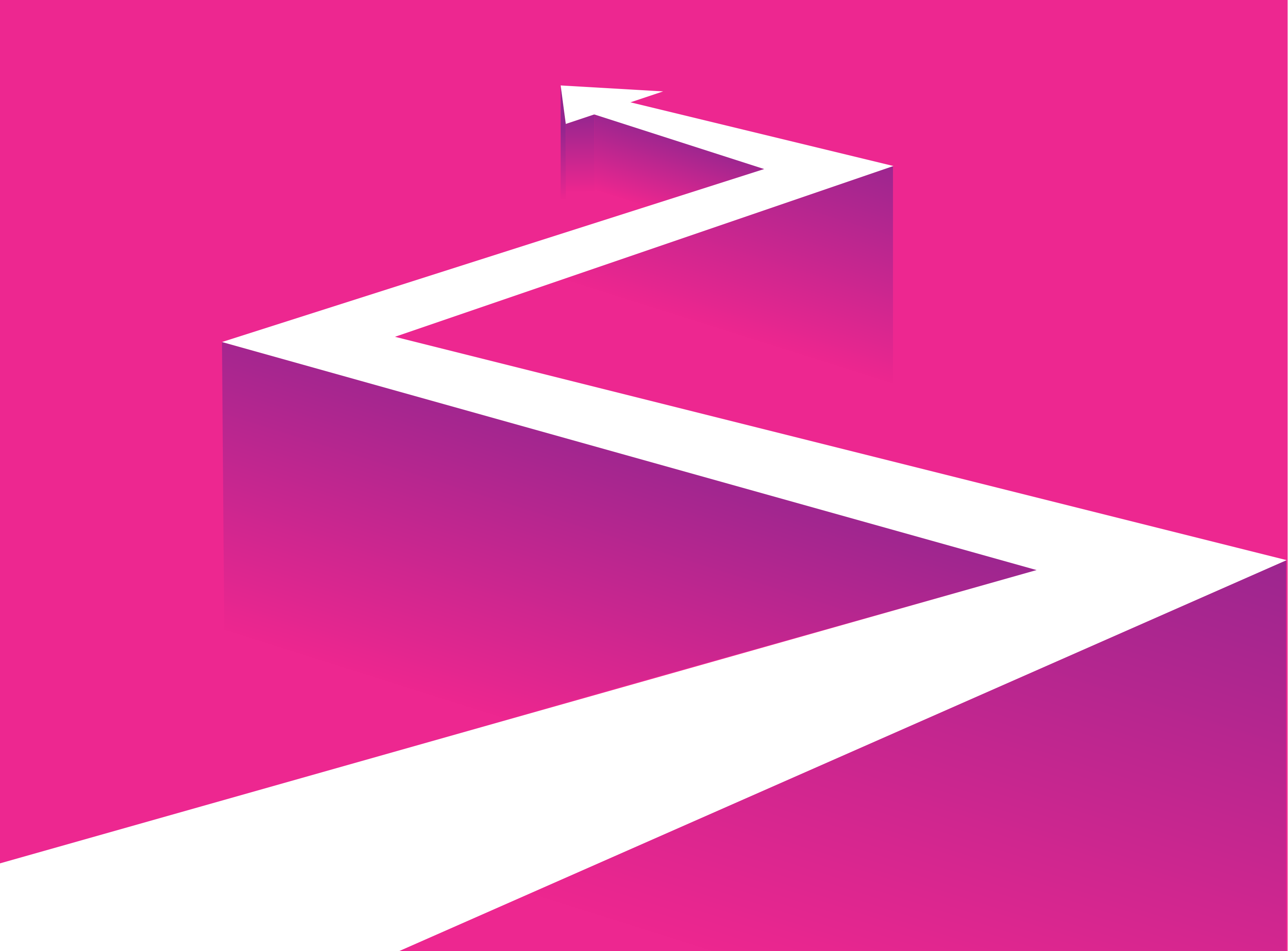
في الجزء التالي، سوف نعلم الطلبة كيفية بناء ورسم كل من الجدول الزمني وخارطة المصادر، وهما الأداتان اللتان ستصبحان الأساس لما يعرف بـ "الملف الرئيسي" أو (Master file) ، الذي يمثل قاعدة البيانات التي يمكن للطالب أن يستخدمها كأصل من الأصول أثناء مستقبله العملي.

وضع جدول زمني

/ ٣ ساعات

قراءة تمهيدية للمحاضر: لوك سينجرومارك لي هنتر، "السيناريو الخفي - رسم وتخطيط التحقيقات الاستقصائية"، مركز الصحافة الاستقصائية. منشورات لوغان، لندن ٢٠١٢

قراءة تمهيدية للطلبة: الفصل الثالث "عبور الابواب المفتوحة: خلفيات واستنتاجات"، من "على درب الحقيقة"- دليل اريج للصحافة العربية الاستقصائية.



بعد وضع الفرضية، يعد الجدول الزمني أكثر الأدوات أهمية في التحقيقات الاستقصائية. وقد يكون الأكثر استخداما على الإطلاق، إذ يساعدنا في تكوين إطار منطقي للأمور المعقدة عن طريق كشف الأسباب والعواقب المتعلقة بالحدث. ويبين الجدول الزمني لنا أيضا العنصر المفقود في قصتنا، وما يجب أن يحدث من قبل الأحداث المؤكد وقوعها ومن بعدها، وذلك قبل الاحتفاظ بالمعلومات التي جمعناها بصورة دقيقة ومنظمة. كما يساعد في تكوين قاعدة بيانات أكثر سهولة وقوة للهيكل الخاص بالقصة الاستقصائية، وفق ما سيتضح لنا لاحقاً. وفي الواقع يمكّننا الجدول الزمني من البدء في تكوين إطار لقصتنا خلال وجودنا في مرحلة البحث والتحري.

لكل هذه الأسباب، يجب الإصرار على أن يتعلم الطلبة كيفية تكوين الجدول الزمني وإثرائه والحفاظ عليه. وخلال جلسات متتالية عليك أن توضح لهم ما يلي:

١- كيف يميزون أحداثا بعينها مرتبطة بفرضيتك.

٢- كيف يستنتجون ويتحققون من أن أحداثا أخرى قد وقعت بالفعل.

٣- كيف يجمعون بين تلك الأحداث والوثائق الداعمة لها في قاعدة بيانات.

ويمكنك أن تخبر الطلبة بالتالي:

لكي نتحقق من الفرضية فإننا نحتاج لفهم ما يلي:

- ما هي الأحداث المحددة التي ربما وقعت؟
- ما هي الأدلة أو الوثائق التي تكونها تلك الأحداث؟
- كيف نحصل على هذه الأدلة؟

يجب أن تخبر الطلبة بأنهم يحتاجون لاستخدام خيالهم من أجل تحقيق ذلك. خلال بقية المحاضرة ستحثهم على تنفيذ ذلك، كما سنوصي بقراءة *The Hidden Scenario* (السيناريو الخفي) من أجل المزيد من التبصر في الأمور الفنية المنضوية تحت هذا الفصل والتي لم تكن قد تطورت عند نشر دليل "على درب الحقيقة" عام ٢٠٠٨.

أولا: تعريف تسلسل الأحداث

ابدأ بتوجيه السؤال: من منكم يستطيع تعريف الجدول الزمني؟
والإجابة هي: الجدول الزمني (أو التسلسل الزمني) هو قائمة من الأحداث المتتابعة التي تقع واحدة تلو الأخرى.

يمكنك أن تخبر الطلاب أن كل فرضية تحوي جدولاً زمنياً لأنها تشير إلى تسلسل الأحداث.
وتستطيع الآن أن تأخذ إحدى الافتراضات التي وضعها الطلبة في الجلسة السابقة وتكتبها في أعلى السبورة أو ورقة الملف الخاص بالمشروع.

أطلب من الطلبة أن يجزئوا فرضيتهم أو افتراضاتهم ويحددوا الأحداث المنفصلة التي تتوافق مع افتراضاتهم وبعد ذلك أن يضعوا تلك الأحداث ضمن قائمة. يمكنهم تحديد الأحداث المنفصلة بسهولة عن طريق حصر الأفعال التي تتضمنها تلك الفرضية، وكل فعل يعبّر عن حدث مختلف.

قبل أن تطلب ذلك من الطلبة، من فضلك تأكد أولا أنك، كمحاضر، قمت بحصر عدد الأفعال في الفرضية والأحداث التي تشير إليها.

ولتنفيذ التمرين بدقة سنوضح لك كيف يتم التعامل مع الفرضية التي وضعها الطلبة. وننبه بشدة إلى ضرورة أن يقوم المحاضر باستخدام نماذج خاصة من الأحداث المحلية. بالتأكيد يعرف المحاضر أكثر منا عن القصص الخبرية التي تثير اهتمام الطلبة، وهذا هو نموذجنا من الفصل السابق:

طلب أصحاب الشقق والعقارات إيجارات باهظة وتأمينات مبالغا فيها غير مستردة مقابل تأجير غرف في حالة سيئة. وقد نشر أصحاب العقارات إعلانات واستغلوا المكاتب الجامعية لخدمات السكن لإيجاد مستأجرين، ولم تبذل الجامعة أي محاولات لفضح غش هؤلاء المالكين أو معاقبتهم ولم يقدموا أي مساعدة للطلبة المخدوعين.

لاحظ أن هذه الفرضية تشير إلى عدد من الأحداث، وأن هذه الأحداث تظهر في الفرضية كلما ظهرت الأفعال، إذ أن الأخيرة تمثل حدثاً تم فعله بصورة متتابعة:

١- يطلب أصحاب الشقق إيجارات باهظة ومبالغ تأمينية عالية.

٢- يمتنع أصحاب الشقق عن رد هذه الأموال للطلبة.

٣- يعلن أصحاب الشقق عن طلب مستأجرين.

٤- يستغل أصحاب الشقق مكتب الخدمات الجامعية في البحث عن مستأجرين.

٥- يساعد مكتب الخدمات الجامعية أصحاب الشقق في البحث عن مستأجرين.

٦- يتساهل مكتب الخدمات الجامعية في معاقبة أصحاب الشقق.

٧- يرفض مكتب الخدمات الجامعية مساعدة الطلبة المخدوعين.

والآن دعونا نكرر كتابة هذه القائمة وفقا للتسلسل الزمني للأحداث المفترض وقوعها:

١- ينشر أصحاب الشقق إعلانات بحثا عن مستأجرين.

٢- يستغل أصحاب الشقق مكتب الخدمات الجامعية في البحث عن مستأجرين.

٣- يساعد مكتب الخدمات الجامعية أصحاب الشقق في البحث عن مستأجرين.

فيما بعد، يستغل أصحاب الشقق المستأجرين:

٤- يطلب أصحاب الشقق إيجارات باهظة وتأمينات مبالغا فيها.

٥- يمتنع أصحاب الشقق تماما عن رد تلك الأموال إلى الطلبة.

وفي النهاية تتيح الجامعة لأصحاب الشقق الإفلات بما قاموا به:

٦- يتساهل مكتب الخدمات الجامعية في معاقبة أصحاب الشقق.

٧- يرفض مكتب الخدمات الجامعية مساعدة الطلبة المخدوعين.

الآن، لنسأل الطلبة: ما هي الخطوات العملية actions التي يجب القيام بها قبل هذه الأحداث أو بعدها؟ إذا ركزنا على عواقب تلك الأحداث، قد نتخيل ما يلي:

٨- استمرار أصحاب الشقق في خداع المزيد من الطلبة.

٩- يقاضي الطلبة أصحاب الشقق مستعينين في ذلك بالمحامين.

في نتائجنا الافتراضية للأحداث، يؤدي كل حدث بالفعل إلى ما يتبعه.

- ينشر أصحاب الشقق إعلاناتهم ويستغلون الخدمات الجامعية في البحث عن طلبة يمكن خداعهم.

- برفضها معاقبة المستغلين، تساهم الجامعة في ثرائهم على حساب الطلبة.

- وفي النهاية يلجأ بعض الطلبة إلى رفع دعاوى قضائية.

سيكون طلابك أكثر تجاوبا وحيوية إذا نفذت هذا التمرين باستخدام الافتراضات التي قدموها، (ستطلب منهم تطبيق هذا الإجراء باستخدام فرضياتهم في أي قضية يحققون فيها). وأيا كانت الافتراضات المستخدمة، نفّذ هذا الإجراء بالشكل السابق شرحه متتبعا ما يلي:

- اعرض قائمة الأحداث التي تتضمنها الفرضية.
- ضع هذه الأحداث وفق تسلسل زمني مفترض حسب ترتيب وقوعها زمنيا.
- تخيل الأحداث المنطقية الأخرى التي يجب أن تكون قد وقعت إما لتعزيز تلك الافعال أو لتعزيز عواقب تلك الافعال (النتائج المترتبة عليها).

ستكون بعض الأحداث المقترحة أقل إثارة لاهتمام الطلبة من غيرها، فلا تهتم بذلك. وبدلا من ذلك، ركز كمحاضر على قيامهم بشرح جدول زمني دقيق للوقت الواقع بين بداية القصة وبين ما يعقبها من نتائج ذات أهمية. وعندما يجف الخيال عن إعطاء المزيد من التصورات أو يصبح محتوى الجدول الزمني بعيدا عن الواقع أو مليئا بأحداث غير منطقية، فهذا يعني أن الوقت قد حان للتوقف عن وضع المزيد من العناصر في الجدول الزمني. عمليا، يتألف الجدول الزمني من ٥ إلى ١٠ وقائع (أحداث) مهمة.

ثانيا: صياغة الوقائع بشكل منطقي قدر الإمكان

- أوضح للطلبة أن الخطوة التالية تكمن في التأكد من أن الوقائع موجودة بالفعل في جدولهم الزمني. لذلك عليهم صوغ كل واقعة بشكل سليم حتى يكونوا على بينة مما يحاولون التأكد منه. يفضّل أن تبدأ كل جملة بموضوع إنساني، لأن من السهل التحقق من البدايات ذات الطابع الإنساني أكثر من الأنظمة أو الأساليب النظرية المجردة، وبخاصة أنه عند نقطة ما سيحتاج الطلبة للمصادر البشرية للتأكد من دقة الوقائع. باختصار، يجب ألا يسأل الطلبة "ماذا أحتاج لتدقيق معلوماتي"؟ بل يجب أن يسألوا "من أحتاجه لتدقيق معلوماتي؟". تأكد من أن الشخصية الموجودة في الواقعة هي شريك فعال فيها، فهذه الفعالية هي التي نثبت بواسطتها من خلال متابعتنا لها أن شيئا ما يحدث. وفي هذا السياق، يكون الأمر الأصعب هو إثبات "خداع أصحاب الشقق" قياساً بسهولة إثبات مطالبتهم بإيجارات باهظة وتأمينات مبالغ فيها". فـ "الطلب" هو فعل واقعي (صاحب الشقة أو العقار يتحدث مع الطالب)، بينما "الخداع" هو وصف مجرد ورأي شخصي.

- أخيرا، حث الطلبة على الابتعاد عن السلبيات والتنبؤات. فعلى سبيل المثال "لن يرد أصحاب الشقق الأموال للطلبة" يشير إلى ما لا يحدث؛ فالأمور التي لا تقع يصعب إثباتها. لذا، دعنا نستبدل الجملة ليكون فيها فعل يمكن حدوثه: "يرفض أصحاب الشقق رد الأموال إلى الطلبة"، كذلك فإنه من المستحيل إثبات شيء لم يحدث بعد.

مثال: "شكّل أصحاب الشقق المخادعون شبكة فيما بينهم للسيطرة على سوق تأجير الغرف للطلبة". ربما سيقومون بذلك ولكن في مثال كهذا فإن هذا لا يخرج عن كونه مجرد تنبؤ وهو ليس فرضية.

ثالثا: وضع الحد الأقصى والأدنى للقصة

بصفة عامة، ستتضمن فرضيتك المبدئية والجدول الزمني الذي استقيته منها قليلا جدا من الحقائق المؤكدة. (في المثال المستخدم في السيناريو الخفي The Hidden Scenario تعد المواد الكيميائية السمية المستخدمة في تصنيع مواسير المياه مجرد حقيقة واحدة معروفة منذ البداية، ذلك أن العلماء اكتشفوا أن المواسير البلاستيكية تسرب مواد كيميائية إلى مياه الشرب). بينما في المثال السابق شرحه لدينا حقيقتان: أولاهما أن أصحاب الشقق يطلبون إيجارات باهظة وتعويضات تأمينية مبالغا فيها، وثانيهما أنهم لن يردوا الأموال للطلبة.

وكل "حقيقة" أخرى في جدولنا الزمني هي افتراض يحتاج إلى التدقيق. وسيتكرر ذلك بالتأكيد أثناء عملك مع فرضيات الطلبة، وسيكون بعضها مزعجاً. وقد يحتجون بقولهم: كيف لنا أن نعرف أن هذا الحدث أو ذاك قد وقع؟ وإذا لم يطرحوا هم هذا السؤال، فيجب أن تبادر أنت إلى طرحه.

وستكون إجابتك كالآتي: بعض هذه الأحداث مجرد افتراضات نحن بالفعل متأكدون منها لأنها انعكاس لما نعتقد أنه حدث فعلا، وإن لم تكن قد وقعت فإننا سنكتشف ما وقع منها فعلا أثناء محاولتنا تأكيدها.

وهنا قد يتساءل الطلبة: ماذا لو كانت افتراضاتنا غير واقعية؟ هل ستظل قصتنا الاستقصائية قائمة؟ وسواء طرحوا هذا السؤال أو لم يطرحوه فلا بد من إثارته، وإجابته هي:

"يجب أن تكون فرضياتنا مبنية على كشف ملابسات أهم قصة يمكننا العثور عليها دون اللجوء إلى التنبؤات، لذا نحتاج إلى معرفة أكثر القصص أهمية ثم نقرر ما إذا كنا سنقوم بإجراء التقصي اللازم عنها أم لا. وإذا كانت تلك القصة غير مثيرة للاهتمام وصعبة فإننا سنتخلى عنها".

وفي المثال السابق شرحه، يمكن للطلبة أن يقترحوا فرضية أن المسؤولين بالجامعة يرتشون من أصحاب الشقق، وتضاف هذه الواقعة إلى الجدول الزمني. ويمكنك أيضا الإشارة إلى عدم وجود ضرورة لتصل إلى تلك الحدود حتى تحصل على قصة مثيرة. وفي الواقع، يمكنك الإشارة إلى أن أحد الأخطاء الشائعة والخطيرة التي يقع فيها المحققون الصحافيون هي توجيه اتهامات غير موثقة بالأدلة بهدف جعل القصة الإخبارية درامية أكثر.[1]

وقد واجهنا الموقف التالي في أحد فصولنا الدراسية: افترضت طالبة أن المسؤولين عن الإسكان بالجامعة قبلوا رشوة من طلاب يئسوا من إيجاد غرفة للإيجار، وأصبح لدى الطالبة دراية بكيفية عمل مكتب توفير السكن، لكنها لم تتوصل الى دليل لإثبات الرشوة - بل توصلت الى أمثلة عديدة لكيفية قيام الطلبة بالتحايل على نظام إسكاني قاصر جعل هذه الطالبة تعتقد أنها فشلت لعدم استطاعتها إثبات جرم المسؤولين. وفي الحقيقة، فإنها أثبتت بالفعل أن إدارة الإسكان بالجامعة عاجزة. وبمجرد إدراكها أن هذه قصة ذات قيمة قامت بكتابتها ونشرها.

رابعا: الواجب المنزلي- عمل جدول زمني

قبل الجلسة التالية يكرر الطلبة الإجراءات السابقة مع كل فرضية يطرحونها مكونين بذلك الجدول الزمني، مع التأكيد عليهم بضرورة إنجاز ذلك خلال هذا الأسبوع. ويشرح المحاضر لهم بأن الأمر ليس مفتوحا، وأنه يجب كتابته على الحاسوب وليس بخط اليد، مع التوضيح أن هذا العمل التمهيدي سيكون جزءا من قاعدة بيانات بعد فترة وجيزة.

[1] المثال الكلاسيكي هو "عدو لا يحصى" وهو تقرير وثائقي لشبكة "سي بي إس" الامريكية بث في ٢٣ يناير/كانون الثاني ١٩٨٢. اتهم التقرير الجنرالات الأمريكيين وموظفيهم بأنهم زوروا تقارير استخبارية لكي يظهروا بأنهم يقومون بتقليل عدد أفراد العدو (بالقضاء عليهم) خلال حرب فيتنام. ولقد تم اتهام القناة بالتشهير. لم تصل الدعوى الى المحكمة، لكن القناة فقدت تأمينها ضد القذف والتشهير وتراجعت حدة وعدوانية تقاريرها بشكل واضح. يمكنكم الاطلاع على تفاصيل هذه القضية في موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الرابط: http://en.wikipedia.org/wiki/The_Uncounted_Enemy

الفصل السادس

صحافة الاستقصاء بعد فضيحة "ووترغيت"

/ساعة ونصف

قراءة تمهيدية لكل من المحاضر والطلبة: دليل اريج للصحافة العربية الاستقصائية "على درب الحقيقة"
وتحقيق لينا الجودي، "اختفاء موقع قرقيسيا الأثري تحت قرية في شرق سوريا" عبر موقع شبكة أريج
www.arij.net



أولاً: محاضرة تمهيدية: كيف يتم تحديد البحث في الدليل التوثيقي للتحقيق الاستقصائي

بعد استقالة الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون في ٩ أغسطس/ آب ١٩٧٤، عاش صحافيو الاستقصاء[١] أزهى عصورهم. وكانوا يختالون كالأبطال باعتبارهم أنموذجا لبقية الصحافيين في دول أخرى.[٢] فمن نتائج فضيحة "ووترجيت" أنها أوضحت أن التحقيق الاستقصائي ليس مجرد صحافة جيدة صنعت باحترافية. فبعض الصحافيين في ذلك الوقت كانوا يرون في الصحافيين الاستقصائيين "أعضاء في محاكم التفتيش" (المحاكم التابعة للكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى في إسبانيا، والتي اشتهرت بارتكابها فظائع بشعة مع المختلفين معها في العقيدة). وكانوا يعتقدون أن الاستقصائيين لا ينجحون في الحصول على وثائق سرية إلا بوجود مصادر بشرية من الداخل[٣] وهو الاعتقاد الذي تبدد لاحقا وثبت عدم صحته. فليس هناك مصدر يمكن أن يتحدث لصحافي تحت رهبة التهديد بالتعذيب. لكن ذلك لا يعني أن الصحافيين لا يحتاجون إلى مصادر من الداخل للحصول على وثائق مهمة. في هذا الفصل، سنوضح للطلبة كيف يمكنهم كشف معلومات فائقة الأهمية، حتى قبل أن يشرعوا في الحديث مع شخص ما.

١– مأسسة كتابة التقارير الموثقة:

على الطلبة أن يدركوا دلالة حركة صحافة الاستقصاء عقب فضيحة "ووترغيت" ونطاق تأثيرها على مهاراتهم ومستقبلهم الصحافي. إذ أدرك الصحافيون في تلك المرحلة أنه بدلا من تسجيل ما تقوله المصادر المسؤولة، فإنه يمكنهم أن يستوعبوا ويوثقوا قصصهم بشكل مستقل. وبالتالي، قد يكونون أكثر نقدا بشكل إيجابي بدلا من طرح الآراء فقط. وهكذا بات الصحفايون أكثر قدرة على التأثير الإصلاحي في المجتمع من خلال الحصول على حقائق ونشرها، ما يحفز الأفراد والمؤسسات على العمل والإصلاح.

(قد يقول بعض الطلبة إن الأكاذيب كذلك يمكنها أن تحقق ذات الغرض. ولكن الحقيقة أن عليهم ألا يتمنوا أن يمضوا حياتهم على الجانب الخاطئ من المهنة)

[١] انظر David Gelman, "Jugular Journalism?" Newsweek, May 10 1976, pp. 79-80

[٢] راجع: تيريز جيمس، جيمس غلين ستوفال وحميد مولانا "ووترغيت، أزمة للعالم: مسح لردود فعل الصحافة البريطانية والفرنسية تجاه الأزمة السياسية الأمريكية. الناشر: بيرغامون ١٩٨٠.

[٣] انظر: كارلا ماريا روب، "الصحافيون الاستقصائيون يكشفون كيفية إنجاز تحقيقاتهم" Editor and Publisher ، اليناير/كانون الثاني ١٩٧٥.

ويترتب على هذه المسألة نتيجتان تتعلقان بالجانب المنهجي في العمل وهما:

الأولى: تحول هدف عمل الصحافي من مجرد الوصول إلى الشخصيات والمصادر القوية إلى مواجهة هذه الشخصيات بالحقائق.

الثانية: بناء على النتيجة الأولى، على الصحافيين اكتساب خبرة الوصول إلى الحقائق وتوثيقها قبل - وليس بعد - طرحهم للأسئلة على هذه المصادر القوية والشخصيات التي سيصلون اليها.

وكان للصحافييّن دونالد بارتليت وجيمس ستيل –في صحيفة فيلادلفيا إنكوايرر– الفضل في الإسراع صوب هذا التحول من خلال تحقيقهما الحائز على جائزة بوليتزر حول انحياز المحاكم العرقية العنصرية في مدينة فيلادلفيا عام ١٩٧٢. وشملت آليات التحقيق التي استخدماها مراجعة آلاف الصفحات لأحكام قضائية بالإضافة إلى إجراء حوارات مع الضحايا والمسؤولين عن النظام القضائي. ووفّر هذان الصحفيان دافعاً للصحافيين لكي يطوروا ما يسمى ب "الحال الذهنية للتعامل مع للوثائق"، ما يعني التفكير في الوثائق المتاحة التي يمكن أن تدعم قصتك، وهو النموذج الصحيح.

وقد تأسست رابطة المحررين والصحافيين (IRE) عام ١٩٧٥ كمنصة لنشر أفضل الممارسات في مهنة الصحافة. وتدخل جوائز الرابطة ومؤتمراتها ومطبوعاتها وتدريباتها في إطار توضع بموجبه معايير لصحافة الاستقصاء ومناهجها. وفي رأي جيمس أوكيون مؤرخ صحافة الاستقصاء، كانت الرابطة سبباً رئيساً في تحول الاستقصاء من مجرد لون صحافي متخصص إلى ممارسة اجتماعية لا تستهدف جمهورا محددا في الولايات المتحدة.[٤] وكان البحث المبني على التوثيق جوهر تلك الممارسة الاجتماعية.

وطال التطور أخبار البيئة والأعمال اللذين كان ينظر إليهما في السابق على أنهما مقبرة الصحافيين، قبل أن يصبحا قطاعين جاذبين للصحافيين ذوي الطموح. نقول إن ذلك التطور الإيجابي كان أحد علامتين للتطور الذي أحدثته تلك الرابطة.[٥] ففي عام ١٩٧٩، وجدت دراسة مسحية نفّذها محررون أمريكيون في مجال الأعمال والاقتصاد –في الصحف التي يتجاوز توزيعها ٥٠ ألف نسخة– أن ثلثي تلك المطبوعات قد نشرت تحقيقات في العام السابق لإجراء الدراسة.[٦] وفي بعض المطبوعات الأمريكية، تضاعفت التحقيقات الخاصة بالأعمال خلال السبعينيات من القرن الماضي.[٧] وهكذا يتضح أن أساليب التحقيقات الاستقصائية أخذت بالانتشار في قطاعات صحافية جديدة حتى بدأ تطبيقها في جميع مناحي الحياة العامة، بعد أن بدأت سياسياً.[٨]

[٤] انظر: جيمس ل. اوكواين "تقييم الصحافة الاستقصائية الامريكية"، منشورات مطبعة جامعة ميسوري ٢٠٠٥.

[٥] بيئي

[٦] إرنست سي.هايندز "التغطية التجارية تتحسن"، دورية "الصحافة" العدد ٥٧، الصفحات من ٢٩٧–٣٠٤.

[٧] انظر: جي تي دبليو هوبارد "الاخبار الاقتصادية في عصر ما بعد ووترغيت"، دورية "الصحافة"، العدد ٥٣ الصفحات من ٤٨٨–٤٩٣.

[٨] تظهر اراشيف منظمة الصحافيين والمحررين الاستقصائيين (IRE) التي جمعها من المشاركات الفائزة والخاسرة في مسابقة الجوائز السنوية للمنظمة كيف يمكن للطلاب ان يقتربوا من مجموعة واسعة من الموضوعات. يمكن للمدرب الوصول الى الاراشيف من خلال عضوية المنظمة (IRE). موقع المنظمة: http://www.ire.org/membership

٢- تدويل صحافة الاستقصاء

أدى نموذج "ووترغيت" في أمريكا إلى ظهور حركات مماثلة على المستوى الدولي. ففي فرنسا، انتشرت صحافة الاستقصاء في ثمانينيات القرن العشرين وتحولت من مجرد تقارير تكشف عن الفساد السياسي إلى تحقيقات كاشفة، بدءاً من بعض الممارسات القاتلة في النظام الصحي وصولا إلى جرائم ارتكبت في المتاحف العامة.[٩] أما في كينيا، فقد استخدمت مجموعة "نيشين" الإعلامية بنجاح تلك القدرات لإطلاق صحيفة (بيزنيس ديلي) عام ٢٠٠٩، وذلك بعد تطور قدرات الصحافة الاستقصائية مطلع التسعينيات.[١٠]

ومنذ إطلاق شبكة الصحافة الاستقصائية العالمية Global Investigative Journalism Network (GIJN) في كوبنهاجن عام ٢٠٠١،[١١] تضاعف عدد المؤسسات غير الربحية القطرية والاقليمية الخاصة بنشر ثقافة الاستقصاء حول العالم.[١٢] ويمكن للمحاضر أن يكتسب معرفة متعمقة بهذه الحركة الدولية الاستقصائية من خلال تصفح الموقع الالكتروني للشبكة www.gijn.org ، فيدرك وجود ما لا يقل عن ١٧٠ مركزا على غرار تلك الشبكة حول العالم. ولم يكن في العديد من تلك المناطق التي تنتشر فيها هذه المراكز صحافة استقصاء من قبل، بدءاً من جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق وصولا إلى الدول العربية. وفي المناطق كافة، بات البحث عن الوثائق والتقارير والمذكرات والمقالات ومقاطع الفيديو أساس الممارسة المهنية للصحافيين الاستقصائيين.

وأنشئت شبكة الصحافة الاستقصائية العالمية أثناء فترة هبوط دور الصحافة الاستقصائية، وقد كانت فترة في منتهى الخطورة على مستقبل ذلك الضرب من الصحافة. ففي تلك الفترة، كان جيل صحافيي السبعينيات الذي ألهمته "ووترغيت" قد وصل للعقد الخامس من العمر بعد أن نجح في تحويل صحافة الاستقصاء إلى ممارسة عالمية، ولكنه لم يكن بذات الكفاءة ليتمكن من تدريب جيل جديد لتسلم الراية منه. ومن ثم، ظهر في أوروبا الشرقية في ذلك الوقت فوج جديد من الصحافيين الاستقصائيين بقيادة الزملاء بول رادو وستيفان كانديا من مركز رومانيا للصحافة الاستقصائية، وأليكسنيا ديميتروفا في صحيفة "٢٤ ساعة" البلغارية، كقادة لهذا اللون من الصحافة على مستوى العالم. وتميز رادو بشكل خاص بتطوير مناهج مستحدثة في الاستقصاء من خلال عمله مع مشروع التحقيق في الجريمة المنظمة والفساد (OCCRP). وكان أهم ابتكار قدمه رادو في هذا المجال ربطه بين قواعد البيانات للملكيات وأسهم الشركات المتداولة في البورصة والعقارات والأراضي، ثم تحويل تلك القواعد المترابطة إلى أدوات صحفية قوية، بما عرف بإسم "منصة قيادة الاستقصاء"

[٩] مارك لي هنتر "الصحافة الاستقصائية"، مصدر سبق ذكره.

[١٠] مارك لي هنترلوك فان واسنهوف، مجموعة الأمة الإعلامية، "قضية انسياد المقبلة" ٢٠١٤.

[١١] للاطلاع على تاريخ موجز للشبكة (GIJN)، انظر الكتاب ص ٧ و٨.

[١٢] كانت الحركة غير الربحية مستوحاة الى حد كبير من عمل تشارلز ل. لويس مؤسس مركز النزاهة العامة غير الربحي في الولايات المتحدة.

ومـن الحقائـق التاريخيـة أن العالـم العربـي بـات جـزءا مـن تلـك الحركـة الدوليـة عبـر شـبكة "إعلاميـون مـن أجـل صحافـة اسـتقصائية عربيـة (أريـج)"، وهـي الراعـي لهـذا المنهـاج الأكاديمـي. وحدهـا بيـن المنظمـات العربيـة، بـرزت (أريـج) منـذ ميلادهـا مطلـع ٢٠٠٦ مكونـاً مهمـاً فـي جهـد شـبكة الصحافـة الاسـتقصائية العالميـة. كمـا بـادرت لوضـع دليـل صحافـة الاسـتقصاء "علـى درب الحقيقـة" ودخلـت فـي شـراكة مـع منظمـة اليونيسـكو لضمـان توزيعـه عالميـا، فبـات مصـدرا أساسـيا لتعليـم صحافـة الاسـتقصاء علـى مسـتوى العالـم منـذ صـدوره فـي عـام ٢٠٠٩. تمـت ترجمتـه الـى اكثـر مـن ٤١ لغـة بمـا فيهـا الروسـية والصينيـة والفرنسـية والكرديـة. وبالتالـي، يمكـن للمحاضـر أن يؤكـد للطلبـة بأمانـة أن الـرواد فـي العالـم العربـي كانـوا ومـا زالـوا يؤثـرون مباشـرة فـي تشـكيل حركـة صحافـة الاسـتقصاء علـى المسـتوى العالمـي.

ثانياً: مثال معاصر من سورية

علـى الطلبـة أن يدركـوا أن الاسـتقصاء الموثـق يعطيهـم ميـزة تنافسـية علـى غالبيـة الصحافييـن غيـر المؤهليـن لهـذا النـوع مـن الصحافـة أو العازفيـن عنـه. فعلـى الأغلـب، يعتمـد الصحافيـون علـى وثائـق يوفرها لهم آخرون – في أحيان كثيرة عبر تسريبات – بدلا من السعي بأنفسهم لاستخلاص تلك الوثائق. وهـذا الصنـف مـن الصحافييـن الاسـتقصائيين يصـل دائمـا الـى مصـادر ذات ثـراء أكثـر فـي المعلومـات. وفـي الحـد الأدنـى، يمكـن للمحاضـر أن يغـرس فـي نفـوس الطلبـة الاحتـرام للتصميـم والإبـداع فـي الكشـف عـن الأدلـة الموثقـة لقصـص حقيقيـة، وفـي الحـد الأقصـى يمكنـه تزويـد الطلبـة بأسـاليب يمكـن أن تعينهم على مدار حياتهم العملية.

ويوضـح التحقيـق الاسـتقصائي للزميلـة لينـا الجـودي "اختفـاء الموقـع الأثـري لقرقيسـيا تحـت قريـة فـي شـرق سـورية" والـذي تـم إنتاجـه بإشـراف شـبكة اريـج الأسـاليب التوثيقيـة المتبعـة فـي منطقـة شـديدة الصعوبـة علـى الصحافـي. وتـروي القصـة عمليـة تدميـر موقـع أثـري شـديد الأهميـة علـى يـد قروييـن اسـتخدموا حجـارة الموقـع لبنـاء منازلهـم. وتبـدأ القصـة باسـتخدام كتـاب منشـور مرجعـاً، بالإضافـة إلـى اسـتخدام كتـب أخـرى علـى مـدار القصـة كمراجـع اضافيـة. كمـا اسـتخدمت الصحافيـة مراجـع أخـرى مثـل الوثائـق الرسـمية، بمـا فـي ذلـك نـصوصـا قانونيـة وتقريـرا حكوميـا صـادرا عـام ١٩٧٧ ومرسـوما حديـث العهـد؛ وجميـع تلـك الوثائـق متاحـة فـي المكتبـة العامـة.[١٣] وهنـا يجـب علـى الطلبـة أن يعـوا أن الانترنـت ليـس بديـلا عـن المكتبـة. ويمكـن للمحاضـر تكليـف الطلبـة بإجـراء هـذا التحليـل قبـل دخـول الفصـل:

- تسـجيل المصـادر الوثائقيـة التـي اسـتخدمتها الصحفيـة علـى جانـب الصفحـة. تسـجيل المصـادر البشرية على الوجه الآخر من الصفحة.

- الخطـوة التاليـة هـي توصيـل خطـوط بيـن نوعـي المصـادر المتوافقـة أو تلـك التـي تشـترك فـي الأنشطة. وليس بالضرورة أن يتم ربط كل المصادر البشرية بتلك الوثائق.

[١٣] في الطبعة الأولى من كتيب "المراسل" للكاتب جون أولمان يورد نكتة تقول إن اثنين من الملائكة كانا يتناقشان حول كيفية مساعدة الإنسانية. فقال أحدهما: "دعونا نبن مكاناً يستطيع فيه الصحافيون العثور على جميع المعارف في العالم واستخدامها لمساعدة الناس". رد عليه الآخر: "أنت غبي جدا، هذا المكان موجود بالفعل ويسمى مكتبة لكن الصحافيين لا يذهبون اليها أبداً". يمكن الحصول على الكتاب من موقع أمازون.

مزيد من التحقيقات الاستقصائية المتميزة

في سياق هذا المنهاج، وفي صيف ٢٠١٣ طلب من أعضاء في شبكة الصحافة الاستقصائية العالمية أن يقترحوا أعمالا أثّرت في طموحاتهم وممارساتهم بالقدر الذي أسهمت فيه في توضيح أحلامهم في مجال الصحافة. وسنعيد تقديم المقال الذي نتج عن ذلك الطلب، ويمكن الاطلاع عليه على الموقع التالي: http://gijn.org/2014/02/05/resources-a-guide-to-investigative-books-and-films/

أهمية تلك القائمة تكمن في أنها تعكس الأعمال التي أثرت في ممارسات صحافيين استقصائيين بارزين؛ فمن بين المشاركين كتاب في شبكة الصحافة الاستقصائية العالمية. ويمكن للمحاضر اختيار مقتطفات من أحد الأعمال التالية وتكليف الطلاب بها، إذ سيكون من الصعب على الطلبة الاطلاع على النماذج كافة في وقت قصير. على الأقل، فليستخدم المحاضر هذه القائمة ليؤكد للطلبة أن الصحافيين الاستقصائيين تعاملوا في تغطية قائمة طويلة من القضايا، كما لا توجد حدود للمناطق التي يمكن استخدام أساليب الاستقصاء فيها. أيضا، هذه القائمة من التحقيقات تؤكد أن الاستقصاء ليس حكراً على دولة أو ثقافة بعينها. والأهم هو أننا نرغب في أن يستخدم المحاضر هذه القائمة كنموذج لإنتاج أعمال استقصائية عربية.

فخارج الولايات المتحدة وبريطانيا، لم يبذل جهد بحثي كافٍ في صحافة الاستقصاء، الأمر الذي ينسحب على العالم العربي. وخلال إعداد هذا المنهاج، طلبنا من الصحافيين العرب الممارسين تقديم نماذج محلية للاستقصاء، بما في ذلك الشكل القصصي في الاستقصاء. وكانت النتيجة ضعيفة جدا، وهو واقع من المفترض أن يتغير. وفيما يلي بعض أفضل التحقيقات الاستقصائية حسب اختيارات صحافيين استقصائيين غربيين:

١- ليرا ماكي، مؤسسة الصحافي الاستقصائي (المملكة المتحدة) ترشح لنا الأعمال التالية:

- "الحروب القذرة" للصحافي جيرمي سكاهيل و"قصص من الداخل لفضائح سياسية معاصرة: كيف غيرت الصحافة الاستقصائية مسار التاريخ الأمريكي" للصحافي وودي كلاين.

٢- ستيفن غراي (بريطانيا) مؤلف وصحافي بوكالة رويترز، يشرح لنا:

- "تجار الحبوب: سلطة وأرباح كبرى خمس شركات عملاقة في مجال المواد الغذائية على مستوى العالم"، للصحافي دان مورجان (١٩٧٦).

- "الصندوق: كيف نجحت الحاويات في جعل العالم أصغر والاقتصاد العالمي أكبر" للصحافي مارك ليفينسون ٢٠٠٦؛ تحقيق لا غنى عنه حول نظام التجارة العالمي، ومن المستحيل فهم العولمة من دون هذا الكتاب.

- "تشريح للظلم: قضية قتل أسيء محاكمتها"، راي بونر (٢٠١٢). نظرة ضرورية على نظام عقوبة الإعدام في الولايات المتحدة بقلم أحد أعظم المحققين الصحافيين.

- "كذبة شديدة اللمعان" (١٩٨٨) للكاتب نيل شيهان؛ عمل يقدّم نموذجاً كلاسيكياً لجانب مهم في الحرب من خلال التركيز على قصة إسهام رجل واحد؛ الكولونيل جون فان.

- "المبعوثون" لمايكل هير (١٩٧٧) وهي القصة التي استوحى منها المخرج فرانسيس فورد كابولا فيلم "القيامة الآن".

- "سياسات الهيروين في جنوب شرق آسيا" للصحافي ألفريد ماكوي؛ بحث متعمق في دور وكالة الاستخبارات المركزية في فيتنام (ولا يعرف على الإطلاق ما إذا كانت أجزاء من هذا النبش المعمق واقعية بالفعل). فهذا العمل يكشف كيف نقلت الإدارة الأمريكية مخدرات عبر لاوس وكمبوديا خلال حرب فيتنام. ويعلق الصحافي الاستقصائي البريطاني أندرو وير قائلا: "بدأ هذا العمل كدراسة أنثروبولوجية، إلا أن الوقت الطويل الذي أمضاه المؤلف في المنطقة خلال الستينيات منح العمل مصداقية متميزة".

٣- درو سوليفان، أحد مؤسسي مشروع الاستقصاء عن الجريمة المنظمة والفساد (البوسنة).من نصائح سوليفان قراءة:

- "أعداء للأبد" للصحافي جوناثان كويتني (١٩٨٦). وفي هذا العمل يلقي الصحافي الراحل الذي كان عضوا في رابطة المحررين والصحفيين الأمريكيين (IRE) ، نظرة فاحصة لسياسات أمريكا الخارجية، والتي كانت محبطة في أحيان عديدة. هذا الكتاب يغطي انقلابين عسكريين قادتهما الولايات المتحدة، وتحديدا الأخوان دلاس في الإدارة الأمريكية في الستينيات (جون فوستر وألان دلاس) بالإضافة إلى مراسل مجلة "تايم" في طهران، والذي كان يعمل لحساب وكالة الاستخبارات المركزية. كما يعد كتاب "جرائم الوطنيين" (١٩٨٧) للكاتب نفسه أحد الكتب الكلاسيكية في هذا المضمار.

- "الأب الروحي للكرملين" للكاتب بول كليبينوف (٢٠٠٠). وهو تحقيق مطول حول رأسمالية العصابات في روسيا في عهد الرئيس بوريس يلتسن، وهو يسرد قصة الراحل بوريس بيرزوفيسكي.

- "داخل المافيا الحمراء" (٢٠٠٠) للراحل العظيم روبرت فريدمان الذي انفرد في التسعينيات بكشف خفايا المافيا الروسية، وبخاصة عمليات غسيل الأموال التي كانت تمر عبر بنك نيويورك.

- التجارة غير المشروعة: كيف يختطف المهربون والمزيفون الاقتصاد العالمي" (٢٠٠٦) للكاتب موسى نعيم. هذا العمل يكشف كل شيء.

- "قصر اللغز" (١٩٨٢) للكاتب جيمس بامفورد، الذي يعالج أكثر الموضوعات صعوبة في التحقيق الاستقصائي؛ ألا وهو وكالة الأمن القومي الأمريكية. ورغم صعوبة الموضوع، فإن الكاتب المحقق جمع كماً مذهلاً من المعلومات، وبذل مجهوداً مضنياً لنشر الكتاب. وأتبع ذلك بكتابين آخرين حول وكالة الأمن القومي، وهما: "ذريعة للحرب" (٢٠٠٤) و"ظل المصنع (٢٠٠٨).

٤– مارك لي هنتر، مؤلف ومحرر وصحافي (فرنسا) وهو ينصح بالتالي:

- "الستـرة الحمـراء" (١٩٧٨) للكاتـب جيـل بيرلـو. فـي هـذا الكتـاب، نجـح الكاتـب بأسـلوب قصصـي مثيـر وقـوي فـي الكشـف عـن أن أخـر إنسـان خضـع لحكـم الاعـدام بالمقصلـة كان ضحيـة تحقيـق رسـمي متحيـز وممثـل دفاع غيـر كفـؤ. وبفضـل هـذا الكتـاب أوقـف العمـل بعقوبـة الإعـدام فـي فرنسا عام ١٨٩١.

- "الدوائر الشـريرة: مافيا السـوق" (١٩٧٩) للكاتب جونثان كويتنـي ، وهـو كتاب فريـد مـن نوعـه عـن الجريمة المنظمة.

- "الكشـف غيـر اللائـق" (١٩٨٢) للكاتـب ديفيـد ماكلينتـك، وهـو كتـاب رائـع يعتمـد علـى أسـلوب السرد الروائي حول عالم الأعمال.

- "فضيحـة الـدم" (١٩٩٢) للكاتبـة آن – مـاري كاسـتريه؛ تحقيـق داخـل كتـاب رائـع يسـتعرض تاريـخ الصحافـة الاسـتقصائية الفرنسـية. وأثبتـت الكاتبـة فيـه أن مسـؤولين رفيعـي المسـتوى فـي الدولـة باعـوا - عـن علـم مسـبق– دمـاً ملوثـاً بفيـروس نقـص المناعـة المكتسـبة (الإيـدز) لمرضـى ابيضـاض الـدم. ذلـك الكشـف أطـاح بالحكومـة فـي ذلـك الوقـت، ولا تـزال القضيـة حيّـة فـي تقاريـر صحافية لاحقة، حيث تتفاعل براعة الطب مع صحافة الجريمة.

- "إيريـن بروكوفيتـش" (٢٠٠٠): فيلـم للمخـرج سـتيفن سـوديربيرغ وبطولـة جوليـا روبرتـس، التـي أدت فيـه دورا رائعا تمثـل فـي بنـاء علاقـات مـع مصـادر كانـت ضحايا تجـاوزات عديـدة. وقامـت بعـد ذلـك بجـذب مصـادر أخـرى تعـرف مـا تعرضـت لـه تلـك الضحايا وكيـف تعرضـت إلـى ذلـك. الملاحـظ هنـا أن مسـتوى الحرفيـة فـي هـذا الفيلـم أعلـى بكثيـر مـن مسـتواها فـي فيلـم "كل رجـال الرئيس".

٥– مارغـو سـميت، مديـرة رابطـة الصحافييـن الاسـتقصائيين الهولنديـة– البلجيكيـة، وهـي توصـي بأعمـال هولندية وألمانية:

- "تجـارة النسـاء" (١٩٩٢) للكاتـب كريـس دي سـتوب. يعلـق مـارك لـي هنتـر علـى هـذا العمـل قائـلا: "تحفـة فنيـة جمعـت بيـن العمـل الصحافـي مـن خـلال التخفـي والعمـل البحثـي التوثيقـي بشـكل قصصـي مذهـل يكـشف الاضطهاد والظلم".

"قـوة النيـران: أغـرب حادثـة نصـب فـي أسـتراليا" (٢٠٠٩) للمؤلـف جيـرار رايـل. وأعقـب هـذا الكتـاب نتاجان آخران للمؤلف: "تسريبات خارجية" و "داون آندر (أستراليا)"

٦- إريك هنيكام عضو رابطة الصحافيين الاستقصائيين الهولندية- البلجيكية ومتخصص بالبحث في الأرشيف (هولندا) وينصح بقراءة: جميع الأعمال الصحفية للكاتب كارل شتيج إيرلاند.

- "إرث الرماد: تاريخ وكالة الاستخبارات المركزية" (٢٠٠٧) للكاتب تيم وينر.

٧- أندرو وير، كاتب وصحافي (المملكة المتحدة) وينصح بالتالي:

- "الأمريكي الهادئ" (١٩٥٥) للروائي جراهام جرين. قد تكون رواية متخيلة، ولكنها تنطق بالواقع أكثر من التحقيق الصحفي ذاته.

- "ملائكة الجحيم: القصة المأساوية الغريبة لعصابة الدراجات النارية المحظورة" (١٩٦٦) وهو استقصائي قام به هنتر تومسون.

٨- ليز أولسون، صحفية استقصائية في صحيفة هيوستون كرونيكل (الولايات المتحدة) وتنصح بقراءة أعمال بالإنجليزية والإسبانية:

- "الاختفاء المضاعف" وثائقي ممتاز عرض على (سي إن إن) الإسبانية (٢٠٠٣). ولعل أوجه تميزه تكمن في استخدام الوثائق والحوارات الوجاهية مع المصادر.

- "في صحبة الموت" (٢٠٠٥) للصحافية الاستقصائية المكسيكية ماريا إداليا غوميز، الخبيرة في قراءة الملفات العمومية ونبش مضامينها.

- "البرج الشاهق: القاعدة والطريق إلى "١١/٩" (٢٠٠٦)، للكاتب ورنس رايت الذي وضع كتابا ممتعا يعد معلما لفنون الصحافة. إن مجرد قراءة أي من فصول الكتاب او النظر إلى ملاحظات الكاتب الجانبية ستكون مفيدة لطلاب الإعلام في جميع مراحل الدراسة.

٩- سيرينا تيناري (سويسرا)، صحفية استقصائية ومخرجة أفلام ترشح أعمالا من إنجلترا وإيطاليا وفرنسا:

إذا كنت تتقصى شركات دواء كبرى، فيجب قراءة التالي:

- "البستاني الدائم" للكاتب جون لوكاريه (٢٠٠١).
- "حبة بـ ٨٠٠ مليون دولار: الحقيقة وراء تكلفة عقار جديد" (٢٠٠٤) لميريل جوزنر.
- "بيع المرض: كيف نجحت شركات الأدوية الكبيرة في أن تحولنا إلى مرضى" لكل من راي مونيهان و آلان كاسيل (٢٠٠٥).
- "الحقيقة حول شركات الدواء" لمارسيا أنجيل (٢٠٠٥)
- "شركات الدواء الكبرى: الكشف عن أجندة الرعاية الصحية العالمية" للكاتب جاكي لو (٢٠٠٦).
- "دق طبول المرض" لكل من راي مونيهان وديفيد هنري (٢٠٠٦).

١٠ - فلورنس جريفس مديرة ومؤسسة معهد شوستر للتحقيق الاستقصائي (الولايات المتحدة) توصي بقراءة التالي:

- "كتابة التقرير تحت التخفي: الحقيقة حول الخداع" (٢٠١٢) للكاتب بروك كروجير، الذي تتحدث فيه عن أهمية التخفي وقواعده. وتحث أيضا على قراءة قاعدة البيانات المصاحبة للكتاب، بما تحتويه من مئات القصص التي تم تحقيقها تحت التخفي،
وذلك على موقع جامعة نيويورك: dlib.nyu.edu/undercover/

١١ -عبد اللّه فودا، المدير التنفيذي لمنتدى الصحفيين الاستقصائيين الأفارقة (جنوب أفريقيا) ينصح بالتالي:

- "قتل من أجل الربح: الكشف عن التجارة غير الشرعية لقرن وحيد القرن" للصحافي جوليان رادماير. موقع أمازون يصف هذا الكتاب (٢٠١٢) بالقول "حقا إنه تقرير كاشف وفائق الدقة للتجارة غير المشروعة للحياة البرية".

١٢ -بول لاشمار، الصحافي الاستقصائي والأستاذ بجامعة برونل (المملكة المتحدة) يوصي:

- "خطأ: العالم السري للاتحاد الدولي لكرة القدم فيفا" (٢٠٠٦) للكاتب اندرو جنينجز.
- "مجنون في أمريكا" (٢٠٠٢) و "تشريح وباء"؛ كتابان للمؤلف روبرت ويتيكر. وهما الأفضل في مجال نقد ممارسات الطب النفسي وخطورة بعض الأدوية المستخدمة في هذا القطاع إذا تخطّى الاستخدام فترة معينة. وبذلك بات المؤلف مرجعية ثابتة لمن يبحث عن هذه الحقائق.

١٣ –آنا أرانا، مديرة مؤسسة MEPI (المكسيك) وتوصي بـ :

- "مدافع وأحجار كريمة وصلب" (١٩٩٧) للصحافي جاريد دايموند الحائز على جائزة بوليتزر. عن هذا الكتاب يقول مارك لي هنتر: "يمكنك أن تجادل فيما إذا كان استقصاء أم لا، لأنه لم يكشف أسرارا جديدة. وما فعله المؤلف هو أنه لجأ إلى مصادر مفتوحة في مجالات مختلفة، خصوصا المرجعيات العلمية، لينسج قصة مقنعة عن كيفية تطور المجتمع الإنساني في أوروبا بشكل مختلف عنه في أماكن أخرى".

- "أخبار الاختطاف" (١٩٩٨) للروائي الكولومبي الراحل جابرايل جارسيا ماركيز. وهو عمل يفصّل اختطاف عدد من كبار الصحافيين وغيرهم من الشخصيات، ثم الإفراج عنهم لاحقا، على يد عصابات مخدرات في كولومبيا بقيادة بابلو إيسكوبار في بداية التسعينيات في مدينة ميدلين. ويقول مارك لي هنتر "إن ماركيز كان ولا يزال صحافياً مشهوراً قبل أن يصبح روائياً مشهوراً (توفي عام ٢٠١٤ عن ٨٧ عاما).

- "فن القتل السياسي" (٢٠٠٨) للكاتب فرانشيسكو جولدمان، حول مقتل الأسقف خوان جيراردي أبرز المدافعين عن حقوق الإنسان في جواتيمالا عام ١٩٩٨، وبعد يومين على إطلاقه صدر تقرير يدين العسكريين بجرائم قتل واختفاء حوالي ٢٠٠ ألف شخص.

- "السيدة المكللة بالذهب" (٢٠١٢) لـ آن – ماري أوكونور، والذي تجسد فيه شخصية أديل بلوخباور الوارثة اليهودية الثرية في بداية القرن العشرين ومصيرها تحت النازية.

١٤ – ديفيد كابلان، المدير التنفيذي لشبكة الصحافة الاستقصائية العالمية (الولايات المتحدة) GIJN يوصي بقراءة: عدد مختار من أعمال الفائزين بجوائز رابطة المحررين والصحافيين الأمريكية في فئة أفضل الكتب على مدى ٥١ عاما، وهي الكتب التي فازت بفضل تميزها بمنهجية فريدة والجانب البحثي المكثف. وهذه بعض النماذج، ويمكن الرجوع إلى القائمة كاملة على هذا الموقع:
http://www.ire.org/awards/

- ممنوح لروما (٢٠١١): "الحياة السرية لأموال الكنيسة الكاثوليكية"، للكاتب جيسون بيري.

- تشريح وباء (٢٠١٠): "طلقات سحرية، عقاقير نفسية وصعود مدهش للمرض العقلي في أمريكا"، للكاتب روبرت وتيكر.

- المصنع الظل (٢٠٠٨) : "وكالة الأمن القومي فائقة السرية من ١١ سبتمبر إلى التنصت على أمريكا"، لجيمس بامفورد.

- الكرة المستديرة (٢٠٠٧): "جواسيس وأكاذيب والرجل المخادع الذي تسبب في الحرب"، للكاتب بوب دروجن.

- البرج الشاهق (٢٠٠٦): "القاعدة والطريق إلى ١١ سبتمبر"، للورنس رايت.

- وعد بالعدالة (١٩٩٨): "١٨ عاما من الحرب لإنقاذ اربعة أبرياء"، لكل من ديفيد بروتيس وروبووردن.

العثور على مصادر مفتوحة

/٣ ساعات

قراءة تمهيدية: الفصل الرابع من دليل "على درب الحقيقة". السيناريو الخفي (مصدر سبق ذكره).

وديع العبسي، "السجينه ... يتخلى عنها الأهل ويظلمها المجتمع فتغدو عرضة للانحراف"، موقع شبكة أريج www.arij,net نوفمبر/تشرين الثاني ١٢ ٢٠١٣



مقدمة

ما هي المصادر المفتوحة؟

من الأشياء التي يساء فهمها اعتبار أن مهمة الصحافة هي الوصول إلى الحقائق، في حين أن مهمتها في الواقع تتمثل في العثور على مصادر موثوق بها. فبمجرد العثور على مصادر وثائقية وبشرية صحيحة، فسيتم استخراج الحقائق منها.

إلا أن البحث عن مصادر يستهلك الوقت والجهد الأكبر في التحقيق التقليدي، ما يؤدي في الأغلب إلى أن ٩٠ % من الصحافيين يستخدمون ١٠% فقط من المصادر المتاحة، لأن العثور على مصادر يتطلب وقتا، وهو ما يجعل التخطيط أمراً ضرورياً.

وعموما، فإن خطة العمل ينبغي أن تبدأ بالمصادر المفتوحة، لأن الحديث معها واستخلاص الحقائق منها يكون أسهل.

"المصادر المفتوحة" عبارة عن بشر ووثائق يسهل الوصول إليها، وهي مجانية أيضا، وتتضمن:

- الأشخاص الذين يسعون لجذب الانتباه العام، وهم بالتالي مستعدون للتحدث إلى الصحفيين. ويمكن أن تجد بين هذه الفئة عائلات ضحايا، متضررين، محامين، مستشارين، سياسيين، قائمين على حملات انتخابية، أعضاء في النقابات المهنية، علماء، باحثين، ومحللين.

- الوثائق والبيانات المتاحة مجانا للعامة.

وتالياً بعض من الإجابات عن هذا السؤال:

- كون فحص الشيء أو الحصول عليه متاحاً ومفتوحاً لا يعني أن أحداً قام بذلك من قبل. وكثيراً ما تحتوي الوثائق المتاحة للعامة على أجوبة عن أسئلة مهمة، إلا أن أحدا لم يكلف نفسه جهد السعي لدراسة تلك الوثائق. ويحتوي دليل الصحافة الاستقصائية "على درب الحقيقة" على العديد من النماذج لقصص مهمة تم انجازها على أساس وثائق لم يكلف صحافيون أنفسهم عناء السعي إليها، مثل إحصاءات المواليد الخدج الذين ولدوا قبل أوانهم، قوائم الناخبين، الدراسات العلمية، وغيرها.

- يمكن فحص المصادر المفتوحة والاستعانة بها، وبخاصة الوثائق، دون إثارة أي قلق، في حين أن الإتصال بمسؤول من أجل إجراء حوار سيلفت الانتباه، وبالتالي يمكن أن تغلق بعض الأبواب قبل أن يبدأ الصحفي الاستقصائي مهمته.

- تتضمن الوثائق في الأغلب حقائق لن يكشف عنها الناس بشكل تلقائي أثناء المقابلات.

- تقلل الوثائق من مشقّة الحوارات. فالمتحاورون يكونون في الأغلب قد عبّروا عن آرائهم وخبراتهم قبل وقت طويل من الحوار مع الصحافي.

- حتى لو أبدى البعض استعداداً للحديث معك، فإنهم سيزودونك بمعلومات أفضل لو أدركوا أنك كصحافي قادر على التعاطي معهم بصفة أنك تفهم الموضوع. وهذا يحتم عليك أن تقوم بالبحث في الوثائق ودراستها للاستعداد بشكل جيد قبل رحلة الإنطلاق.

ثانياً: كيف يمكن البحث عن مصادر مفتوحة

- من أجل البحث بشكل فعّال عن الوثائق والمصادر البشرية المتعاونة، يمكن استخدام المنهج التالي: بداية، نحدد ونعرّف الناس المعنيين بقصتنا وبالمهتمين بها، بالإضافة إلى المصادر المفتوحة التي ترتبط بها.

- نصمّم طريقاً يربط بين هذه المصادر المعنية بقصتنا وبين المصادر المفتوحة التي يمكن أن تكون مرتبطة بها، وبالتالي نضاعف من فرصنا للإتصال بهذه المصادر.

١ – استخدام الإطار الزمني (تايم لاين - Timeline) للتعرف على المصادر المفتوحة

قصة وديع العبسي حول السجينات في السجون اليمنية، هي أول تحقيق يقوم به هذا الصحافي بناء على تسلسل بسيط للأحداث، حتى وإن كانت مأساويةً:

- نساء يقعن في الفقر
- يرتكبن جرائم لكي يتمكن من العيش
- يتم القبض عليهن
- المحكمة تقضي بسجنهن
- يقضين عقوبة السجن
- عندما يخرجن، تهجرهن عائلاتهن، فيعدن إلى الجريمة.

ويمكن ان نتخيل الخطوات التالية:

- أن يقوم الباحثون بدراسة المشكلة
- المنظمات غير الحكومية تحاول مساعدتهن ولكن تنقصها الوسائل
- الحكومة والبرلمان يحاولان حل المشكلة.

في كل محطة من تلك الأحداث، هناك شخص يقوم بفعل ما، والسؤال الموجه إلى الطلبة هنا:

أي من تلك الشخصيات يمكن أن تضع سجلاً موثقا بأفعالها؟ وأي منها ستستخدم تلك الوثائق لتبرير أفعالها؟

وقد تتضمن الإجابات ما يلي:

- سجلات المدارس أو أماكن العمل التي تساعد في فهم كيفية انتهاء الحال بهؤلاء النسوة للوقوع في الفقر.

  القوانين الجنائية.
- سجلات إلقاء القبض على المتهمات.
- وثائق المحكمة مثل قرارات الاتهام، الإحالة والأحكام.
- سجلات السجون وإجراءاتها. مثال: هل يتلقى السجناء تعليما دينياً ومهنياً.
- تقارير المنظمات غير الحكومية.
- التقارير الحكومية والتشريعية.

وكانت خبرة العبسي أثناء التحقيق كالتالي:

المصادر المسؤولة لم توافق على الحديث معه – الحكومة لم تعتبر معاناة تلك النسوة الفقيرات مشكلة تستحق الإهتمام– وبالتالي ليس هناك تقارير حكومية ولا برلمانية بهذا الشأن- وبالنتيجة ليس هناك دراسات أكاديمية ولا حتى مقالات صحافية. وعليه فإن المنظمات غير الحكومية كانت سعيدة بإهتمامه بالموضوع ولكن لم يكن لديها معلومات كافية. فسجلات الشرطة والسجن لم تكن متاحة أمامه.

فكيف يمكن للصحافي أن ينجز عمله في هذا الموقف؟

اسأل الطلبة: في قائمة الوثائق التي يمكن أن تصدر عن اللاعبين الرئيسيين في القصة، ما هي الوثائق التي لا يستطيع أحد أن يمنعك من الحصول عليها؟

إجابة العبسي كانت كالتالي: "لنعد إلى القانون ولنبحث في ثغراته"، فلا يمكن أن يمنعك أحد من القيام بذلك. وفي غضون هذه العملية، اكتشف العبسي ما سنستقيه من قصته:

"لا يتم تفعيل قانون إعادة تأهيل السجينات، رغم أن قانون السجون في اليمن في مادته الثالثة يؤكد على أهمية إعادة التأهيل، وذلك من خلال التأكيد على أن التعامل داخل السجن يجب أن يستهدف الاصلاح وإعادة التأهيل والتعليم، بما في ذلك التدريب المهني واكتساب المهارات اليدوية والاجتماعية والبدنية والثقافية، بالإضافة إلى النشاطات الترفيهية".

وقد كان هذا الاكتشاف هو أداة الصحافي لفتح الباب أمام تحقيقه:

"إلا إنه في الواقع، كان هذا القانون أبعد ما يكون عن التطبيق فالسجون لا تعيد تأهيل السجينات لا نفسياً ولا سلوكياً. وطبقاً لرئيسة اللجنة القومية للمرأة، فإن برامج إعادة التأهيل نادرة وتتم في سجون قليلة جداً. وفي حوار مع أعضاء البرلمان، يقول النائب شوقي القاضي: إن السجينات في حاجة إلى بيئة حاضنة تعيدهن للحياة خارج السجون، في حين يعترف النائب عبد اللّه الحكيم بعدم كفاية الدعم الحكومي. إلا أن دراسة مسحية لا تزال تجرى على عشرة سجون في اليمن للبحث في قضايا التأهيل والإصلاح والدعم والسلامة. ويضيف حكيم إنه بناء على هذه الدراسة يتضح أن رعاية السجينات غائبة إلى حد كبير".

أما فيما يتعلق بالموقف الحكومي فإن هذه القضية غائبة تماما عن خطابها العام:

تقول الدكتورة أمة الرزاق حمد وزيرة الشؤون الاجتماعية: " دعم النساء اللائي يسجن ليس من بين مهام الوزارة".

وخلال هذه العملية، يقول الصحافي العبسي إنه كان يقوم ببناء معرفي فيما يتعلق بالقضية، ما دفع كبار مسؤولي السجون في اليمن للموافقة على الحديث معه، بالإضافة إلى عدد كبير من خبراء المجتمع المدني، إذ أظهر العبسي تقديراً لأهمية الموضوع كما أظهر فهماً لمختلف جوانبه، ما يؤكد على أهمية دراسة الوثائق المتاحة للعامة لتفهم عقلية ولغة من نسعى للحوار معهم.

ثالثاً: رسم خارطة للمصادر "قرية المصادر"

الجدول الزمني او "تايم لاين" يعيننا على رؤية أطراف في القصة أو اللاعبين فيها، إلا أن هناك آخرين يمكن أن يتأثروا أو يهتموا بالمشكلة. وفي النموذج السابق، قد يكونون آباء أو أصدقاء لهؤلاء السجينات يمكن للسجينات أن يأتمنهن على مشاعرهن، أو أن يكون هؤلاء اللاعبون مسؤولين في الدولة غير راضين عن هذه الاوضاع.

وفي هذا، يجب أن نتخيل هذه الشخصيات وأن نرسم لها خارطة تربطها بالمصادر الواردة بشكل مباشر في القصة، وهي الخارطة التي يوجد لها نموذج في دليل الصحافة الاستقصائية "على درب الحقيقة" وتحديداً في الفصل الرابع.

وبخلاف ذلك، فإن خارطة المصادر تعيننا على تصور المصادر التي نعرفها وعلاقاتها فيما بينها. وتتضح أهمية هذه الخارطة أكثر في حال كنا نحقق في شبكات إجرامية تلتقي فيها تحالفات كثيرة من الصعب تعريفها. ولعل ذلك يفسر قيام مشروع التحقيق في الجريمة المنظمة والفساد (OCCRP) – وهو الرائد في هذا المجال– بتطوير برنامج حاسوب مجاني لرسم مثل هذه الخرائط والتي يطلقون عليها "السيناريوهات البصرية للتحقيقات"[١]

- ويمكنك أن توضح للطلبة كيف يستطيعون رسم خارطة للمصادر: يكتب الطلبة اسم لاعب رئيسي في القصة وسط لوحة الإيضاح (السبورة) ثم يحيطونه بدائرة.
- ويمكنهم أن يضيفوا دوائر أخرى وفي داخلها أسماء لاعبين آخرين أو فئات تجمع لاعبين آخرين مثل الشرطة أو وزارة الصحة على أن تكون هذه الدوائر محيطة بالدائرة الرئيسية.
- يمكن رسم خط يوضح العلاقات بين مختلف اللاعبين.

يجب أن تكون الخارطة مفصلة لإعطاء صورة واضحة عن المستفيدين ممن هم أطراف في القصة، وهي تتيح الفرصة أيضا لطرح احتمالات مختلفة للعثور على مصادر بشرية أخرى. وهنا ينبغي على المحاضر أن يلفت النظر إلى أن الطلبة الذين يركزون على المصادر الداخلية في البداية يقللون من الخيارات أمامهم في حال رفضت هذه المصادر الحديث. ويمكن للمحاضر أن يقول لهم: " تخيلوا أنه في قرية المصادر هذه كل شخص يعرف الآخر، ويعرف عمله، وبالتالي إذا دخلت منزلا، ففي الأغلب سيعرف الآخرون ذلك. ولكن عليك ألا تدخل القرية قبل أن تعلم شيئا عن سكانها أو بعضهم على الأقل، وإلا فستذهب إلى المنزل الخطأ أو ستترك انطباعا خاطئا".

ويمكن استخدام قصة العبسي في التمرين العملي على شكل نقاش في الفصل؛ فكل مصدر في هذه القصة يمثل مؤسسة أو منظمة ضالعة مع اللاعبين الأساسيين في القصة، ونعني بهم السجينات، أي النساء اللواتي تحول حظهن السيء الى قدر محتوم.[٢]

هنا يطلب المحاضر من الطلبة أن يذكروا اللاعبين في القصة ويضعوهم على السبورة، لتمثل صورة جوية لقرية المصادر. وعند الانتهاء من الخارطة، يقول المحاضر:

"لنبدأ حواراتنا مع المصادر الأكثر انفتاحا، فمن أي منازل القرية نبدأ؟ وأي المنازل ستكون عصية؟".

[١] بامكان المحاضرين الاطلاع عن كثب على نماذج لهذه التقنية والأداة عبر زيارة موقع *http://vis.occrp.org/*

[٢] تظهر القصة أيضا أن المصادر قد تبدو خلاف توقعاتنا. فمدير السجن المركزي كان من المنادين بإصلاح اوضاع السجون وقدم افضل خلاصة لهذه المأساة الاجتماعية بقوله "إن العديد من السجينات تخرجن من السجن ولا يجدن من يؤويهن فيرتكبن الجرائم ويعدن للسجن من جديد". لقد كان هذا المصدر من بين المصادر المتعاونة مع كاتب التحقيق.

في هذه القصة، سيكون المصدر الذي يمثل المنظمات غير الحكومية الراغبة في مساعدة السجينات هو الاكثر انفتاحاً. ولكن هذا المصدر وحده ليس كافيا، لأن هذه المنظمات ستكون محتكرة للمعلومات وقد تطلع الصحافي على جانب واحد فقط من القصة. ولذا، ينبغي أن تنتقل إلى مصدر آخر بمجرد أن تفرغ من المصدر السابق في هذه القرية. والسؤال: ما هو ذلك المقر الآخر (المصدر) الذي يمكن أن يكون مرتبطا بالمصدر الأول، ألا وهو المنظمات؟

رابعا: تكليفات بواجب منزلي

وضع بيان (كتالوج) للمصادر المفتوحة

(١) قبل البدء في المحاضرة التالية، يجب على الطلبة أن يرسموا خارطة لـ "قرية المصادر" بناء على الفرضيات التي وضعوها وبناء على الجدول الزمني "التايم لاين". ويجب أن لا تتضمن الخارطة المصادر الواردة مباشرة في القصة فحسب، وإنما تلك الواردة بشكل غير مباشر كذلك. وينبغي أن تتضمن الخارطة ما بين ١٠ - ١٥ مصدراً مباشراً وغير مباشر على الأقل. وقبل المحاضرة التالية كذلك، ينبغي على الطلبة أن يتعرفوا على تلك الوقائع في الجدول الزمني "التايم لاين"، التي يمكن التحقق منها من مصادر مفتوحة، وذلك قبل أن يقوموا بوصف مصدرين على الأقل من الوثائق المفتوحة. ويمكن أن يتضمن الوصف ما يلي:

- الإسم الصحيح للمصدر
- عنوانه الفعلي وكل معلومات الاتصال به، وعنوانه الإلكتروني
- ساعات العمل في المؤسسات والمنظمات
- المعلومات المهمة المتوافرة والمفتوحة في هذه الأماكن
- وصف مختصر لأفضل سبل التعامل مع المصادر سواء تلك المتعلقة بتجنب مشكلات معينة أو التي تعتبر أفضل المداخل لكل مصدر.

(٢) على الطلبة أن يعرفوا أنه سيتم تقييمهم في هذه المرحلة بمنحهم درجات حسب دقة التوصيف للمصادر المفتوحة وأفضل السبل للتعامل معها. وسيتم الاخذ بعين الاعتبار أهمية المصدر في منح الدرجات للصحافيين الآخرين. على سبيل المثال اذا اكتشفوا مكتبة عامة تضم سجلات للبلدية مفتوحة للعموم، فسيعد هذا مصدرا رئيسياً. وبالمثل بالنسبة للاجراءات الواجب اتباعها للحصول على سجلات ملكية او سجلات تجارية.

(٣) يجب إعلام الطلبة أيضا أنه إذا كان وصف المصادر المفتوحة ذا مستوى احترافي جيد، فسيضاف إلى قاعدة البيانات الأصلية للمصادر المفتوحة. هذه القاعدة التي تم انشاؤوها من قبل منظمة الصحافيين والمحررين الاستقصائيين ستكون متاحة للصحافيين في المنطقة العربية والعالم. وستدرج أسماء الطلاب باعتبارهم مؤلفين لتوصيف المصدر الذي توصلوا إليه وقدموه.

وقد أعدت شبكة "أريج" قوائم بمصادر موجودة في عدد من الدول العربية، يمكن استخدامها كنماذج للطلبة.

٢ – توفير خلفيات لشركات محلية

قصة وديع العبسي حول السجينات في السجون اليمنية، هي أول تحقيق يقوم به هذا الصحافي بناء على تسلسل بسيط للأحداث، حتى وإن كانت مأساويةً:

(١) يتم تقسيم الطلبة إلى فرق، كل فريق مكون من طالبين.

(٢) يكون كل فريق مسؤولا عن توفير معلومات وخلفيات عن شركة تجارية معينة يختارها المحاضر، لكن من الأفضل أن يقترحها الطلبة في القطاع الذي يثير اهتمامهم. فإذا كان أحدهم يحب ركوب الدراجات النارية، فلتكن الشركة مستوردة للدراجات وتقوم بتوفير قطع الغيار والإصلاح أو أن يكون الاختيار لأي نشاط تجاري، وذلك قبل أن يقوموا بتوفير المعلومات الوافية عنه من خلال الوثائق.

(٣) إذا كان في دولة الطلبة قانون حول حق الوصول إلى المعلومات، فيجب عليهم دراسته لفهم حقوقهم، على أن يحملوا معهم نسخة من القانون في حال زيارتهم لأي مكاتب حكومية.

(٤) سيسعى الطلبة للحصول على المعلومات التالية من المصادر المفتوحة، بما في ذلك ملاحظاتهم الشخصية وتلك المتاحة عن المؤسسات التي يسعون وراءها من خلال مواقعها الإلكترونية ومن المكتبات العامة وأرشيف الأخبار:

- من يمتلك الشركة
- عنوانها وحجم مكاتبها ومنشآتها
- أرقام نتائجها السنوية في السنوات الأخيرة
- عدد العاملين فيها وهل هو متزايد أو متناقص
- أصولها المادية مثل العقارات وحالتها الظاهرة. فإذا كان مطعماً هل هو نظيف أم غير ذلك، وإذا كانت شركة تمتلك سيارات، فهل السيارات في حالة جيدة أم لا؟ وإذا كانت مباني، فهل هي مصانة بشكل جيد.
- هل اجتذبت الشركة أو مالكوها انتباه وسائل الإعلام أو وسائل التواصل الاجتماعي أم لا؟ إذا كانت الإجابة بنعم، فيجب التعرف على ما قيل عن الشركة.

٣ – توفير معلومات حول شركة مسجلة

سيحدد المحاضر شركة مسجلة قد تكون محلية أو إقليمية، وذلك قبل أن يطلب من الطلبة أن يحصلوا على ما يلي:

- آخر تقرير سنوي لها
- أي تقارير ربع سنوية منذ آخر تقرير
- أي إعلان علاقات عامة قامت به الشركة في العام الأخير
- أي تقارير إخبارية ذات علاقة بالشركة.

ينبغي على الطلبة أن يقرأوا هذه الوثائق وأن يكتبوا استنادا إليها تقريراً ملخصاً يدرجون فيه أي معلومات تتضمنها هذه الوثائق ولها علاقة بدولتهم. مثال على ذلك: عزم الشركة بيع أصول أجنبية تمتلكها. وأيضا، يمكن للتقرير أن يجيب عن أسئلة من نوع: كيف تربح الشركة؟ ماذا تغير في الشركة على مدار السنوات الثلاث الاخيرة؟ هل تزيد من عمالتها أم تنقصها؟ هل ترفع من نصيبها في السوق أو في الإيرادات؟

الفصل الثامن

موجز تاريخي لصحافة الاستقصاء قبل ووترجيت

/ساعة ونصف



أولاً: نظرة عامة

تطورت الصحافة الاستقصائية عبر السنين من خلال دوائر وحلقات. ولهذا التطور محركان رئيسيان، كل منهما على حدة يعتبر كافيا لإحداث التطور. أما إذا توافر المحركان في وقت واحد فيكون التطور هائلاً في مضمون التحقيقات الاستقصائية وأشكالها، بالإضافة إلى الجماهير المتلقية لها.

١- المحرك الأول يكمن في استغلال وتطوير الوسائل الحديثة لكتابة التقارير التي تعقب – في بعض الاحيان- ظهور مصادر جديدة للمعلومات يمكن الوصول إليها. ويمكن أن يحدث هذا أيضا نتيجة رغبة الصحفي في الاضطلاع بدور ما أو استخدام منهج مختلف.

٢- المحرك الثاني يتمثل في رغبة جانب كبير من الرأي العام في تلقي ما لدى المحققين ومساندة دعوتهم للتغيير. وهذه القطاعات من الرأي العام ليست كتلاً مجهولة الهوية والملامح؛ وقد تتضمن طبقات وقطاعات وتجمعات بعينها داخل المجتمع، أو جماعات محددة داخل الطبقة الحاكمة، على غرار ما يحدث في الصين على سبيل المثال. وفي هذا المقام، يجدر القول إنه لا يمكن ضمان الاستحواذ على اهتمام الرأي العام. كما أن هذا الاهتمام، حتى وإن توفر، فإنه غير دائم لوقت طويل. ولذا، يجب على الصحافيين السعي دائما لجذب الاهتمام والدعم مالياً واجتماعياً وأخلاقياً من جانب الجماهير المؤثرة. وتعد قدرة الصحافيين على إيجاد طرق مستحدثة لسرد قصصهم الإخبارية أحد أهم العوامل المؤثرة في هذا المقام. عامل آخر مؤثر ما يتمثل في قدرة الصحفيين على بناء تحالفات مع لاعبين آخرين في المجتمع.

فيما بعد، سنعرض موجزا لتاريخ صحافة الاستقصاء مع التركيز على الولايات المتحدة.[١] وعلى المحاضر أن يوضح للطلبة أن الولايات المتحدة ليست حالة فريدة من نوعها، كما أنها ليست أنموذجا لكيفية تطور صحافة الاستقصاء؛ فهذا النمط من الصحافة مورس بشكل أو بآخر منذ القرن التاسع عشر في العديد من الدول. وكانت السجون في الغالب هي محور الاستقصاء.[٢] ففي ثلاثينيات القرن التاسع عشر قضى هنري ميلفيل المحرر الأسترالي وقتا في السجن للكشف عن الظروف القاسية داخله. وفي ١٩٢٣، أقدم ألبرت لوندر على مهمة شبيهة في سجن مستعمرة غينيا الفرنسية في أمريكا الجنوبية، داخل عاصمتها كايين. أما في جنوب أفريقيا، فنشرت مجلة "درام" في خمسينيات القرن العشرين تحقيقات حول ظروف السجون القاسية. وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية، سادت موجة من الصحافة الاحتجاجية والنقدية في الدول التي تمتعت بدرجة ما من حرية الصحافة، ما مهّد الطريق أمام موجة أخرى سادت خلال عقد الستينيات.[٣]

[١] نشرت نسخة أخرى لهذه المادة للمرة الأولى في كتاب "الصحافة الاستقصائية في فرنسا والولايات المتحدة"، مارك لي هنتر، باريس ١٩٩٧.

[٢] أنظر: أ. كارسون ، "تاريخ الصحافة الاستقصائية في استراليا".مطبعة جامعة اوكسفورد. تتوفر نسخة الكترونية وافية على هذا الرابط: *http://lib.oup.com.au/he/media_journalism/samples/tanner_journalismresearch_sample.pdf*

[٣] أنظر: د. ماكنايت "تقاليد الاستقصاء في الصحافة الاسترالية ١٩٤٥-١٩٦٥" في كورثيس و جي. شولتز، "الصحافة السياسة والثقافة الشعبية". مطبعة جامعة كوينزلاند ١٩٩٩.

إلا أن الولايات المتحدة كانت أول دولة تتمأسس فيها صحافة الاستقصاء وبشكل فوري ومتزامن في كل من الجامعات ومؤسسات المجتمع المدني وصناعة الأخبار. وقد يقول بعض الطلبة – وحتى بعض الأساتذة - إن الأمريكيين يدعون لأنفسهم الفضل في كل ما هو جيد. والواقع تاريخيا، هو أن للأمريكيين الفضل في ابتكار صحافة الاستقصاء، بالقدر ذاته الذي يفتخر فيه العرب باختراع الرياضيات الحديثة.

وسنبحث لاحقا في ظهور صحافة الاستقصاء كظاهرة عالمية للضمير الشخصي مطالع القرن الحادي والعشرين، ما سيقودنا إلى التطورات الأخيرة في العالم العربي.

ثانياً: "التقاليد المتصادمة": الحزبية والموضوعية والسعي للاصلاح

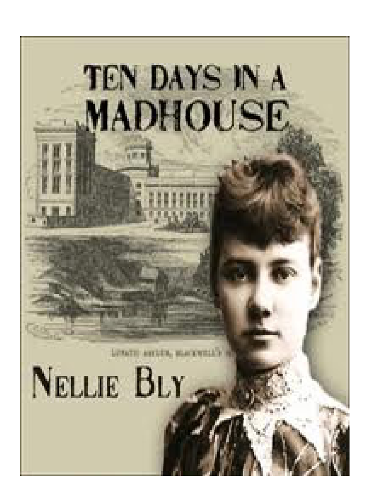
يعد منشأ الصحف الإنجليزية ذا طبيعة تجارية في الأساس، إذ ظهرت الصحف على شكل رسائل تنطوي على معلومات سرية تلبي مصالح اقتصادية وحزبية، وعلى شكل صفحات دعائية للثوار من طائفة البيوريتان (التطهريين). وقد ظلت الأجنحة والجماعات السياسية والاقتصادية تمثل جانبا مهما من الرأي العام المستهلك لوسائل الأخبار.

(أ) الصحافة كقوة أخلاقية:

في بداية القرن التاسع عشر، سعت صحف إنجليزية وأمريكية إلى توسيع دائرة جمهورها بما يتجاوز الجماعات الحزبية، وذلك بتركيزها على الجريمة والفضائح، زاعمة أنها تقدم صورة موضوعية للمجتمع.[٤] ومع التقدم في القرن التاسع عشر، اكتسبت تلك الصحافة سمات تتصل بالحرب على الفساد ومعالجة تداعيات الكوارث الطبيعية ومناصرة قضايا، مثل الحرب الأمريكية – الإسبانية. ورغم أننا ندرك الوقع السيء لكلمة "crusades" على العرب– ذلك أنها بدأت كإسم للحروب الصليبية - إلا أن هذا المصطلح استخدم في مجال الصحافة بالمعنى الأعمق له المرتبط بالقيم الأخلاقية المسيحية. وبالتالي، بات الصحفيون حراسا للقيم المجتمعية، يكشفون الرذيلة ويروجون للفضيلة. ومن هذا العصر، تبرز شخصيتان حققتا شهرة عالمية استخدمتاها للإصلاح - على حد وصفهما. كما نجحتا في ابتكار اساليب صحافية جديدة، رغم أن ابتكاراتهما استخدمت وسائل مخادعة، من بينها انتحال شخصية أخرى. وسنناقش في وقت لاحق خلال الفصل الدراسي قواعد التخفي أثناء العمل الصحافي.

التخفي في ذلك الوقت من القرن التاسع عشر كان مستخدما بكثرة ذلك أن الوسائل الأخرى مثل طرق البحث عن الوثائق لم تكن معروفة إلا بعد جيل من ذلك الزمان. الشخصيتان هما:

[٤] دان شيللر "مقاربة تاريخية للموضوعية والاحترافية في صناعة الاخبار في الولايات المتحدة"، مجلة الاتصالات، العدد ٢٩، الصفحات من ٤٦–٥٧ (١٩٧٩).



١. نيللي بلاي:

صحافية عملت في سبعينيات القرن التاسع عشر في مطبوعة "نيويورك وورلد"، وكانت من رواد التخفي أثناء العمل الصحافي. أولى نجاحاتها تمثلت في سلسلة من المقالات تحت عنوان "١٠ أيام في مستشفى المجانين"، عندما تظاهرت بأنها مجنونة ودخلت مستشفى الأمراض العقلية التي وصفتها بـ "مقبرة الأهوال الحية[٥]". وفيما بعد، تخفّت نيلي في أدوار متعددة منها عضو في جماعة ضغط فاسدة ومهاجرة وخادمة لكي تقوم بعملها الصحافي.

وحتى يومنا هذا، ما تزال الصحافة القائمة على التخفي تلقى شعبية وقبولاً لدى الرأي العام ووسائل الإعلام. وقد بنى الكاتب الألماني جونتر فالراف سمعته على المستوى الدولي من خلال انتحال شخصيات مثل مهاجر تركي وموظف في صحيفة تابلويد. أما عن صحافيي التلفزيون في الوقت الحالي، فإن برنامجا مثل " فريق الشرق ١٠١ – East team 101 " على قناة الجزيرة يعتمد بشكل كبير على أساليب التخفي كوسيلة للحصول على ثقة المشاهدين.



٢. وليام تز ستيد

في ثمانينيات القرن التاسع عشر في لندن نجح وليام تز ستيد من صحيفة بال مال غازيت في إحداث ضجة بنشره تقرير حول قيامه بتأجير عذراء من أجل الجنس، ما أطلق موجة غضب ضد دعارة الأطفال. ولهذه الغاية استخدم ستيد خدمات مومس سابقة ومديرة منزل دعارة لكي ينشر في النهاية سلسلة مثيرة من أربعة أجزاء بعنوان "تكريم العذراء في بابل المعاصرة[٦]". وقد أسس ستيد لجنة تحقيق سرية خاصة ضم إليها مدافعة بارزة عن حقوق المرأة من أجل توسيع نطاق المشروع ودعمه ، وذلك كنموذج مبكر لاستخدام الصحافيين لتحالفات القوى المجتمعية لإسناد عملهم. وكان ستيد من أوائل الصحافيين الذين استخدموا الحوارات المطولة كأداة للاستقصاء. وتتطلب الحوارات التي تزيد عن الساعة إعدادا خاصا وجلدا من جانب الصحافي. ويمكن لهذه الحوارات أن تسفر عن اكتشافات دقيقة ومفصلة من المصادر.

[٥] يمكن قراءة المقالات مجاناً في هذا الرابط: http://digital.library.upenn.edu/women/bly/madhouse/madhouse.html

[٦] المقالات متوفرة مجانا في هذا الرابط:
http://dlib.nyu.edu/undercover/maiden-tribute-modern-babylon-w-t-stead-pall-mall-gazette

ثالثا: ظهور الصحافة القائمة على الوثائق

مع نهاية القرن التاسع عشر، بدأ يظهر توجه جديد بشكل متزامن في كل من الولايات المتحدة وفرنسا، تمثل في استخدام وثائق حكومية متاحة لدعم صحافة الاستقصاء. وظهر هذا التوجه كمسعى من الصحافيين للبحث عن وسائل تمنحهم ميزة في مواجهة خصومهم الأكثر قوة وثراء. في فرنسا، كان الخصم هو الحكومة التي اتهمت ظلما ضابطا في الجيش اسمه دريفوس بالتجسس. وجاء المقال الشهير للكاتب الأشهر إميل زولا حول قضية دريفوس – بعنوان "إني أتهم"– مبنيا على تحقيق مطول للصحفي برنار لازار، الذي حمل عنوان "قضية دريفوس: خطأ قضائي" في عام ١٨٩٦. وانصب أسلوب لازار على التحقيق والتحقق من بينات ممثل الإتهام في القضية، وذلك لإيضاح ضعفها وأخطائها. على نحو مشابه، أجرت إيدا تاربيل تحقيقا استقصائياً رائداً في هذا المجال، حول احتكارات البترول لشركة ستاندارد.[٧] واعتمد ذلك التحقيق بشكل أساسي على الوثائق العامة وبخاصة الشهادات التي تضمنتها محاكمات طالت الشركة.

كان لازار شخصية منعزلة رفضته صحف باريسية، تجاهلته أخرى وهاجمته ثالثة. وقد فشلت صحافة الاستقصاء في أن تكون جزءا من الصحافة الفرنسية حتى نهاية القرن العشرين فقط. النقطة المهمة في هذا المقام؛ إذا أراد أي شخص اتخاذ الصحافة الاستقصائية عملاً، فسيحتاج إلى حلفاء. وإذا لم يجدهم في الداخل، فعليه البحث عنهم في الخارج، وهو ما سنتحدث عنه بتفصيل أدق عندما نناقش حركة الصحافة الاستقصائية العالمية.

وعلى العكس من لازار، كانت الأمريكية إيدا تاربيل جزءاً من حركة اجتماعية ومهنية تعاملت مع عدد كبير من القضايا. ففي الولايات المتحدة في نهاية القرن التاسع عشر أخذت بالصعود قوى تقدمية وتقدميون مؤمنون بإمكانية الإصلاح الاجتماعي وقوته. وأدى تفضيلهم لشكل التقرير –كوسيلة للإخبار تشبع طموحاتهم الاجتماعية– إلى إنشاء سوق للمجلات الأسبوعية مثل: كولييير وكوزموبوليتان.[٨] كتب في تلك المجلات صحافيون رواد مثل تاربيل وزملاؤها لينكولن ستيفنز وراي ستانارد، وهو تقريباً. ولعبت مقالاتهم وتقاريرهم ذات الدور تقريبا الذي تلعبه حاليا مدونات التحقيقات الاستقصائية. وأدان الرئيس الأمريكي ثيودور روزفلت أولئك الصحافيين واصفاً إياهم ب"الفضائحيين" الذين لا ينفكون ينقبون في قاذورات الحياة. من هنا جاءت تسميتهم بـ "Muckrakers"، وهي التسمية التي لا تزال تطلق على الصحافيين الاستقصائيين. في ذلك الحين – كما هو الحال الآن – واجه الصحافيون الذين يتصدّون لجرائم الأقوياء اتهامات بأنهم يقوضون دعائم المجتمع بأكثر من كونهم يحاولون إصلاحه. وبعيداً عن الاتهامات التي توجه إلى الصحافيين الاستقصائيين، فإن دوائر الأعمال طورت منذ زمن تكتيكاً آخراً لا يزال معمولا به للرد على الصحافيين، ألا وهو حجب الإعلانات عن المجلات الاسبوعية.[٩]

رغم كل ذلك، نجح الصحافيون الاستقصائيون في إحداث إصلاحات داعمة للديمقراطية في الولايات المتحدة. فبفضل الصحفية تاربيل، أصدر الكونجرس عام ١٨٩٠ قانون شيرمان، الذي بدأ سريانه عام ١٩٠٦– مستهدفا أكثر الاحتكارات إثارة للرعب؛ وهي شركة ستاندارد للبترول. ثم جاء الصحافي أبتون سينكلير لكي يفتح جبهة أخرى عام ١٩٠٦ بروايته "الغابة"، إذ وثّقت العنف الرهيب الذي أشاعته صناعة اللحوم في مدينة شيكاغو. ويلاحظ هنا وجود أنواع من الرواية، التي يمكن أن تكون أداة في غاية الفاعلية للصحافيين الاستقصائيين ممن يسعون لتغيير المجتمع.

[٧] تاريخ شركة ستاندرد اويل، مجلدين (١٩٠٤).

[٨] قد يلاحظ المحاضر ان الكوزموبوليتان لم تعد رائدة في الصحافة الاستقصائية.

[٩] روبرت دي.رينولدز "حملة ١٩٠٦ للتأثير على الدوريات (الفضائحية)"، دورية الصحافة العدد ٥٦، الصفحات من ٥٠٢–٥١٣.
(تنويه ضروري: ليس هناك مقابل عربي لمفردة Muckraking وسنستعيض عن ذلك بمفردة "فضائحية" التي اطلقت على هذا النوع من الصحافة بإعتبارها الأقرب للمعنى).

العنف الرهيب الذي أشاعته صناعة اللحوم في مدينة شيكاغو. ويلاحظ هنا وجود أنواع من الرواية، التي يمكن أن تكون أداة في غاية الفاعلية للصحافيين الاستقصائيين ممن يسعون لتغيير المجتمع.

ففي مصر برز الروائي الأشهر نجيب محفوظ، الذي استخدم الرواية كأداة نقدية وكاشفة للظروف المجتمعية والدينية والصراعات والحركات السياسية. وقد أفضت رواية "الغابة" لمؤلفها سينكلير إلى صدور قانون الطعام والدواء السليم الذي ينظم الصناعات الغذائية والدوائية. وفي عام ١٩١٩ عاد سينكلير لمهاجمة الفساد في الصحافة الشعبية في مطبوعته التي كان يصدرها "ذا براس تشيك- The Brass Check". ودفعت انتقاداته جمعية الصحافيين المحترفين إلى سن قانون جديد حول أخلاقيات المهنة، بما في ذلك مطالبة الصحافيين بالموضوعية والحيادية لدى التعامل مع الحقائق الواردة في القصة الصحافية. وتلك كانت المرة الأولى التي أدى فيها التوسع في الصحافة الاستقصائية إلى زيادة الاهتمام بأخلاقيات المهنة، وهي ذات الظاهرة التي حدثت في أعقاب فضيحة "ووترغيت" في الولايات المتحدة عام ١٩٧٤ وبعد فضيحة الدم الملوث في فرنسا عام ١٩٩١. تتشابه تلك الإرهاصات مع ما يجري في تونس منذ سقوط الرئيس السابق زين العابدين بن علي والفترة ما بين رحيل نظام حسنى مبارك في مصر ٢٠١١ وتولي الرئيس القادم من خلفية عسكرية عبد الفتاح السيسي ٢٠١٣، مقاليد الحكم عبر ثورة مضادة على المرحلة الانتقالية التي انتخب فيها رئيس قادم من رحم الإخوان المسلمين. ويمكن القول بثقة إن ذلك سيحدث في أي مكان يكتسب فيه الصحفيون قوة من خلال مبادراتهم الذاتية. الشاهد، أنه يجب على الطلبة أن يكونوا على يقين بأخلاقية عملهم والاساليب التي ينتهجونها خلاله.

وقد انتهى عصر التقدمية في الولايات المتحدة عام ١٩١٢ بانتخاب الرئيس وودرو ويلسون الذي تعهد بإشاعة الاستقرار والإصلاح. قبل ذلك، تمتع الصحافيون الاستقصائيون بعشر سنوات احتلوا خلالها رأس قائمة اهتمام الرأي العام، قبل أن يستشعر الرأي العام الحاجة لكي يستريح من الكشف عن الفساد والمخاطر التي تهدد المجتمع. وتكرر ذلك بعد ١٠ سنوات على كشف الصحافة الاستقصائية فضيحة ووغرجيت، وأيضا بعد عشر سنوات على كشفها فضيحة الدماء الملوثة في فرنسا عام ١٩٩١. ففي جميع تلك الحالات التي صاحبها توسع في الصحافة الاستقصائية تبعتها فترات هدوء وسكون. ولعل ذلك هو الذي يدفع البعض في فترات السكون إلى القول إن صحافة الاستقصاء قد ماتت، في حين أن الصحيح هو أن كلا من الصحفيين والجمهور يلتقطون أنفاسهم قبل الجولة التالية.

وهنا يمكن للمحاضر التنبيه إلى أن صحافة الاستقصاء ليست دائما اللون المفضل من الصحافة، إلا إنها لون لا يختفي. وعاجلاً أو آجلاً سيشتد عليه الطلب مرة أخرى، وعلى الصحافي الشاب الواعي أن يكتسب مهارات هذا اللون من الصحافة، ذلك أن يسهم بشكل مباشر في بناء مستقبل صحافي ناجح.

وفي تلك الفترات من صعود الاهتمام بالاستقصاء وهبوطه، أسهم استخدام مناهج مستحدثة لإعداد التقارير –مثل التخفي والحوارات المطولة وتحدي ما يقول المسؤولون بأنه "الحقيقة" بناء على التوثيق– في استقطاب جمهور عريض لهذا النوع من الصحافة. وبالتدريج، يجد الصحافيون الاستقصائيون أنفسهم في حال تحد مع شخصيات ومؤسسات، ولذا فإنهم يستعينون على ذلك بأساليب عدة حتى يغدو الاستقصاء بالتدريج ممارسة مؤسسية تستهدف إصلاحاً مستمرا.

رابعاً: فساد التحقيق الاستقصائي

يجب على الطلبة أن يدركوا أنه توجد فصول سوداء في تاريخ الصحافة الاستقصائية، ذلك أن حيازة معلومات سرية وحصرية يمنح صاحبها قوة يمكن أن يستخدمها في الحصول على مكاسب غير مشروعة، بقدر ما يمكن استخدامها من أجل المصلحة العامة. وتقدم لنا فرنسا نماذج في هذا الصدد، ففي الوقت الذي كان الصحافي لازار يحقق في قضية دريفوس، بدأت صحيفة "لوماتان" حملة ابتزاز استهدفت ملك بلجيكا. وفيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، تقاضت صحيفة "لوكوتيديان" أموالا من بنك فرنسا لكي تهاجم وزير المالية ولحجب مقالات تنتقد ذات البنك.[١٠] وعندما عادت الصحافة الاستقصائية للظهور في فرنسا مرة أخرى في ثمانينيات القرن العشرين، لم ينس الفرنسيون تلك الفضائح، بل اعتقد بعضهم بأن الصحافيين بصفة عامة والمحققين منهم بشكل خاص كانوا يعملون لتحقيق أهداف خاصة بهم. وخلال فضيحة الدماء الملوثة، اتضح أن الصحافي جان إيف نوا (صحيفة لوموند) كان يتقاضى مرتباً ثابتاً من المتهم الرئيس في تلك الفضيحة أثناء عمله لدى الجريدة، إلا أنه لم يكشف عن ذلك للقراء.[١١] وفي أعقاب انهيار الاتحاد السوفييتي، عادت تلك الممارسات السلبية للظهور في العديد من دول أوروبا الشرقية. فمع ظهور طبقة الأقلية الحاكمة (الأوليجاركية) الجديدة، التي استغلت خصخصة ممتلكات الدولة بشرائها، ومع بنائها تحالفات مع قوى سياسية وأجهزة مخابرات والشرطة والعصابات الإجرامية، نجحت تلك الطبقة الجديدة في شراء أصول تمثلت في وسائل إعلام مقابل أسعار زهيدة. وأدّى ذلك إلى ظاهرة "برلسكنة" وسائل الإعلام – نسبة إلى سيطرة شخصية مثل سيلفيو بيرلسكوني رئيس وزراء إيطاليا السابق واحتكاراته لوسائل الإعلام– بما في ذلك الاحتكارات الخاصة بصناعة الإعلام المرئي والمسموع. ومن ثم، أفضى ذلك إلى زواج قوى (بعضه ظاهر والبعض الآخر مخفي) بين مصالح القطاع الخاص وبين ملكية وسائل الإعلام، بالإضافة إلى ظاهرة التحزب الفاضح داخل وسائل الإعلام. وفي هذا الإطار، غطّت وسائل إعلام على فضائح واتهامات جنائية ضد مالكيها وقامت بمهاجمة الخصوم والمنافسين بنفس قدر حمايتها للحلفاء.[١٣] وقد وثق صحافيون مستقلون في رومانيا تقاضي صحافيين آخرين أموالاً من رجال أعمال مقابل عدم التحقيق في أنشطتهم.[١٤]

[١٠] كلود بولانجر "تاريخ عام للصحافة الفرنسية"، الفصل الثالث، مطبعة الجامعة الفرنسية ١٩٧٢.

[١١] مارك لي هنتر "الصراع الاخلاقي والصحافة الاستقصائية: لوموند وفضيحة الدم الملوث".

[١٢] دوشان ريلجيتش "المجتمع المدني، الاعلام والديموقراطية في الدول الشيوعية السابقة".المعهد الالماني للسياسات الدولية والأبحاث، برلين ٢٠٠٤، صفحة ١٤.

[١٣] مارك لي هنتر، لوك إن فان واسينهوف: "بناء إمبراطورية اعلامية في اوكرانيا"، كتيب صادر عن جامعة أنسياد ٢٠١٢.

[١٤] أنظر: سورين أوزون "ديناصورات الصحافة"، المركز الروماني للصحافة الإستقصائية، ٦ سبتمبر/ايلول ٢٠٠٥.عبر الرابط:
https://www.crji.org/articles.php?id=4072&hi=dinosaur

علاوة على الفساد المالي، يمكن إفساد الصحافيين الاستقصائيين بالسلطة. ومثال على ذلك كاتب المقالات الأمريكي الشهير وولتر وينشيل، الذي استغل شعبيته الطاغية في حماية الرئيس فرانكلين روزفلت، الذي كان بطلاً قومياً في نظر عامة الناس، بعد أن ضربهم فقر الأزمة الاقتصادية الكبرى في عشرينيات القرن العشرين. فكان وينشيل يهاجم منتقدي الرئيس بالكشف عن فضائح شخصية لهم. وبعد سنوات على وفاة روزفلت، انضم وينشيل إلى حملة الماكارثية ضد الشيوعيين، والتي كانت أشبه ما تكون بصيد الساحرات وإحراقهن في القرون الوسطى.

النقطة التي ينبغي على الطلبة إدراكها هي أن كلا من المصادر والجمهور لن يفترضوا بالضرورة أنهم صحافيون أفضل من زملائهم لمجرد أنهم يقومون بصحافة استقصائية أو أن عدم ثقة المصادر بهم يعد إهانة. بل يجب أن يثبتوا كفاءتهم وتميزهم من خلال عملهم وأسلوب أدائه وما ينشرونه/ يبثّونه. وفي هذا المقام، يمكن للمحاضر أن يدير نقاشا مع الطلبة بسؤالهم: "لماذا يخش الناس التعامل مع الصحفيين؟ وهل هم على حق بعض الأحيان في خشيتهم تلك؟"

خامسا: تجدد صحافة الاستقصاء في الولايات المتحدة قبل "ووترغيت". نماذج للطلبة:

- **الكتابة من الداخل:**

لم تختف صحافة الاستقصاء من الولايات المتحدة بانقضاء عصر التقدمية.[١٦] وباستثناءات قليلة، بات العمل التوثيقي للمحققين الصحافيين أقل ظهورا وتأثيرا، إذ احتل جانبا من المساحة التي شغلتها من قبل ما تسمى بكتابة التقارير من خلال العلاقات مع مصادر في "الداخل". وتمثل ذلك أكثر في أعمال كتاب أعمدة تمتعوا بقدرة على الوصول إلى كبار الشخصيات في واشنطن، ممن يسربون معلومات إلى الصحافيين. هذا النوع من الصحافيين انفرد بقدرة الوصول إلى المصادر البارزة التي تصنع الأخبار، ويمكن العثور عليها حيثما كانت هناك وسائل إعلام وأخبار.

وفي هذا الصدد، من المفيد أن يقدم المحاضر نماذج محلية لهؤلاء الصحافيين ومناقشة الطلبة حولهم.

والسؤال الرئيس هنا: هل هذا النوع من الصحافيين يكتشف المعلومات بنفسه، أم أنه يوفر منصة لصنّاع الأخبار لكي يستخدموه؟

هؤلاء المشاهير من الصحافيين يمكنهم أن يحققوا السبق الصحفي. على سبيل المثال، السبق الذي أذاعته الصحافية التلفزيونية باربرا والترز في سبعينيات القرن الماضي عن مبادرة الرئيس المصري الراحل أنور السادات لزيارة القدس سعياً لعقد معاهدة سلام مع إسرائيل. على أن هؤلاء الصحافيين، الذين يركزون على تحقيق السبق لا يتوافقون في الغالب مع التحقيق الاستقصائي، إذ إنهم في حال تحدّوا مصادرهم بالتحقيق والتحقق، فإنهم يغامرون بأن يفقدوا تلك المصادرالتي ستغضب منهم. وبالتالي، فإن انفرادهم بالسبق لا يعدو كونه مجرد ما تريده مصادرهم أن يصل للجمهور.

[١٥] الدراسة النهائية هي غابلر، نيل وونشيل: "النميمة، القوة وثقافة المشاهير".فينتاج ١٩٩٥.

[١٦] هاري شتاين "كتاب ماكريكنغ ("الفضائحية") في اميركا من ١٩٤٦–١٩٧٣.دورية "الصحافة" ١٩٧٥.

وعلى النقيض من ذلك، فإن الصحافي أي أف ستون، الذي أدرج ضمن القائمة السوداء لصناعة الصحافة بعد أن فضح العنصرية والعناصر الفاشية في مكتب التحقيقات الفيدرالية (إف بي أي) في أربعينيات القرن الماضي، قرر أن يؤسس نشرة أسبوعية حملت اسمه، ثم باتت رغم توزيعها المحدود، من أكثر المطبوعات تأثيرا في الولايات المتحدة. ورغم اعتماد ستون على معلومات داخلية من مصادر رفيعة في واشنطن، فإن مصادره الأساسية كانت الوثائق العامة، بما في ذلك الخطابات ومحاضر جلسات الاستماع في اللجان وسجلات الكونجرس ومطبوعات الحكومة ذاتها التي كان يقوم على دراستها بدقة ليرصد ما تحوي من تناقضات أو فساد[١٧] تتقاطع مع المعلومات التي حصل عليها لتوثيقها والتأكد منها. وكان ستون مبتكرا عندما أثبت أنه يمكن للصحافي أن يكتسب تأثيرا عبر تشكيله جمهوراً بديلاً خارج صناعة الأخبار.

سيؤمن الطلبة بأن السبق الصحافي هو صنو للتحقيق الاستقصائي الذي – إذا تم إنجازه بشكل جيد وحقيقي– يصبح انفراداً بحد ذاته. فهو يكشف ما كان مخفيا أو مجهولا به. في الوقت ذاته، سيدرك الطلبة أنه ليس كل انفراد (سبق او كشف صحفي) يشكل تحقيقا. ومثال ذلك، التحقيق الذي أجري تحت اشراف (أريج) حول قيام رجل الأعمال المصري حسين سالم بإتمام صفقة بيع شركة ميدور في البورصة يوم الجمعة، وهو يوم الإجازة الذي تغلق فيه أبوابها.[١٨] في ذلك التحقيق، أشار الصحافيون إلى انفراد كاتب عمود في إحدى الصحف المصرية بإدراكه أن خطأ ما قد حدث، إلا أن التحقيق أوضح آليات الفساد بتفاصيل أكبر بكثير مما ورد في المقال.

وهنا يجب على المحاضر سؤال الطلبة: "هل يكفي أن نقول أن شيئا حدث أم أنه لا يقل أهمية أن نسأل كيف حدث؟ وفي هذه الحالة، ما وجه الأهمية؟ وما الفارق الذي سيحدثه ذلك؟". والإجابة في حال المثال الذي سقناه، هي أن التحقيق تمكن من توجيه الاتهام لمرتكب هذا الفعل مما صعّب من تكرار ارتكاب مثله، في حين أن كاتب العمود لم يحقق ذلك.

يمكن للمحاضر أيضا أن يسأل: "ما سبب الأهمية في الحقائق؟ وما الذي تغيره"؟.
والإجابة هي أن الشرفاء قد يختلفون في الرأي، ولكنهم لا يختلفون بسهولة حول حقائق ساطعة. ورغم أن كثيراً من "الحقائق" هي عبارة عن أكاذيب مفتعلة بمهارة، فإن ذلك يثبت أيضا أن الحقائق أقوى من الرأي. وإلا فلماذا يسعى الكاذبون إلى إثبات كذبهم من خلال اصطناع حقائق؟ أيضا، فإنه صحيح أن العديد من المتلقين لا يكترثون بالحقائق، وبالتالي يسهل عليهم أن يخدعوا بواسطة محترفي الكذب والديماغوجيين. إلا أنه من الثابت أيضا أن الأقلية من الأفراد والقوى في المجتمع، وهي الأكثر تأثيراً فيه، معنية بالحقيقة، لأنهم إذا أسسوا أفعالهم على أوهام، فإنهم سيفشلون. وعلى الطلبة أن يدركوا أنه في حالات كثيرة، سيكون جمهورهم من بين هذه النخب التي تحرص على معرفة الحقيقة.

[١٧] مختارات حررها كارل ويبر، أفضل مختارات إي.إف. ستون. متاحة على الانترنت على شكل ملف "PDF" عبر هذا الرابط: http://www.ifstone.org/collectedifstone.pdf يضم الموقع ايضا ملفات مجانية عن ستون بما فيها فيلم.

[١٨] عبدالرحمن شلبي وعلي زلط لصحيفة "المصري اليوم"، القاهرة، ٢٤ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١١.يمكن الاطلاع عليه في موقع أريج: ten.ijra.www

١- مسربو القصص الإخبارية (مسربو الأخبار / قارعو ناقوس الخطر)

شهدت ستينيات القرن الماضي إحياء القصص الإخبارية التي تقوم على أساس المسربين (مسربو الأخبار). ومسربو الأخبار هو شخص يعمل في مؤسسة أو منظمة أو منشأة، رأى أو سمع أو اكتشف شيئا وأخبر عنه. وهو ليس بالضرورة صحافياً، إلا أن المعلومات المكتشفة لديه تصنع سبقاً وانفراداً. مثال على ذلك قضية "الموت في ريعان العمر" ١٩٦٨،[١٩] التي اعتمدت على مشاهدات ومعلومات مدرس حول العنصرية داخل مدارس حكومية في مدينة بوسطن بولاية ماساتشوستس، وأدت إلى إصلاحات في النظام التعليمي. ومثله مثل الصحافي المتخفي، فإن مسرب المعلومات لا يعلن عن غرضه وهو داخل المؤسسة، إلا أن قدرته على الوصول إلى الوثائق والمعلومات أكبر بكثير من الصحافي المتخفي، الذي لا يستطيع تجاوز حدود معينة حتى لا يكشف عن هويته.

ويعد برنامج "٦٠ دقيقة" الذي أطلقته شبكة "سي بي إس" عام ١٩٦٨ من أعظم الإنتاجات في تاريخ الإذاعات والتلفزة الأمريكية من حيث الأرباح التي حققها. هذا البرنامج اعتمد بشكل كبير على المسربين (مسربو الأخبار). ومثال على ذلك التعاون بين البرنامج وبين جيفريويجند؛ المسرب من قلب صناعة الدخان الأمريكية. تلك القصة تحولت إلى فيلم شهير باسم "الدخيل". ولعله من المفيد أن يعرض المحاضر الفيلم على الطلبة للنقاش.[٢٠]

وفي هذه الحال، على المحاضر لفت النظر إلى احتمال تعرض المسرب للضرر، في حين يحظى الصحافي بالشهرة قبل أن ينتقل إلى قصة أخرى.والسؤال الذي يجب أن يطرحه المحاضر هنا: "ما الذي يبرر خيانة المسرب لرب عمله؟ بماذا يدين الصحفيون للمسربين؟ ما مقدار السيطرة التي ينبغي للمصدر أن يحتفظ بها على القصة؟".

مؤخراً، أخذ الأذكياء من المسربين يصرون على الحصول على ضمانات قبل التعاون مع الصحفي وأهمها حمايته. مثال حديث على ذلك طلب المسربين في بريطانيا من وسيلة إعلام ١٠٠ ألف جنيه استرليني للحفاظ على معاشات تقاعدهم، عندما اتصلوا بها لعرض قاعدة بيانات توضح مصاريف أعضاء البرلمان البريطاني. كما طالبوا بوعد قاطع بنشر جميع المادة المسربة. وقد وافقت صحيفة "ديلي تليجراف" على مطالبهم، وفي خلال شهر نشرت الصحيفة المادة كاملة. وكان الاستثمار مربحاً. فقد كانت الزيادة في توزيع الصحيفة مليون نسخة عن التوزيع المعتاد وذلك طوال فترة النشر.[٢١]

وهنا يمكن للمحاضر أن يقتبس من جوليان أسانج مؤسس ومسرب وثائق ويكيليكس قوله: "عندما تحاول سلطات أو مصالح قوية جعل حقائق سرية، فإن تلك الحقائق تصبح ذات قيمة عالية". والسؤال بالنسبة للوسيلة الإعلامية ليس إذا، ولكنه يصبح: كيف يمكن الحصول على هذه القيمة؟ ولمن تقدم؟ وهو ما تعرضنا له في الفصل السابع

[١٩] جوناثان كوزول: "الموت في سن مبكرة: تدمير قلوب وعقول الأطفال الزنوج في مدارس بوسطن العامة" ١٩٦٧.

[٢٠] المخرج مايكل مان، فيلم "انسايدر" ١٩٩٩.

[٢١] للاطلاع على ملخص للقصة انظر:
www.telegraph.co.uk/news/newstopics/mps-expenses/5324582/How-the-Telegraph -investigation -exposed- فضيحة نفقات النواب-بعد يوما day.html

١- الاضطرابات الاجتماعية والتحقيق الاستقصائي:

فـي سـتينيات القـرن العشـرين كانـت الولايـات المتحـدة وأوروبـا مسـرحاً لاضطرابـات اجتماعيـة وحـركات تعبويـة واحتجاجيـة شـبيهة بمـا حـدث فـي الربيـع العربـي. وتمثـل تلـك الاضطرابـات دائمـا فرصـة للتطويـر والابتـكار فـي الإعـلام. فمثلمـا حـول نشـطاء تونـس واليمـن "الفيسـبوك" مـن وسـيلة تواصـل اجتماعـي إلـى وسـيلة إخبارية، ابتكـر الصحافيـون الاسـتقصائيون فـي السـتينيات مـا يسـمى بالصحافـة البديلـة كمنصـة لإطـلاق عملهـم ونشـره. وكانـت المنصـة مطبوعـة أسـبوعية مجانيـة توزع بالأسـاس فـي المـدن ووسـط التجمعـات الطلابيـة، وكانـت مدعومـة بمعلنيـن يسـتهدفون جمهـور الطلبـة بإعلاناتهـم. ورغـم ضعـف الاحترافيـة، غطّـت تلـك الأسـبوعيات قضايـا ثقافيـة وسياسـية واجتماعيـة تجاهلتهـا وسـائل الاعـلام التقليديـة أو تناولتهـا بشـكل مغلـوط. وهـذه نمـاذج مـن تلـك الأسـبوعيات: ذا جريـت سـبيكليد بيـرد The Great Speckled Bird الصـادرة فـي مدينـة جورجيـا (ولايـة أتلانتـا). يمكـن العـودة إلـى أرشـيفها علـى[٢٢] الانترنت(). ولعل مجلة رولينج ستون تعد تنويعا على هذه المعادلة().

وفـي التسـعينيات، أضحـت الأسـبوعيات المجانيـة الصـادرة بالإنجليزيـة والمدعومـة بالإعلانـات وسـيلة إعلاميـة مهمـة فـي الجمهوريـات السـوفيتية السـابقة وفـي شـرق أوروبـا.[٢٤] وقـد أحـرزت تلـك الأسـبوعيات نجاحاً ملحوظاً كوسيلة ناقلة وحاملة للتحقيق الاستقصائي.

يمكـن للمحاضـر أن يشـير فـي هـذا المقـام إلـى مجـلات مثـل نيويـورك، ونيوويسـت اللتيـن طورهمـا المحـرر كلاي فيلكـر، وأيضـا مجلـة إسـكواير. أمـا القـراءة الرئيسـية للمحاضـر فـي هـذه المحاضـرة فسـتكون فـي كتـاب "الصحافـة الجديـدة" لمؤلفـه تـوم وولـف، الـذي أورد فيـه مقتطفـات وأعمـالا متميـزة فـي مطبوعـات أخـرى. ويجـب أن يوضـح المحاضـر هنـا أن المقـالات فـي ذلـك الكتـاب لا تنـدرج تحـت صفـة الاسـتقصاء، إلا أنهـا ألـهمت العديـد مـن المحققيـن الصحافييـن.[٢٥]

وتكمـن أهميـة هـذا الكتـاب فـي توضيـح كيـف يمكـن للصحافـة أن تكـون أكثـر قـوة وصدقيـة مـن خـلال إدخـال وسـائل وأسـاليب للسـرد الروائـي، ولكـن بشـرط ألا تجـور هـذه الأسـاليب الروائيـة علـى الحقائـق سـواء بالتزوير أو بإضفاء الغموض عليها. وهذا الأسلوب السردي الروائي يتيح التالي:

- يفضـل بعـض الصحافييـن الجـدد اسـتخدام مشـاهد سـينمائية كوحـدة أساسـية للسـرد، بـدلا مـن أسـلوب الكشـف أو ملخصـات الأحـداث. هـذا الأسـلوب يمكـن القـارئ مـن اختبـار القصـص بـدلا مـن مجرد استيعاب معلومات.

- يتعامـل الصحافيـون فـي هـذا الشـكل الجديـد مع المصـادر كشـخوص لا باعتبارهـم مسـؤولين أو ممثلي مؤسسات، وبالتالي يرفعون من مستوى التأثير الشخصي في الأحداث.

- فـي الوقـت ذاتـه، لا يقتصـر دور هـؤلاء الصحافييـن الجـدد علـى كونـهم مراقبيـن غيـر مرئييـن فـي قصصـهم، وإنمـا باتـوا لاعبيـن فـي هـذه القصـص، بمـا يسـمح لـهم بإدراج رؤاهـم وردود أفعالـهم كمصدر للمادة.

[٢٢] انظر الرابط: http://library.gsu.edu/gsb/

[٢٣] أنظر: آبي بيك "كشف الستينات: حياة وعصر الصحافة السرية"، نيويورك، منشورات بانثون ١٩٨٥. جون ماكميليان "مدخنة الآلات الكاتبة: صحافة الستينات السرية وظهور الصحافة البديلة في امريكا"، مطبعة جامعة اوكسفورد ٢٠٠٩. نايجل فونتين "تحت الأرض: صحافة لندن البديلة" ١٩٦٦-١٩٧٤، لندن: روتليدج،١٩٨٨؛ راينر ماتس وبربارا بيتسش "دور الصحافة البديلة في عملية بناء جدول الأعمال: الآثار غير المباشرة وقيادة رأي ووسائل الإعلام". المجلة الأوروبية للاتصالات، ٦.١ (١٩٩١) الصفحات: ٣٣-٦٢

[٢٤] مارك لي هنتر، لوك إن فان واسينهوف: PK ميديا (A، B، C).دراسة حالة، إنسياد ٢٠١٢.

[٢٥] على سبيل المثال: يستشهد الصحافي الاستقصائي الكبير أندرو جيننغز بأن الصحافة الجديدة هي موجه للأسلوب.أنظر مارك لي هنتر، المحرر، "الصحافة الاستقصائية العالمية"، كتيب صادر عن اليونسكو ٢٠١٢.

وفي هذا الصدد، يمكن للمحاضر توضيح أن هذه الابتكارات تحمل مخاطر؛ فالصحافي الذي يعلّق في أحد مشاهد القصة يمكن أن يفسد تدفق الأحداث. والأسوأ هو أن يرسل الصحافي إشارة مفادها أنه أهم من القصة ذاتها، بما يسلب القصة معناها، خصوصا إذا نشرت في الصفحة الأولى.[٢٦]

مثال من الستينيات على كيف يمكن للكتابة الرائعة مواكبة التحقيق الاستقصائي المتعمق نجده في قصّة جيسيكا ميتفورد بعنوان: "الكتابة المسمومة بخط اليد". إذ تضمنت تحقيقات رفيعة المستوى تميزت بالحوارات المطولة والكاشفة بين الصحافية وبين مصادرها بدلا من أن تكتفي باقتباس مقاطع من كلامهم. وأضفت هذه التقنية عمقا على التقارير، وهو الأسلوب الذي أثر بشكل قوي ومباشر في الصحافي كارل برنشتاين عندما كتب كاشفاً عن فضيحة ووترجيت.[٢٧] ويمكن أن نستخلص مما سبق النقاط مع الطلبة:

١– الشكل الجذاب: الطريقة التي تعرض من خلالها المعلومات بشكل قوي ومؤثر على المتلقي.

٢– الحوار: أقوى شكل للإقتباس مع المصادر. فهو لا يحمل معلومات المصدر فحسب، ولكنه يعكس الظروف والطريقة التي عرضت فيها المعلومات.

٣– على الصحفي أن لا يكتفي بجمع الحقائق فقط، بل البحث أيضا عن تفاصيل الشخصية التي يحاورها والمكان الذي دار فيه الحوار والظروف التي تم بها؛ فالعناصر الوصفية يمكن أن تكشف عن أشياء لا يرغب المصدر في قولها، كما أنها تساعد في بناء قصصي جذاب.

٢– إحياء كتابة تقارير حماية المستهلك:

من الخطأ الاعتقاد بأن الصحافة الاستقصائية حكر على وسائل الإعلام والأخبار فقط. وهنا نذكر بما أوردناه لنموذج الرواية "الغابة" الصادرة في عام ١٩٠٦ والتي كان لها تأثير هائل في تاريخ الاستقصاء. وعلى نسق الرواية، قد يأخذ التحقيق شكل الكتاب. ففي عام ١٩٦٥، فجّر رالف نادر في كتابه "غير آمنة على أي سرعة" فضيحة شركات تصنيع السيارات الأمريكية التي كانت تنتج سيارات فيها عيوب قاتلة أدت إلى مقتل الآلاف.[٢٨] وكانت قوة شركات صناعة السيارات كمعلنين سبباً في فشل وسائل الإعلام في الكشف عن تلك الفضيحة، حتى خرج رالف نادر بكتابه. وأصبح نادر متحدثا في الجامعات كما أسس رابطة المستهلكين للمكافحة من أجل الإصلاح. وفيما بعد ترشح في الانتخابات الرئاسية الأمريكية. ورغم خسارته، إلا إنه كسب ملايين الاصوات. نجاح نادر في صناعة الأخبار سرعان ما انتشر بين أقطاب هذا الحقل، فأصبح الاستقصاء ملمحاً من ملامح أعمدة الصحافة التي تستهدف حماية المستهلكين. وظهرت حاليا منظمات مجتمع مدني غير حكومية مهمتها حماية المستهلكين من الغش والمنتجات الخطرة. وأصبح لدى هذه المنظمات مطبوعات ومدونات ومواقع الكترونية تعمل لتحقيق هذا الهدف. وحيثما يوجد سوق، ستجد مطبوعة أو أكثر من هذا النوع.

[٢٧] انظر: لدى برنشتاين في "الخاتمة"، ولدى جيسيكا ميتفورد في "الكتابة المسمومة بخط اليد".نيويورك: مطبعة نونداي، ١٩٧٩.

[٢٨] الأصل هو: رالف نادر "غير آمنة في أي سرعة الأخطار المصممة في السيارات الأمريكية"، (١٩٦٥) الناشر: غروسمان ،نيويورك.

- ويمكن للمحاضر الإشارة إلى نماذج من هذه الوسائل الإعلامية مثل:

- "تقارير المستهلك" http://www.consumerreports.org/cro/index.htm
وهي الدورية الأمريكية التي تعتبر دليلا للمستهلكين لاتخاذ القرارات السليمة في الشراء، وهي مستقلة وقوية ويمكن أن تسبب مشكلات هائلة للمصنعين في حال وجود عيوب في منتجاتهم.

- "٦٠ مليون مستهلك" http://www.60millions-mag.com/ والتي تدعمها منظمة مجتمع مدني قوية ولا تتوانى عن الدخول في مواجهات مع الحكومة والاعمال.

- بريسكرير http://english.prescrire.org/en/
مطبوعة ورقية وإلكترونية صدرت بالفرنسية ثم بالإنجليزية تقدم صحافة مستهلك تقليدية متنوعة وتركز على جمهور من أصحاب المهن والأطباء ممن يحتاجون إلى رؤى مستقلة حول العلاجات الجديدة والعقاقير لمواجهة التكتيكات الترويجية الشديدة لشركات الادوية. وقد كشفت بريسكراير عن فضائح حقيقية لأدوية غير آمنة.

من كل ما سبق، ظلّت صحافة الاستقصاء دائما قوة للتغيير والابتكار، رغم أنها لم تكن أبدا التيار واللون الغالب على صناعة الأخبار. إلا إنه كلما تقدمت وارتفعت أسهم صحافة الاستقصاء، كان على صناعة الأخبار أن تستجيب لها وتتبناها. وسيكون لهذا الأمر انعكاسان على الطلبة:

١- هناك عدّة سبل يمكن للطلبة نشر/ بث أعمالهم من خلالها وتحديد الجمهور المستهدف وصولا إلى تحقيق دخل إن استطاعوا تقديم معلومات مفيدة ومدققة وحصرية. ففي الدول النامية، تتسم صناعة الأخبار غالبا بالجبن أو تكون واقعة تحت سيطرة طبقة الأقلية الحاكمة (الأوليجاركية). ولا يعني ذلك أن تحجم وسائل الإعلام عن نشر تحقيقات استقصائية، أو تنعدم خيارات النشر أمام الصحافي الطموح.

٢- ثمّة طرق عدّة لطرح التحقيقات على عامة الجمهور أو على جمهور مستهدف. والقاعدة الوحيدة التي لا يمكن التخلي عنها طوال الوقت هي أن تكون القصة مبنية على حقائق مدققة وأن تكون كاملة بأقصى قدر ممكن.

٣- الاستقصاء ليس مجرد وسيلة للتأثير في السياسات، ولكنه يمكن أن يكون مفيدا في كل مناحي الحياة اقتصاديا واجتماعيا.

[27] انظر: لدى برنشتاين في "الخاتمة"، ولدى جيسيكا ميتفورد في "الكتابة المسمومة بخط اليد".نيويورك: مطبعة نونداي، ١٩٧٩.

[28] الأصل هو: رالف نادر "غير آمنة في أي سرعة الأخطار المصممة في السيارات الأمريكية"، (١٩٦٥) الناشر: غروسمان ،نيويورك.

ملحق الفصل الثامن

ظهور الصحافة الاستقصائية العربية



بقلم – د. صبا بيباوي

في المقال التالي تلقي د. صبا بيباوي أول نظرة شاملة حول التطور التاريخي للصحافة الاستقصائية في المنطقة العربية. يمكن للمدرب استخدام هذه المادة الفريدة بطريقتين على الأقل:

- أولا، تجيب هذه المقالة الموثوقة على السؤال: "ماذا عن الصحافة الاستقصائية العربية؟" حيث تقدم تقييماً متوازناً وموثقاً لإنجازات الصحافيين العرب في سعيهم لتوسيع حدود حرفتهم في ظل ظروف غالبا ما تكون صعبة في كثير من الأحيان.

- ثانيا، يشكل النص الاساس لإجراء مزيدا من البحث من قبل المدرب وكذلك الطلاب. وعلى وجه التحديد يمكن للمدرب أن يطلب من الطلاب إعداد عرضٍ تقديمي حول أحد الصحافيين المذكورين في النص الذي قدمته بيباوي، وفقا للمبادئ التوجيهية الواردة في الفصل ١٦ تحت عنوان "إيجاد نماذج: مناقشة صفية لواجبات القراءة والمحاضرين الضيوف".

وعند إستعراض التطور التاريخي للصحافة العربية، تظهر ملاحظتان:

- الأولى أن تقاليد الصحافة التي نشأت تاريخياً في المنطقة، كانت قد تطورت بفضل أفراد صحافيين ممن لعبوا دوراً نشطاً في تحويل هذا المجال. واليوم يجد الصحافيون الاستقصائيون أنفسهم مرة أخرى بحاجة إلى تحويل هذا المجال ليصبحوا قادة مستقلين في عملية التغيير.

- الثانية والتي تظهر هي أنه وعلى الرغم من أن الصحافة العربية تطورت إعتماداً على التقاليد الغربية للصحافة من خلال اقتراض العديد من قيمها، الا انها تحولت في نهاية المطاف لتعكس السياق المحلي للمنطقة والتي شكلتها العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية

تتشكل الصحافة الاستقصائية العربية اليوم بطريقة مماثلة بحيث تصبح شكلاً من أشكال التقارير الاستقصائية التي تتبنى الأساليب الغربية وتقنيات التقارير الاستقصائية، في حين يتم موائمة الممارسات الثقافية الخاصة بالثقافة العربية للصحافة. ومع أخذ هاتين الملاحظتين بعين الاعتبار سأقدم وصفا تاريخيا لكيفية تطور الصحافة العربية في المنطقة بشكل عام، والصحافة الاستقصائية على وجه التحديد.

يقدم الكاتب عامي أيالون في كتابه "تاريخ الصحافة في الشرق الأوسط العربي" وصفاً شاملاً ومفصلاً لظهور الصحافة في العالم العربي، والذي سأعتمد عليه هنا كخلفية لفهم تطور الصحافة الاستقصائية في المنطقة. بشكل عام تدار الصحافة داخل الدول العربية في ظل بيئة تسيطر وتهيمن عليها الدولة. ويوضح أيالون قائلا: "كان يتوقع أن يبسط الحاكم العربي سيطرته على نحو فعال، ومن المرغوب أن يكون عادلاً وكان يطلب من الرعية الطاعة بغض النظر عن نوعية عدالته".

ان المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه هذا المفهوم هو أن الحكم الفعال أمر ضروري لاستقرار المجتمع وسيره بشكل سليم، كما أن الطاعة أمر اساسي لضمان هذه الفعالية (أيالون، ١٩٩٥: ١٠٩).

لهذا كان لوسائل الإعلام دور محوري في ضمان فعالية طاعة الناس. وبالتالي، أديرت الصحافة العربية وعلى نطاق كبير باعتبارها الناطقة بلسان الدولة، وبالتالي تعمل على تجنيبها المسائلة السياسية والدينية والثقافية.

صدر أول تشريع للتأثير على الصحافة العربية بموجب القانون العثماني للمطبوعات والنشر في كانون الثاني من عام ١٨٥٧. وينص هذا القانون على ضرورة الحصول على إذن مسبق من مجلس التعليم ووزارة الشرطة لإنشاء مطبعة. إلا أن الأمر الذي كان له أهمية خاصة بالنسبة لمفهوم الصحافة الحرة في هذه الحالة أن هذا القانون يلزم أي شخص يحمل ترخيصاً صحفياً بتقديم جميع النصوص التي يعتزم نشرها للحصول على موافقة المجلس.

وبعد عام، تم فرض قانون العقوبات والذي اشتمل على الإغلاق وفرض الغرامات على الذين لم يقدموا موادهم للموافقة المسبقة عليها قبل النشر. (أيالون، ١٩٩٥: ١١١). وكما يقول أيالون، "فإن الترخيص والرقابة المسبقة قبل النشر، والعقوبات المقررة، وهي مجموعة من التدابير الوقائية، أصبحت الاساس في سيطرة الحكومة على التعبير الذاتي المطبوع على المواضيع الفردية"(أيالون، ١٩٩٥: ١١٢). وأدى ذلك، بشكل لا مفر منه، إلى الرقابة الذاتية للصحفيين على ما يتم الكتابة عنه وما يجب تجنبه في منشوراتهم. كان الصحافيون يدركون تماما الخطوط الحمراء السياسية والدينية والاجتماعية التي لا يسمح لهم بتخطيها.

الا ان قواعد ما كان مسموحا به أو محظوراً نادراً ما كانت ثابتة، وكان تفسير النصوص يعتمد إلى حد كبير على فهم أو جهل المراقبين. و"نتج عن ذلك حالات سخيفة عديدة" (أيالون، ١٩٩٥: ١١٤). وشملت هذه الحالات على سبيل المثال رصد الكلمات التي يمكن أن يكون لها معان مزدوجة

ومن ثم خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، كان قادة المنطقة يشعرون بالغضب ليس فقط بسبب سلوك الصحافة ولكن بسبب وجودها بحد ذاته.

حرية التعبير مصطلح ومفهوم جديد وعبارة صيغت حديثا باللغة العربية، كانت ايضا جزءاً من نظام أجنبي (أيالون، ١٩٩٥: ١١٧). ومع ذلك، كان هناك بعض المفكرين المثقفين العرب امثال رفاعة الطهطاوي ممن سعوا إلى تعزيز الفكر التنويري في المجتمع المصري في ثلاثينيات القرن التاسع عشر وما بعده.

كان هنالك ايضا من تم توجيههم نحو الاعلام إقتداءاً بالنموذج الأجنبي ودخلوا عالم الصحافة بنجاح في الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر (أيالون، ١٩٩٥: ٢١٦). وأظهر هؤلاء أنه من الممكن نشر الآراء حول القضايا العامة ويكون لها تأثير بدون خلق عداء مع الحكومة إلى أبعد حد مقبول، وتمكنوا من إنتاج سلعة قابلة للبيع، "بل ولكسب العيش منها، وبعبارة أخرى أصبحت الكتابة حول الشؤون الحالية مهنة"(أيالون، ١٩٩٥: ٢١٦).

وعليه، فان تطور المهنة نفسها بدأ مع إدخال مفاهيم وتعاليم الصحافة الغربية إلى الصحافة العربية. وتضمنت مصطلحات ومفاهيم "الموضوعية" و"الحيادية". ومع ذلك لم يكن من السهل دائما تطبيق مثل هذه المفاهيم ضمن بيئة إعلامية عربية خاضعة لرقابةمشددة ومسبقة.

ويعني ذلك أن الصحافة العربية اُجبرت على التطور بطريقة مختلفة عن الصحافة الغربية. وتبعاً لذلك تطورت الصحافة العربية بشكل مغاير عن النموذج الأوروبي الاصلي في الأدوار الاجتماعية والسياسية التي شغلتها (أيالون، ١٩٩٥: ٢١٥). ومن أبرز الصحافيين الذين برزوا وأصبحوا مؤثرين مصطفى كامل وأحمد لطفي السيد ومحمد التابعي وأمين الرافعي ومحمد حسنين هيكل وعباس محمود العقاد وسعد وفتحي زغلول وعبد القادر حمزة، ومحمود عزمي من مصر، اضافة الى جبران وغسان تويني ومحي الدين النصولي من لبنان؛ وأبناء الريس،ومحمد كرد علي، ويوسف العيسى، ونصوح بابل من سوريا و توفيق السمعاني ورفائيل بطي من العراق؛ وعيسى العيسى من فلسطين (أيالون، ١٩٩٥: ٢١٧).

ووصل عدد الصحف التي انشأت في نهاية عام ١٩٢٩ إلى ثلاثة آلاف دورية عربية (أيالون، ١٩٩٥: ٢١٧). وفي ذلك الوقت كانت هناك شروط دنيا لإنشاء صحيفة خاصة غير حكومية، حيث تنص شروط الترخيص على ان يتراوح الحد الأدنى لسن مالك الصحيفة ما بين ٢٠-٢٥ عاما، ووجود شهادة عدم محكومية اضافة الى ضمانات مالية (أيالون، ١٩٩٥: ٢١٧).

في بعض الحالات كان الكاتب الذي ينشئ صحيفة يستقطب اليه من يتفق معه في الفكر، ويقومون تدريجياً بتشكيل حزب يصبح ناشطا على الساحة السياسية" (روف، ٢٠٠٤: ١٤٨)، وخاصة خلال فترة الاستعمار الفرنسي والبريطاني.

وفي وقت لاحق من ذلك القرن، فُرضت قيود عديدة على الصحافة مما يعني أن الدولة هي وحدها من يمكنها الوصول إلى وسائل الإعلام.

اما في الوقت الراهن، فقد ازدادت المساحة الإعلامية في العالم العربي خاصة مع ظهور الإنترنت، ومع ذلك يتم باستمرار إغلاق المواقع الإخبارية المستقلة كما حصل خلال وبعد انتفاضات الربيع العربي الأخيرة لأسباب متغيرة.

أحد الجوانب المثيرة للإهتمام في الصحافة العربية هو أن ثقافة الصحافة في البداية كانت تركز على "الرغبة في الإشباع الأدبي"، واعتبر الكتاب الصحف منفذاً لإنتاج الأعمال الأدبية (أيالون، ١٩٩٥: ٢١٩). وهذا يفسر أن الصحافة العربية اليوم أدبية بطبيعتها وان إنتاج الصحافة الاستقصائية التي تعتمد اساسا على الحقائق، واللغة البسيطة، والدخول مباشرة في الموضوع تعتبر واحدة من التحديات التي يواجهها المدربون مع الصحافيين الاستقصائيين في المنطقة اليوم.

ازدادت العبارات الأدبية في الصحافة العربية بسبب الدوافع السياسية، خاصة في مواجهة الإمبريالية الفرنسية والبريطانية في الدول العربية والتي جاءت نتيجة اتفاق "سايكس بيك"و الذي قسم العالم العربي عام ١٩١٨ وذلك بعد هزيمة الإمبراطورية العثمانية.

ومع ذلك "كان البريطانيون أكثر تسامحاً من الصحف الحزبية التابعة للأحزاب المنظمة" (روف، ٢٠٠٤: ١٤٨)، وبالتالي لعبت الصحافة دوراً سياسياً قوياً ضد الإمبريالية الأجنبية في بعض المناطق في العالم العربي.

فعلى سبيل المثال استخدم حزب الوفد في مصر قبل عام ١٩٤٥ صحيفته أداةً سياسيةً ضد الجيش البريطاني، حيث لم يكن من الممكن مواجهة الاحتلال بالوسائل العسكرية (روف، ٢٠٠٤: ١٤٩).

وحسب روف، فإنه وباستثناء فترة الرقابة زمن الحرب، كانت الصحافة قادرة على انتقاد السياسات، وفضح الفساد في الحكومة، كما كانت تعكس مختلف الفلسفات والمصالح" (روف، ٢٠٠٤: ١٤٩). ويوضح أيالون ان الصحافيين أصبحوا مثاليين في عملهم، و كانت هناك رغبة شديدة في خدمة المجتمع والدولة والوطن. (أيالون، ١٩٩٥: ٢١٩).

وهكذا كانت افتتاحية كل مجلة جديدة (وحتى المذكرات الصحافية) تتضمن العبارة التقليدية "الرغبة في خدمة الصالح العام". الا انه وعلى الرغم من الاستخدام الكبير لهذه الصيغ، فانه لا يوجد سبب للشك في صدقهم (أيالون، ١٩٩٥: ٢١٩).

ووفقا لذلك، وكما وصف أيالون، أصبح الصحافيون خلال هذا الفترة عوامل فاعلة للتغيير الثقافي والاجتماعي (أيالون، ١٩٩٥: ٢١٦). وبعد انتهاء الحكم البريطاني والفرنسي في النصف الثاني من القرن العشرين، فُرضت الرقابة مرة أخرى على وسائل الإعلام العربية.

فالصحافة الاستقصائية في العالم العربي ليست جديدة. ففي الماضي كانت هناك تحقيقات فردية قام بها عدد قليل من الصحافيين وعلى الرغم من أنها لم تكن في معظم الأحيان توصف بأنها "تحقيق"، الا انه كان ينظر إليها على أنها محاولات لتحرير الصحافة وتغيير الطرق التقليدية في الكتابة الصحافية. ومن الأمثلة على ذلك ما قام به الإخوان أمين في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين في مصر. كان مصطفى أمين وعلي أمين، وهما شقيقان توأمان من "دعاة الديمقراطية على النمط الغربي" والليبرالية الغربية والاقتصاد الحر، والصحافة الحرة وان كل ذلك من شأنه أن يساعد على تحرير مصر (جيل، ١٩٩٧).

قبل تأميم الرئيس جمال عبد الناصر الصحافة المصرية عام ١٩٦٠، أسس الإخوان أمين خمس مطبوعات شملت كل من "الأخبار" والمجلة الأسبوعية[٢٩] و"أخبار اليوم". كانت صحفهما تنتقد من كانوا في السلطة مما أدى إلى سجنهما بشكل متكرر. وقد سُجن مصطفى أمين عام ١٩٣٩ لإنتقاده الملك فاروق كما سجن في أوائل الخمسينات من القرن الماضي أثناء حكم عبدالناصر (جيل، ١٩٩٧).

وبرز إحسان عبد القدوس أيضا في كتابة القصص الاستقصائية لمجلة "روز اليوسف" التي أسستها والدته فاطمة اليوسف. كان عبد القدوس كاتب أعمدة في الصحف والمجلات الحكومية. وتناول عموده الثابت "على مقهى في شارع السياسة" القضايا الراهنة التي كان يتم تداولها في المقاهي في مصر آنذاك، وبالتالي عمل على توسيع ونقل النقاشات في تلك القضايا إلى الرأي العام. كما عمل أيضا في الستينات والسبعينات من القرن الماضي رئيس تحرير لصحيفتي "أخبار اليوم" و"الأهرام" (نيويورك تايمز، ١٦ كانون الثاني ١٩٩٠).

[٢٩] قد تكون المجلة المقصودة هي "آخر ساعة"، لكن من المهم التوضيح ان الاخوين مصطفى وعلي أمين لم يؤسسا هذه المجلة بل اشتروها عام ١٩٥٤ من مؤسسها ومالكها محمد التابعي.عدا أن الأخوين أمين قاما باطلاق مجلات اخرى ضمن مجموعة اخبار اليوم وهي مجلة "آخر لحظة" عام ١٩٤٨ ومجلة "الجيل الجديد" عام ١٩٥١ لكن هذه المجلات لم تستمر. (المراجع)

محمد حسنين هيكل، صحافي مصري آخر برز في تحقيقاته الاستقصائية حيث عمل رئيساً لتحرير صحيفة "الأهرام" التي تتخذ من القاهرة مقرا لها، وكان حريصاً على تطويرثقافة وممارسة إعداد التحقيقات الاستقصائية في الصحيفة، ولهذا عمل على تدريب الخريجين في قسم الصحافة الاستقصائية وتوظيفهم في الصحيفة.

الا انه وعلى عكس الأخوين أمين، كان لهيكل علاقات قوية مع الرئيس جمال عبد الناصر وبالتالي توافرت لديه إمكانية الوصول الى المعلومات. وبناء على ذلك، كانت لديه موافقة من السلطات على نشر أعماله بالإضافة إلى تحقيقاته. ومع ذلك، وخلال حكم أنور السادات الذي خلف عبد ناصر واصل هيكل كتابة تقاريره ولكنه عندما تحدث بشكل مباشر معارضاً لسياسة الحكومة "فقد منصته ببساطة" (روف، ٢٠٠٤: ١٥٣).

كانت هناك محاولات فردية حديثة في إعداد تحقيقات استقصائية ومن الأمثلة على ذلك تحقيقات رنا الحسيني في الأردن التي عملت على الكشف عن جرائم الشرف وجذبت اهتمام الرأي العام الى هذه القضية. كان هذا الأمر في غاية الاهمية وذلك بالنظر إلى أن هذا الموضوع يعتبر من المحرمات التي ينبغي معالجتها وانتقادها في العلن.

تعمل رنا الحسيني في صحيفة "جوردان تايمز"، حيث كانت تزور مختلف مراكز الشرطة تستفسر وتتابع وتكشف عن حالات مختلفة من جرائم الشرف، وتحقق في أسباب ارتكاب هذه الجرائم وكيف يتم التعامل معها. ومن خلال سلسلة من التحقيقات المعمقة تمكنت الحسيني من تكوين وعي اجتماعي تجاه هذه القضية والكشف عن أوجه القصور القانونية في التعامل مع الممارسة الاجتماعيةّ الأمر الذي يدعو إلى إصلاح التشريعات.

ونتيجة لذلك، تم تشكيل لجنة وطنية أردنية للقضاء على جرائم الشرف وتمكنت الحسيني من جمع ١٥ ألف توقيع على شكل عريضة تطالب بعقوبات أشد على مرتكبي جرائم الشرف (الحسيني، ٩ كانون الثاني ٢٠١٥).

وفيما بين الاعوام ١٩٩٩ و٢٠٠٣، تم رفع تعديلات على القانون إلى البرلمان الأردني ولكنها رُفضت عدة مرات. وعلى الرغم من عدم تحقيق تغيير ملموس في هذا الموضوع، الا ان تحقيقات الحسيني نقلت حجم المشكلة وسلطت إهتمام الرأي العام المحلي والعالمي بها.

ومن الضروري الاشارة إلى أن جميع الحالات الفردية القديمة والحديثة المتعلقة بالتحقيقات الاستقصائية كانت معزولة وغير مستمرة، نظرا لعدم وجود وحدات مؤسسية تدعم الصحافيين الاستقصائيين. وبالرغم من ذلك فإن المؤسسات الإعلامية في العالم العربي باتت تدرك الآن أهمية الصحافة الاستقصائية وتوليها بعض الاهتمام والسبب في ذلك أنها أصبحت ترى آثار التحقيقات الاستقصائية وتعي حجم قوتها.

لقد حصل تجديد في الآونة الأخيرة للتحقيقات الاستقصائية من خلال المؤسسات الإعلامية مثل قناة "الجزيرة" الفضائية حيث قام يسري فودة، كبير المراسلين الاستقصائيين في القناة بإجراء تحقيقات في غاية الاهمية في برنامج "سري للغاية" .

يروي فوده كيف بدأت فكرة البرنامج: "بعد إنطلاق قناة الجزيرة الفضائية عام ١٩٩٦، حزمت امري وطرحت فكرة على إدارة المحطة والتي بدت "غريبة" للبعض وهي السماح لي بالاختفاء مدة شهرين بعد ظهور كل شهرين مقابل انتاج تحقيق استقصائي مدته ٤٥ دقيقة. وللسخرية كان من المتعارف عليه في العمل التلفزيوني العربي آنذاك أن يُسمح لك فقط بعدم الظهور لمدة ٤٥ دقيقة اذا وعدت بالعودة بما يوازي شهرين من العمل المكثف.

ويضيف: "وكما كان متوقعا اشاحت الادارة عن هذا الاقتراح ببعض من الاستهزاء وكدت ادخل في دائرة أخرى من الاكتئاب المهني" (فوده، ٢٠٠٩).

على الرغم من هذه البداية الصعبة بدأ البرنامج البث في عام ١٩٩٨ واستمر لمدة عشر سنوات في حزيران ٢٠١٠، أعلنت "الجزيرة" عن إنشاء وحدة التحقيقات الاستقصائية وقال المدير العام آنذاك وضاح خنفر: "تأتي هذه المبادرة الرائدة في الوقت الذي تتراجع فيه الشبكات الأخبارية الكبرى عن الصحافة الاستقصائية".
واضاف ان الوحدة الجديدة تمثل خطوة هامة في تقدم عمل الشبكة ليس فقط من اجل توسيع نطاق تقاريرنا، بل أيضا للدفع نحو المزيد من التحقيقات المعمقة (تصريح صحافي، ٢٩ حزيران ٢٠١٠).
تتألف الوحدة من ثلاثة فرق تحقيق هدفها إجراء تحقيقات خاصة بها وكذلك جمع القصص من مصادر خارجية للإنتاج عبر جميع قنوات الجزيرة ومنصاتها وبكل لغاتها (تصريح صحافي، ٢٩ حزيران ٢٠١٠).

وأُنشئت وحدة أخرى للتحقيقات الاستقصائية في قناة الجزيرة في نيسان / ٢٠١٣ كجزء من قناة الجزيرة الأمريكية، وفي يناير/ كانون الثاني من عام ٢٠١١، تم إنشاء وحدة الجزيرة للشفافية بهدف تحريك جمهور الجزيرة في العالم العربي وخارجه على تقديم جميع اشكال المواد التي ربما تساعد على مكافحة الفساد ونشر مفهوم الشفافية سواء كانت وثائق، صور، رسائل بريد الكتروني، مقاطع صوتية او فيديو او حتى مواد تحمل دلالات على قصص معينة) من اجل المراجعة التحريرية وانتاجها إذا استحقت تلك المواد نقلها عبر الإنترنت وبثها باللغتين الإنجليزية والعربية (تحقيقات الجزيرة ، ٩ يناير/كانون الثاني ٢٠١٥).

تتعامل وحدة التحقيقات في الجزيرة مع القضايا الإقليمية والعالمية. ومن الجدير ذكره أن التحقيقات التي تجريها تكون على المستوى الإقليمي والعالمي على عكس التدريب والتقارير التي تجري على مستوى الدولة المحلي، مثل وحدات التحقيق التي تم إنشاؤها بمساعدة شبكة إعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية (أريج).

مراجع هذا الملحق:

تحقيقات الجزيرة، عن وحدة الشفافية [عبر الانترنت]
http://transparency.aljazeera.net/en/aboutus/, accessed 9 January 2015

أيالون، عامي (١٩٩٥) تاريخ الصحافة في الشرق الأوسط العربي: مطبعة جامعة أكسفورد.

فودة، يسري (٢٠٠٩) "الصحافة الاستقصائية العربية"، في عمون، ٢٠ نوفمبر / تشرين الثاني [عبر الانترنت].
http://en.ammonnews.net/article.aspx?articleNO=4833#.VK8KSyjB5UQ, accessed 9 January 2015.
http://www.ranahusseini.com/Biography2.html

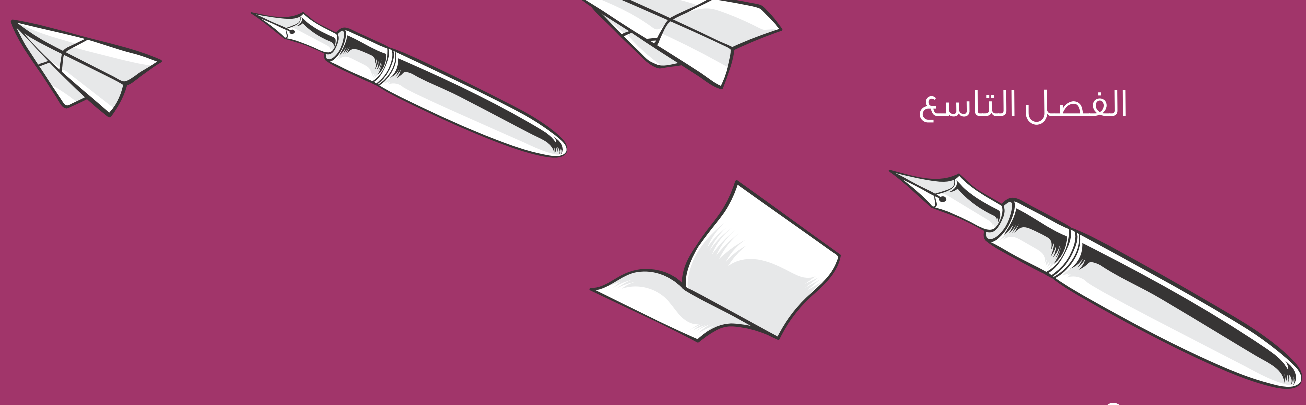
الحسيني، رنا، سيرة رنا حسيني:
جيل، دوغلاس (١٩٩٧) "مصطفى أمين، محرر ليبرالي سجن من قبل ناصر، توفي عن عمر ٣٨"، في صحيفة نيويورك تايمز، ٦١ أبريل [عبر الانترنت]:
http://www.nytimes.com/1997/04/16/world/mustafa-amin-liberal-editor-jailed-by-nasser-dies-at-83.html, accessed 20 November 2014

نيو يورك تايمز (١٩٩٠) إحسان عبد القدوس، كاتب مصري، [عبر الانترنت]
http://www.nytimes.com/1990/01/16/obituaries/ihsan-abdel-kuddous-an-egyptian-writer-71.html accessed 9 January 2015

(٢٠١٠) شبكة الجزيرة تطلق وحدة جديدة للصحافة الاستقصائية، ٢٩ يونيو،

https://www.facebook.com/notes/al-jazeera-english/al-jazeera-network-launches-a-new-unit-for-investigative-journalism/402479163262, accessed 9 January 2015

روف، ويليام، (٢٠٠٤) الإعلام العربي: الصحف والإذاعة والتلفزيون في السياسة العربية، بريجر: ويستبورت
Rugh, William, A. (2004) Arab Mass Media: Newspapers, Radio, and Television in Arab Politics, Praeger: Westport



أخلاقيات صحافة الاستقصاء:

الانحياز– المصادر - تعارض المصالح - العمل متخفيا

قراءة تحضيرية بالاطلاع على: قانون أخلاقيات المهنة للجمعية الوطنية للصحافيين المحترفين

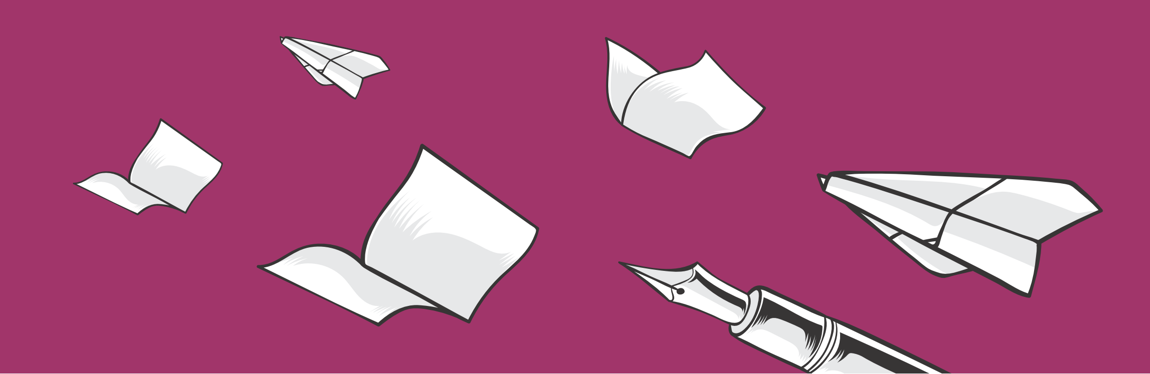
يجب تكليف الطلبة قبل هذه المحاضرة بالاطلاع على "قانون أخلاقيات المهنة" للجمعية الوطنية للصحافيين المحترفين والذي يمكن تحميله من
http://www.spj.org/ethicscode.asp?mobile=no

تقرير كارول كرباج: "مقاتلو التبانة وجبل محسن بين معركتين: تبادل مزاح وسلع... وسلاح!".
للإطلاع عليه بالعربية: http://arij.net/node/6375

وبالإنجليزية: The Battles for Bab Tabbaneh and Jabal Mohsen
http://arij.net/en/battles-%E2%80%9Cbab-tabbaneh%E2%80%9D-and-%E2%80%9Cjabal-mohsen%E2%80%9D-banter-and-barter-and-bullets

أيضا، سيمور هيرش: " التعذيب في أبو غريب"، ذا نيويوركر، ١٠ مايو ٢٠٠٤
http://www.newyorker.com/archive/2004/05/10/040510fa_fact?currentPage=all

واخيرا، حنان زبيس: "رياض الأطفال القرآنية في تونس: تربية نخبة وهابية"
http://arij.net/en/quranic-kindergartens-tunisia-breeding-wahhabi-elite



على الأغلب تكون القضايا الأخلاقية التي تواجه الصحافيين الاستقصائيين أكثر رمادية من مجرد كونها بالأبيض والأسود. وفي رأينا لكي يكون الصحافيون أوسع تأثيرا فإن عليهم أن يقدّروا المخاطر أكثر من محاولة التعرف على المواقف الأخلاقية النموذجية في موقف ما. وفي هذا السياق، يكون السؤال: ما هي المخاطر التي يمكن أن تحيق بالصحافي أو غيره جراء سلوك معين؟ وكيف يمكن للصحافي أن يقلل أو يستبعد تلك المخاطر؟ وتتمثل المخاطر الاخلاقية الرئيسية للصحافيين الاستقصائيين في ثلاثة أوجه:

- الكشف
- المصادر
- تعارض المصالح

أولا: عواقب الكشف:

١- الصحافيون وتعرضهم للوم على كشفهم الحقيقة:

الصحافيون - والمبدعون عامة - ممن يكشفون ظلما أو فسادا أو حتى مجرد عدم كفاءة -- يتهمون دائما بتقويض التنمية أو النظام العام، وبأنهم بإشارتهم إلى تلك المشاكل (المخفية)، يتسببون في مشاكل أكبر.
ففي الثمانينيات، اتهم الصحافيون الذين كشفوا عن فساد الحزب الاشتراكي في فرنسا بمساندة حزب الجبهة الوطنية الذي كان يمثل الفاشية الجديدة. وفي التسعينيات، وصف الكشف عن فضيحة بيع دم ملوث بفيروس الإيدز بأنه محاولة لتدمير النظام الصحي الوطني تعاطفاً مع اليمين المتطرف في فرنسا ودعماً له. وكانت الحكومة سهّلت بيع الدم وهي تعلم أنه ملوث- لمرضى سيولة الدم.[١]

ولا شك في أن المحاضر سيكون لديه أمثلة محلية على هذه الحالات التي اتهم فيها صحافيون بالعمل ضد المصلحة الوطنية لمجرد كشفهم عن الظلم. فمثلا، في تحقيق الزميلة حنان خندقجي مع شبكة أريج عن سوء معاملة أطفال في مراكز خاصة للعناية بأصحاب الإعاقات العقلية والتي كشفت فيها عن سوء معاملة وتعنيف، وضرب وتحرش جنسي في ظل ضعف دور وزارة التنمية الإجتماعية الرقابي، تعرضت الصحفية لحملة تهديد من أصحاب هذه المؤسسات ومن بعض افراد المجتمع الذين اتهموها بنشر "غسيل الأردن القذر" حول العالم. في المقابل، وفور بث التحقيق على شاشة فضائية بي بي سي العربية، قام الملك عبدالله الثاني بتشكيل لجنة حكومية لوقف الإساءات في هذه المراكز والتأكد من أن منظومة حقوق أصحاب الإعاقات العقلية تضاهي المعايير العالمية. بينما تعرض الزميل مصطفى المرصفاوي الذي عمل مع شبكة أريج للفصل من صحيفة "المصري اليوم" في آذار/مارس ١٩١٦ بعد بث تحقيقه "موت في الخدمة" على فضائية ال بي بي سي العربية. يوثق التحقيق تعرض مجندين في قوى الأمن المركزي لسوء معاملة وصل بعضها الى حد القتل في ظل تغطية من السلطات الأمنية والقضائية بتوصيف حالات القتل بأنها انتحار.

بعد بث التحقيق تعرض الزميل المرصفاوي وشبكة أريج وفضائية البي بي سي الى حملة تشوية واغتيال سمعة من خلال صحافيين موالين للحكومة وعبر منصات شبكات التواصل الاجتماعي. وحقق هذا الوسم أعلى مشاركة في مصر #bbc plots against Egypt
بعد شهرين على بث التحقيق حكم بالسجن لمدة عامين على ضابط ورد اسمه في التحقيق.

[٢٩] أنظر: مارك لي هنتر "الصراع الاخلاقي والصحافة الاستقصائية، لوموند وقضية الدم الملوث".مجلة هارفارد العالمية للصحافة والسياسية (١٩٩٧) الصفحات ٧٧-٩٥.

لكن الزميلين الخندقجي والمرصفاوي حصلا على جوائز عربية للتميز الاعلامي وأصبحا مثالا لكثير من الصحفيين العرب في الشجاعة والتضحية في سبيل خدمة قضايا تهم الرأي العام، مع علمهم المسبق بأن التحقيق في هذه القضايا كان يشتمل على المخاطر منذ البداية، لكنهما أصرا على كشف الحقيقة للمساعدة على وقفها.

ومن المفضل أن يقوم المحاضر بتشجيع الطلاب على مشاهدة أحد التحقيقين كأمثلة محلية ومناقشته في الحصة.

كما يمكن للمحاضر أن يستخدم "الصراع الأخلاقي والتحقيق الاستقصائي" (مارك هنتر١٩٩٧)[٢]

ويمكن للمحاضر أن يتعامل مع هذه القضية بأن يعرض على الطلبة قصة محلية تكشف عن فضيحة في الدولة التي ينتمي اليها الطلبة، وأن يطرح السؤال التالي:

هل كان يجب الكشف عن هذا، أم لا؟ وما هي القصص التي لا ينبغي أن يكشف عنها بالنشر او البث؟ وفي هذا المقام يمكن للمحاضر أن يستعين بقصص حول الفساد أو العنف الأسري أو تدني مستوى خدمات حكومية وذلك حتى تأتي إجابة بـ "لا". وهنا يمكن للمحاضر أن يسأل: هل المشكلة حقيقية أم لا؟ وكيف يمكن حل المشكلة من دون الاعتراف بوجودها؟ وإذا أجاب الطلبة بأن الكشف عن المشكلة أو عدم كشفها لن يحل المشكلة، يكون سؤال المحاضر: ومن المستفيد عندما ندين الظلم؟

الاجابة المنطقية عن هذا السؤال هي: الضحايا. وبالتالي، فإنه حتى وإن لم تحل المشكلة، فإن الضحايا لن يشعروا على الأقل بأنهم يواجهون ذلك الظلم بمفردهم، وهذا هو الحد الادنى الذي يسفر عنه التحقيق في مظلمة أو فساد، وهو في الوقت ذاته يبرر الكشف.

يمكن الاستشهاد بقول يسري فودة في مقدمة "على درب الحقيقة" – دليل الصحافة الاستقصائية: "لا شيء أجمل للمحقق الصحافي من أن يسمع كلمة شكر على نشره القصة". وفي الواقع، فإن معظم الشاكرين هم عائلات الضحايا أو الناجون ممن فقدوا الأمل في الاعتراف بهم وبمعاناتهم، ناهيك عن رفع الظلم عنهم.

ويمكن للمحاضر أن يسأل بعد ذلك:

هل يقوم الصحفي بالكشف عن المشكلة فقط أم ينبغي عليه أن يقترح الحل؟

هذا السؤال يلامس جوهر ممارسة الموضوعية؛ فالصحافي الموضوعي لا ينبغي أن ينحاز إلى جانب دون الآخر. ومن الناحية الأخلاقية، فإن الصحافي لا يستطيع أن يكون منصفا فيما يتعلق بموضوع ما، إذا كان لديه مصلحة في النتيجة النهائية. وبالتالي، فإن الهدف الأوحد للصحافي ينبغي أن يكون نقل الحقائق بشكل كامل ومنصف تاركاً للجمهور الحق في استخلاص النتائج، أو بشكل أكثر دقة ما تظهره القصة من أشياء ينبغي أن تتغير، وكيف يجب أن تتغير. ويطلق على تلك المعادلة "نموذج الحشد" وصولاً إلى كيفية تحقيق الإستقصاء للنتائج المنشودة وتحديد أولويات أجندة الرأي العام (بروتيس إي ل ١٩٩١).[٣]

[٢] المصدر السابق.

[٣] من بين كل ما كتب، نحن نعتبر هذا النص هو الاكثر اهمية من الناحية النظرية عن العلاقة بين الصحافة الاستقصائية والمجتمع وكيف تؤثر في المجتمع. (Protess et al., 1991)

وطبقا لتلك النظرية، فإن الكشف الذي يقوم به الصحافي الاستقصائي لحقائق غير معروفة للرأي العام تؤدي إلى تنامي الرغبة في الإصلاح من ناحية، وإلى سعي المؤسسات بما في ذلك القضائية والتنفيذية والتشريعية لتلبية هذه الرغبة الشعبية في الإصلاح من ناحية أخرى.

وفي هذا المقام، يوضح المحاضر للطلبة أنه في نهاية كتابهما "كل رجال الرئيس"، لم يقل وودورد وبرنستاين صراحة إن على الرئيس نيكسون الاستقالة أو أن تتم محاكمته وطرده من البيت الأبيض، لأنهما لو قالا ذلك فإنهما كانا سيبدوان منحازين، في حين أنه يجب على الصحفي أن يحتفظ بمسافة متساوية من جميع الأطراف في أي قضية.

في المقابل، ثمّة تقليد آخر في صحافة الاستقصاء يجسده الصحافي الفرنسي الكبير ألبرت لوندر في عصر ما بعد الحرب العالمية الاولى. فعقب دراسته للنظام العقابي في مستعمرة غيانا، اختتم لوندر سلسلة كتاباته بالمطالبة بأربعة إصلاحات محددة، قائلا: "لقد أنتهيت، ويجب على الحكومة أن تبدأ". وقد تحولت المطالبات الأربع إلى قانون بالفعل. هذا التقليد في صحافة الاستقصاء يتجاوز مجرد التنديد بالظلم إلى المطالبة برفعه.

ففي التسعينيات من القرن الماضي، قال بعض الباحثين إن اقتراح الحلول هو جوهر مهمة وسائل الاعلام[٤]، وهو ما نوافق عليه ولكن بشرط أن يكون ذلك مبنياً على دراسة جادة وبحث في جميع البدائل. كما أن هذ النهج يتوافق مع التطورات المتمثلة في دخول منظمات غير حكومية كبرى مثل حركة "السلام الأخضر" في مجال الصحافة الاستقصائية، تلك المنظمة التي لا تكتفي بأن تخبر العالم بوجود مشكلة بيئية ولكنها تطرح وتروج للحلول.

وقد يخلط بعض الطلبة بناء على ما تقدم بين دورهم الصحافي وبين أن يكونوا ناشطين أو مدافعين، وهو ما يتطلب من المحاضر أن يرد بالتالي:

- الصحافيون الذين يقترحون حلولا ينبغي أن يتسموا بالشفافية إزاء مصالحهم وأهدافهم الخاصة فيما يتعلق بالقضية مثار التحقيق.

- عليهم أن يتحملوا مسؤولية العواقب المترتبة على عملهم سواء كانت جيدة أو العكس.

- وفي المقابل، يتهم صحافيون عادة بإحداث نتائج سلبية على المجتمع سواء كان ذلك حقيقياً أو غير حقيقي، وسواء كان مقصودا أو غير مقصود.

- لا ينبغي للصحافي الاستقصائي أن يكون مجرد خادم لقضية ما، وإنما يجب عليه أولا أن يسعى للكشف عن حقيقة موقف ما؛ فلا يمكن إحداث التغيير الإيجابي بناء على أوهام حتى لو بدت نبيلة.

- يمكن للصحافي أن يتعلم حلولاً ممكنة من المصادر أو حتى أن يبتكر هو نفسه حلولاً، ولكن بشرط أن يتم التأكد من أنها حلول قابلة للتنفيذ؛ فالهدف هنا نبيل ويستحق محاولة التحقيق.

[٤] راجع: جاي روزن وديفيد ميريت: "الصحافة العامة، النظرية والممارسة"، مؤسسة كيترينغ، ١٩٩٤.

٢- كشوف الاستقصاء واحتمالات إيقاع الضرربالآخر:

الصحافيون - والمبدعون عامة - ممن يكشفون ظلما أو فسادا أو حتى مجرد عدم كفاءة -- يتهمون في أحيان عديدة، تحدد التحقيقات الاستقصائية أشخاصاً بعينهم باعتبارهم مسؤولين عن إيقاع الظلم أو الإساءة، ما قد يؤدي إلى معاناتهم سواء بفقدان الوظيفة أو أن تخسر منشاتهم زبائنها. وقد يواجهون غضب المجتمع، أو يتعرضون لاضطهاد.

على المحاضر هنا ان يكون جاهزاً لسرد قصة من هذا القبيل من البيئة المحلية لمناقشتها مع الطلبة، وذلك قبل أن يسأل: تحت أي ظرف يمكننا أن ندين شخصا ما؟ وما الذي يبرر الضرر الذي يمكن أن نوقعه بحياة هذا الشخص وبسمعته؟ وهل كراهيتنا لهذا الشخص مبرر كاف؟ وهل يصلح الانتقام دافعاً؟

وقد يسأل الطلبة عما إذا كان الانتقام من الظلم هو مجرد انتقام. وفي هذا الشأن، نقول إن الغضب من الظلم دافع مشروع، إلا أنه لا ينبغي على الصحافي أن يتحرك تحت تأثير الغضب، بل عليه أن ينظر إلى الأدلة ببرودة اعصاب بغض النظر عما يحبه أو لا يحبه. فلا يجب أن تسمح للغضب أن يأخذك أبعد مما يمكن أن تفسره الحقائق، كما لا ينبغي أن تستبعد حقائق لكي تبرر غضبك.

وإليكم بعض الأمثلة التي يمكن للمحاضر أن يناقشها مع الطلبة على أن يطلب منهم إعطاء أمثلة تدعم آراءهم:

ماذا لو كانوا يوقعون الضرر بآخرين؟

هل يفعلون ذلك عن عمد أم بالخطأ؟

هل حاولوا إخفاء ما يفعلونه لدرجة ستجعل إصلاح الضرر الذي أحدثوه أمرا أكثر صعوبة؟

هل هم في مناصب تتطلب منهم سلوكا أعلى مما أبدوه؟ هل هم قادة منظمات يعتمد عليهم أخرون، كأن تكون شركة لها أسهم في السوق، أو أعضاء في البرلمان؟

وللتعرف على كيفية إجابة صحافي قدير عن هذه الأسئلة، يمكن للمحاضر أن يناقش تحقيق "التعذيب في أبو غريب" للصحافي سيمور هيرش. ففي تلك القصة حول التعذيب في سجن عراقي تحت سيطرة العسكريين الأمريكيين، ينطلق هيرش من مناقشة هذا الفعل الإجرامي، إلا أنه لا يقف عند حد تلك المادة المفزعة، ولكنه يركز معظم الانتباه على القادة وصانعي السياسة ممن تسببوا في هذا الموقف. ويعد ذلك هدفا أعلى للاستقصائي، وقد أصاب هيرش هذا الهدف، وبالتالي، فقد كرّس معظم جهده لدرء الشر الأكبر. وهذا موقف أخلاقي ايضاً كما يشير اندرو جييننغنز قائلاً "من الذي سيكون أكثر انزعاجا؟ ذلك الذي يركب طائرة جلف ستريم ام ذاك الذي يركب دراجة هوائية".[٥]

[٥] الكتاب، ص ٢٢٣.

ثانيا: المصادرة عمل أخلاقي

١- حق المصادر في الرد:

في الاستقصاء كما في كل أنواع الكتابة الصحافية الأخرى (انظر قانون الأخلاقيات الخاص بالجمعية الوطنية للصحفيين المحترفين) فيجب منح الفرصة إلى أي شخص تتم الإشارة إليه في القصة كمتهم لارتكابه فعلا ما للإجابة عن أية أسئلة تطرحها القصة ولشرح أية حقائق خاصة به في نطاق ما كشف عنه التحقيق وقبل النشر أو البث، إلا في حالة واحدة؛ احتمال أن يلحق مثل هذا اللقاء بين المصدر والصحافي ضرراً جسدياً ومادياً بالصحافي. ولكن حتى رجال العصابات يمكن محاورتهم كما أثبت مشروع التحقيق في الجريمة المنظمة والفساد.[٦] وبالتالي، فإن قصص الطلبة التي لا تتضمن حوارات مع أشخاص متهمين لا يمكن قبولها. قامت شبكة أريج في احيان كثيرة بمراسلة الجهات التي كشف التحقيق أنها قامت بتقصير ما، وطلبت منها الرد خلال مدة أقصاها أسبوعين. وقامت الشبكة بإرسال هذه الرسالة المذيلة بتوقيع المدير التنفيذي، من أجل حماية الصحافي، عبر البريد المسجل كإثبات على حرص الشبكة على إسماع صوت هذا الطرف.

٢- الانفرادات والسبق الصحافي يجب أن تكون مدعومة بأدلة:

تقدم للصحافيين في كثير من الأحيان "انفرادات" تكون بالأساس مضللة ومبنية على شهادة طرف واحد في فضيحة أو وثيقة "سرية" مزعومة.
في تلك الحالات لا يجب استخدام هذه المعلومات إلا بعد ان يؤكدها الصحافي بشكل مستقل من مصادر أخرى.
ولتوضيح هذه النقطة، يمكن اختيار قصة فاضحة مثيرة غير منسوبة لمصدر مثل ما نشرته صحف عربية مؤخرا من "أخبار" بشأن مضاجعة وزيرة إسرائيلية دبلوماسيين أجانب للحصول على موافقة بلادهم على سياسات إسرائيل. على المحاضر أن يسأل الطلبة: هل ننشر تلك القصة؟ وهذا السؤال سيثير جدلا فيما بينهم حول المضمون. ثم يأتي السؤال الثاني: كيف تعرف أن هذه الاخبار حقيقية؟ وكيف ستتحقق من ذلك؟ إن لم يستطيعوا الإجابة، فإن تلك الاخبار لا تساوي شيئا.

٣- الحرص على استخدام المصادر المجهولة

ينزع طلبة وصحافيون محترفون لاستخدام مصادر مجهولة، بخاصة في العالم العربي، حيث توجد أسباب وجيهة للمصدر كي يطلب عدم الكشف عن هويته. فأحيانا، قد تكون نتيجة الكشف عن هويته تعرضه لخطر الانتقام، وبالتالي، طبقا للمصدر، فإن الصحافي يخشى خطر الانكشاف والتعرض للانتقام. وسنبحث تلك القضية في الجزء التالي.

وفي المقابل، قد يكون هدف المصادر هو مجرد التلاعب بالصحافي أو لإيقاع ضرر بشخص لديه حصانة بسبب مركزه ما يشكل أداة لتهديد صدقية الصحافي. فلو اتضح أن القصة مزيفة أو فيها تلاعب، فإن ذلك كفيل بالقضاء على مستقبل الصحافي،[٧] ولذا فلنتدبر هذا الخطر قبل استفحاله.

[٧] "الصراع الأخلاقي والصحافة الاستقصائية، لوموند وقضية الدم الملوث"، مرجع سبق ذكره.

دعم المعلومة بأدلة أخرى يفي بهذا الغرض. فما هي المصادر التي تدعم المصادر المجهولة للصحافي، وهل يمكنهم أن يوثقوا ما تدعيه هذه المصادر المجهولة؟ أو هل يمكن للصحافي أن يحصل على تأكيد أربعة مصادر بشرية - مجهولة أو غير مجهولة - على ادعاء ما؟ وفي هذا المقام، يلاحظ أنه تم استخدام الأسلوبين في ذلك الجزء من "مقاتلو التبانة وجبل محسن بين معركتين: تبادل مزاح وسلع... وسلاح" لكارول كرباج. ويعتمد جوهر هذا العمل على بناء الحوار ولكن مع ملاحظة أن الصحافية نسجت حقائق منفصلة داخل الحوارات لخلق وتثبيت صورة لها معنى معين، ولننظر إلى هذا الجزء النموذجي:

- اعتراف القائد العسكري تم دعمه بعبارة شعبية لتوضيح مدى نمطية أفعاله.
- تم رسم خارطة للسلسلة التجارية لعملية التهريب.
- تم إيراد تفاصيل عملية أخرى مماثلة.
- وتقوم الصحافية بعرض متجر لم يصب بأذى ويمتلكه شخص يلعب نفس اللعبة.

ولنستعرض الآن هذا المقطع من التحقيق:

"ليست النقود فقط هي التي يمكن تدويرها بين خطوط ترسيم الحدود، وإنما يتمتع السلاح أيضا بهذه الميزة. أحمد - وهو اسم مستعار – قائد ميداني يؤكد أنه يلتزم أحيانا – لأسباب لوجستية - بشراء الذخائر من القادة الميدانيين في باب التبانة وذلك بالتنسيق مع قيادته السياسية. ومن الأسهل شراء الذخيرة من باب التبانة الأقرب لمنطقة نفوذه بدل شرائها من السيد رفعت عيد في منتصف جبل محسن". "ما تضربش كدة وكدة" أصبحت كلمة السر بين القادة عندما يريدون أن ينهوا عملية تجارية مع الجانب المقابل، وذلك نظير تبادل خدمات ذات فائدة مشتركة في مرحلة لاحقة".

"يوافق القائد الميداني و القادة الميدانيون في المناطق القريبة ذات النفوذ على عدم إطلاق النار على الزبائن القادمين من جبل محسن. ويتلقى أحمد الذخيرة، إلا إنه لا يدفع فوراً. وبعد عبور خط ترسيم الحدود، فإنه يسلم النقود إلى الوسيط الذي يعمل على حدود منطقة نفوذه لكي يتفادى التعرض للرصاص من الخلف. وتتم تجارة السلاح تلك بشكل عكسي. ففي العام الماضي كشف عن أن قائدا ميدانيا من جبل محسن باع مخزن سلاحه لمقاتلين من باب التبانة، وقد تم كشف هذه العملية بمطابقة الأرقام المتسلسلة لأسلحة تم ضبطها من إحدى جماعات المعارضة السورية".

.. "ما تضربش كدة وكدة" باتت كلمة السر لتميز التجار الذين دفعوا أتاوة للقادة الميدانيين على الجانب الآخر لحماية متاجرهم من الاستهداف خلال المعارك. ولهذا، فإنه ليس غريباً رؤية متاجر بعينها على طول خط المواجهة لم تصبها الطلقات. محمد، قائد ميداني آخر وصاحب متجر يقول إن متجره كان لا يزال آمنا، إلا أن ما لم يكشفه هو قيمة المبلغ الشهري الذي يدفعه للقائد الميداني في جبل محسن لكي يجنب المتجر الطلقات والقصف".

القضية هنا هي أن الاستقصاء يتضمن مسائل شديدة الجدية قد تسفر عن نتائج خطيرة لآخرين.

٤- المطلعون على الأسرار ومطلقوا صافرات الإنذار

يتخيل بعض الطلبة أن الطريق إلى التحقيق الاستقصائي هو الوصول إلى مصدر مطلع على الأسرار من داخل منظمة أو مؤسسة أو حدث. بالتأكيد، هذا النوع من المصادر كان العلامة التجارية المميزة لأكثر البرامج الإخبارية ربحية في التاريخ، ألا وهو برنامج ٦٠ دقيقة، كما جاء في الفيلم الذي يحمل الإسم ذاته، وهو التكتيك الذي قد يسفر عن دراما أو قصص رائعة، إلا إنه يحمل معه أيضا مخاطر جمة. ففي بعض الأحيان، سرعان ما تفقد الوسيلة الإعلامية الاهتمام بهذا المصدر، ومن ثم يتعرض لمخاطر شديدة بسبب دوره في الكشف، أو ينسى الصحافي المصدر في غمرة قصص أخرى ينهمك في إنجازها. ثمّة خطر آخر يتمثل في التأكد هل المصدر أحمق أو كاذب. على سبيل المثال، أذاعت لارا لوجان مراسلة برنامج ٦٠ دقيقة قصة حول الهجوم على السفارة الأمريكية في بنغازي عام ٢٠١٢ كانت مبنية على ذكريات شخص ما، إلا أن هذا المصدر تذكر الأحداث بشكل مختلف تماما. وقد أسفرت هذه القصة عن فضيحة سياسية قبل أن يتم سحبها.[٨]

مرة أخرى، يجب على الطلبة أن يعوا أن الاعتماد على مصدر واحد مجهول يمكن أن يسفر عن مخاطر جمة بغض النظر عن قوة الإثارة في القصة التي يروونها؛ تلك هي المخاطر التي يمكن أن تترتب عليها عواقب وخيمة للأشخاص الوارد ذكرهم في القصة، بما في ذلك لومهم على أمور لم يقدموا عليها. وهنا ينبغي الانتباه إلى أن كلا من وودورد وبرنستاين أعترفا بأن قصتهما "كل رجال الرئيس" وبعض الأخطاء التي ارتكباها قد كلّفت بعض الأبرياء وظائفهم وسمعتهم، وهي الأخطاء التي وقعا فيها بسبب اعتمادهم فيها على مصادر مجهولة.

٥- المصدر يعلو على السر:

(أ) حماية المصدر:

تتعامل جميع دول العالم تقريباً مع حيازة الأفراد وثائق رسمية أو الكشف عنها باعتبارها جريمة؛ فتلك الوثائق معنية بها جهات قضائية أو أمنية، هذا رغم أن بعض الدول تتعمد توسيع نطاق السرية بشكل كبير. دول أخرى تتعمد ترك القواعد والتعليمات ضبابية لكي تتيح للسلطات مجالا أكبر للحركة أو للتعامل معها بشكل تعسفي، وعلى نحو غير قانوني في بعض الأحيان. وفي حال عرضت على الصحافي وثائق سرية، فإنه في الغالب ينصح بأن يأخذها على أن يحتفظ بها في مكان آمن، لا في المنزل ولا في المكتب. كما يطلب من الصحفي أن يسأل المصدر عما إذا كانت عملية منحه هذ الوثائق ستكشف أنه المصدر البشري[٩] لهذه الأوراق. فعلى الصحفي مسؤولية اخلاقية في حماية مصادره، وبخاصة تلك التي قد تعرض نفسها للخطر بسبب تعاملها مع الصحفي لكشف القضية مثار التحقيق.

[٨] أنظر Paul Farhi "برنامج ٦٠ دقيقة يتراجع، اعتذار عن بث تقرير بنغازي. سي بي إس تقول انها تعرضت للتضليل من احد المصادر". صحيفة واشنطن بوست ٨ نوفبر/تشرين الثاني ٢٠١٣. الرابط:
https://www.washingtonpost.com/lifestyle/style/60-minutes-apologizes-for-benghazi-report/2013/11/08/6e7b6b9a-487e-11e3-a196-3544a03c2351_story.html?utm_term=.08c005f8f427

[٩] تلقى الصحافي الاستقصائي الكبير سيمور هيرش ذات مرة تقريراً سرياً من مصدر حكومي، وألمح الى هذه الوثيقة لكنه لم يعرض لمحتواها.وفي اليوم التالي تم استدعاء مصدره من قبل مسؤول حكومي سأل المصدر: هل سربت هذه الوثيقة الى سيمور هيرش؟

ويمكن للمحاضر توضيح هذه النقطة بأن يكلف طالبا بلعب دور الصحافي فيعطيه تقريرا رسميا قائلا: " لقد حصلت على هذه الوثيقة من موظف حكومي وهي تتضمن معلومات، فهل تريدها"؟ وبالطبع، فإن الطالب سيوافق، وإن لم يوافق فعليك أن تسأل بقية الطلبة إلى أن يوافق أحدهم على أخذ هذه الوثيقة.

ثم يحتفظ المحاضر بالوثيقة ويسأل الطالب/الصحافي: "ماذا ستفعل بها؟"
الطالب: " سأقوم بدراستها وأكتب قصة بناء عليها إذا اتضح أن المعلومات صحيحة".
المحاضر: "وماذا سيكون مصير الموظف الحكومي الذي أعطاني الوثيقة؟ هل سيقبض عليه؟ هل سيفقد وظيفته؟

الطالب/ الصحفي لن يكون باستطاعته الإجابة عن هذه الأسئلة.

المحاضر: لا تأخذ معلومات سرية من دون أن تسأل كم عدد الأشخاص الذين يعلمون بها وهل يمكن التعرف عليهم كمصدر أو مصادر؟ في حال إمكانية تعرضك للخطر بسبب تعاملك مع مصادر ، فإن عليك أن تتعامل مع المعلومات التي تستقيها منهم على كونها خلفيات وليس مادة للنشر أو حتى التلميح بها حتى يمكنك أن تجد مصدرا آخر يمكن أن يكون معلنا".

(ب) حماية البريء

في حالات عديدة يتعرض أمن الأشخاص للخطر بسبب التعامل غير المسؤول للصحافي مع المعلومات. ومثال على ذلك نشر موقع "ويكيليكس" مئات الآلاف من الوثائق الحكومية الأمريكية التي كشفت عن أسماء لعملاء أمريكيين في مناطق الحرب. ورغم عدم توافر أدلة تفيد بأن ذلك تسبب في مقتل بعضهم، إلا أن الخطر قائم. وبشكل أقل وضوحاً، قد يعرض الصحافيون أمن أناس للخطر، حتى إن لم يكونوا مصادر لهم- بل قد لا يكونون مصادر لهم في أي وقت. يحدث ذلك أيضا من خلال اتصالهم بهم في مقار اعمالهم بما يمكن رؤساءهم من رصد تلك الاتصالات.

لاحقا، وعندما يقدم الطلبة قوائم بمصادرهم البشرية المحتملة لعمل مشاريعهم، يمكن للمحاضر أن يسألهم عن كيفية اعتزامهم الاتصال بهذه المصادر.

(ت) تعارض المصالح والاستقلالية المطلوبة

ينشأ تعارض المصالح عندما يكون بحوزة الصحافي مادة تتعلق بأشخاص معينين لهم دور في القصة بما يؤثر في قدرة الصحافي على إصدار الحكم على القصة. ويجب على الصحافي أو الطالب أن يعي جيدا هذه القضية، وبخاصة أن بعض الصحافيين يعملون في مجالات أخرى، مثل العلاقات العامة، لزيادة دخلهم بما يعينهم على العمل الصحافي الاستقصائي. وينطبق هذا على الصحافي الحر (Freelancer) الذي لا يتقاضى أجراً إلا بعد أن يرسل القصة (العمل بالقطعة)، ما يدفعهم لمواجهة نقص المال بالتدريس أو الكتابة التجارية (إعلانات/ علاقات عامة).

نموذج على ذلك هو سباستيان يونجور صاحب القصة الاستقصائية "العاصفة الكاملة" عام ١٩٩٧. إذ لجأ يونجور إلى أعمال البستنة حتى ينفق على هذا العمل، في حين اتجه صحافي استقصائي آخر للعمل مضيفاً جوياً حتى يستطيع استكمال تحقيقه، وكان يستغل رحلاته لمقابلة المصادر.

إلا أن الصحافي الذكي هو الذي يمتنع عن الكتابة الصحافية عن أي شخص سابق له علاقة بالمهنة التي مارسها بجانب الصحافة لمدة ثلاث سنوات على الأقل بعد انتهاء تلك العلاقة. وإذا لجأ إلى الكتابة بعد ذلك، فيجب أن يفصح عن طبيعة تلك العلاقة بينه وبين هذا الشخص في الماضي.

ودعونا نكن صريحين مع الطلبة: فالصحافة تخلق فرصا كثيرة للإثراء، تلك الفرص التي يستغلها صحافيون وناشرون كثر، ما يعد خطأ وبخاصة للمحقق حديث العهد بهذه المهنة والتي يمكن ان تضع نهاية سريعة لمستقبله، أو أن تؤدي إلى مخاطر أشد. وكما قالت قاضية التحقيق الفرنسية النرويجية إفا جولي: "إذا أردت أن تقوم بهذا العمل، عليك أن تكون نظيفا".[١٠]

ويمكن للمحاضر أن يناقش هذه القضية مع الطلبة من خلال النموذجين التاليين:

النموذج الأول:

يبادر المصدر إلى دعوة الصحافي إلى مطعم غالي التكلفة لا يدخله الصحافي في العادة لارتفاع أسعاره، ويريد المصدر أن يدفع الحساب، فهل يقبل الصحافي؟

حتما يجب على الصحافي ألا يضع نفسه في هذا الموقف من الأساس، ويجب أن يتفق مسبقا مع المصدر على المكان الذي سيتناولون فيه الطعام. والسؤال الخاص بمسألة الخدمات الصغيرة التي يمكن أن يحصلها الصحافي هي معضلة أخلاقية يواجهها الصحافيون، ولها متغيرات وتنويعات كثيرة.

على سبيل المثال، يمكن أن تتم دعوة الصحافي إلى حضور مناسبة في شركة، حيث يتم توزيع هدايا قد تكون ذات قيمة ضئيلة، مثل القمصان، أو قيمة كبيرة مثل الساعات أو حتى سيارات. أو أن يدعى إلى رحلة شيقة في مكان ساحر، وكلها مدفوعة التكاليف، لكي يستمع إلى خبراء أو مسؤولين مرتبطين براعي هذه الرحلة.

والحقيقة أن الممارسات الأخلاقية المهنية الفضلى ليست معقدة. ففي الحد الأدنى، يجب على الصحافي أن يعلن للقراء، أو المستمعين و المشاهدين تكلفة كل ما حصل عليه من هدايا أو خدمات. وإذا كان ذلك محرجا، فعليه أن يرفض من الأساس أي عروض من هذا القبيل. ويجب على الصحافي أن يدرك أنه في حال توجيهه نقدا لراعي المناسبة أو الرحلة، فإنه سيخسر أي دعوات في المستقبل، أو قد يقوم الراعي بالكشف عن منح الصحفي هدية ما.

[١٠] كانت القاضية إفا جولي تتحدث في أول مؤتمر دولي للصحافة الاستقصائية في العاصمة الدانمركية كوبنهاغن عام ٢٠٠١.

ويمكن للمحاضر أن يلفت النظر إلى أن هذه المشكلة لم تكن قائمة في الولايات المتحدة قبل فضيحة "ووترغيت"، التي تغيرت من بعدها قواعد العمل الصحافي. إذ حذّرت جمعية الصحافيين المحترفين أعضاءها من قبول هدايا ثمينة، لأن تصرفا كهذا يضر بسمعتهم ونزاهتهم.[١١] فإذا تورط المصدر صاحب الهدايا الثمينة في قضية أو فضيحة، سيكون من العسير على الصحافي أن يقوم بعمله بمهنية صحيحة، وذلك على الشكل التالي:

- قد يستشعر الصحافي غيرةً أو حنقاً على المصدر نتيجة تجربة له علاقة بها.
- في المقابل، قد يرى الصحافي في المصدر محسناً خيّراً يتعرض لظلم.
- إذا دافع الصحافي عن المصدر واتضح أن الأخير مخطئ، فإن الصحافي يفقد مصداقيته. أما إذا انكشفت الخدمات التي قدمها هذا المصدر إلى الصحافي، فإن الخسائر ستكون أشد.
- وإذا كشف الصحافي عن أخطاء وتجاوزات المصدر بما يؤدي إلى توجيه الاتهامات إليه، فإن المصدر سيعده خائناً.

وفي هذا المقام، فإن المعيار الصحيح لا يتعلق بأن تحب المصادر الصحافية، ولكن أن تحترمها، ولن يكون الحال هكذا إذا ما أدان الصحافي من تظاهر لهم بأنه صديقهم. ويتذكر الصحافي الاستقصائي الأمريكي كلارك مالينهوف كيف أن صاحب ملهى ليلي قال له بعد القبض عليه: "لا أبالي بأن يكتب صحافيون عن إلقاء القبض علي، ولكن ما أرفضه هو أن ينعتوني بالنصاب الرخيص في حين أنني كنت أقدم لهم الطعام الفاخر في ملهاي".

النموذج الثاني:
محرر طبي يريد أن يزيد دخله فقرر أن يعمل مستشاراً إعلامياً لأحد كبار العاملين في المجال الطبي، دون أن يكشف عن عمله الإضافي لرئيس تحريره أو للقراء. بعد سنوات يتورط رئيسه الطبي بفضيحة مهنية تتعلق ببيعه دما ملوثا بفيروس نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)، في وقت بات هذا الصحافي رئيس القسم الطبي في مطبوعته، فكيف له أن يقوم بتغطية القصة؟

الإجابة: على المحرر أن يتخلى عن القصة لحساب زميل آخر، وألا يقوم بالاتصال بهذه الشخصية الطبية المتورطة. والسبب ببساطة هو أنه قد جعل من نفسه عرضة لتعارض المصالح، فلن يستطيع قول أي شيء دون إثارة شبهة تعارض المصالح. وفي الغالب يكون تبادل المصالح هو ما دفع تلك الشخصية في الماضي إلى منح الصحافي عملاً لضمان ولائه. وفي الحد الأدنى، إذا قرر الصحافي قبول الوظيفة فعليه أن يبحث ذلك مع رؤسائه، وأن يكون مفهوماً أنه لن يستطيع في المستقبل تغطية قصة دفع أطرافها له راتبا من قبل. وهذه القصة ليست خيالية، فقد تورط جان إيف نوا المندوب الطبي لصحيفة لوموند الفرنسية فيها، حين اكتشف أنه قبل عملاً مؤقتاً لدى مدير المركز الوطني لنقل الدم الذي أدين فيما بعد ببيع دم ملوث بفيروس "الاتش اي في/ الايدز". وعندما تفجرت الفضيحة، حاول "نوا" مرارا التقليل من أهميتها والتهوين من مسؤولية رئيسه السابق. ورغم إخلاصه، فإنه لم يكشف عن عمله السابق لرؤسائه ولا للقراء، وعندما تكشّف ذلك، تلطخت سمعته.[١٢]

[١١] "الصراع الاخلاقي.."، مصدر سبق ذكره.

[١٢] مارك هنتر "الصراع الأخلاقي والصحافة الاستقصائية"، مصدر سبق ذكره

على الصحافي الاستقصائي أن يتوقع أن ينبش خصومه في ماضيه إذا تصدى لقضية مهمة، وإذا وجدوا تعارضاً في المصالح، فسيستغلونه. ولتقليل هذه المخاطر، يجب على الصحافي التزام الشفافية أمام رؤسائه وقرائه.

(ث) مخاطر العمل متخفيا

يتخفّى صحافي في هيئة فني لإصلاح الهواتف ويذهب إلى مكتب مسؤول منتخب لفحص هاتفه، قبل أن يقبض عليه ويفتضح أمره. فيما بعد تحجّج بأنه كان يسعى للتحقق من شكوى ناخبين حاولوا الاتصال بالمسؤول لإبلاغه احتجاجهم على قانون يقوم بإعداده ولكنه لم يرد عليهم، وأنه كان يريد أن يعرف السبب، فهل هذا تبرير كاف؟

هذه القضية حقيقية وقد تعرض لها الصحافي الأمريكي جيمس أوكيف الذي اعتمد في حياته المهنية على الإيقاع بمصادر لم تدرك أنها كانت تتحدث إلى صحفي، وهو الأسلوب الذي جعل صاحبه شخصية خلافية.[١٣] ويعد اليوتيوب أهم وسيلة إعلامية يستخدمها هذا الصحافي لتغطية موضوعاته التي تتمثل عادة في مقابلات مع أناس لا يشاطرونه أراءه السياسية اليمينية. ومن بين ما فعله، أنه نجح في تدمير منظمة اجتماعية غير ربحية تمول بواسطة الحكومة، رغم أنه اضطر لدفع تعويض ١٠٠ ألف دولار لموظف في هذه المنظمة بسبب اتهامه باطلاً بالضلوع في نشاط إجرامي.[١٤] تقارير هذا الرجل متاحة[١٥] على اليوتيوب وهي جديرة بالدراسة لمعرفة كيفية تحول الاستقصاء إلى سلاح حزبي.

مصدر القلق يكمن هنا في أن الطلاب، مثلهم مثل أوكيف، ينجذبون عادة إلى صحافة التخفي لأسباب مغلوطة، إذ تبدو هذه الطريقة مغامرة أكثر إثارة من البحث عن وثائق أو قضاء ساعات في تفريغ حوارات. كما أن التخفي يبدو لهم أكثر سهولة وبساطة. والحقيقة أن الجمهور يحب هذا النوع من القصص التي تشبع خيالاته من حيث الدخول إلى عوالم مخفية ومعاقبة المخطئ. إلا أنه حتى يغدو التخفي مشروعا، يجب على المتخفي أن يمر في اختبارين: هل القصة ذات أهمية كبيرة للمتلقين، ولا توجد طريقة أخرى لاستكمالها وإثباتها عبر التوثيق.[١٦] وسنناقش لاحقا أنموذجا لقصّة لبّت معايير (أريج)، كان الاستقصاء فيها حول إساءة معاملة أطفال ذوي إعاقة في مدارس خاصة.

[١٣] في العام ٢٠١٣، دفع أوكيف مبلغ ١٠٠ الف دولار تعويضا لرجل من كاليفورنيا تم تصويره في تقارير او كيف على أنه قواد. في الواقع، لقد قام الرجل بتقديم اوكيف متظاهرا بأنه قواد للشرطة التي أدانته. انظر الرابط:
http://www.forbes.com/sites/rickungar/2013/03/08/james-okeefe-pays-100000-to-acorn-employee-he-smeared-conservative-media-yawns/

[١٤] للاطلاع على المرحلة الاكثر حرجاً من هذه القضية، انظر فريق الاخبار المستقل "يانغ تيركس"، الرابط:
www.youtube.com/watch?v=Mxm5qlp8UqI

[١٥] انظر الرابط: http://www.youtube.com/watch?v=9UOL9Jh61S8

[١٦] من أجل نظرة عامة على هذا الموضوع، انظر المقالة الممتازة بقلم غريغ ماركس "اخلاق صحافة التخفي، لماذا اصبح الصحافيون شديدي الحساسية حيال تكتيكات أوكيف؟"، مراجعات كولومبيا للصحافة، ٤ فبراير ٢٠١٠. الرابط:
http://www.cjr.org/campaign_desk/the_ethics_of_undercover_journalism.php?page=all

يجب على الطلبة أن يكونوا واعين للمخاطر الأخلاقية الأخرى:

أولا، أنت تنتهك حقوق مصادرك بالعمل متخفياً. ولكن في جميع الأحوال، فإن الصحافي المتخفي لا يستطيع توجيه أسئلة مفتوحة وإلا سيفضح نفسه. ولذا فإن عليه بعد انتهاء مرحلة التخفي أن يتصل بالمصادر للحصول على تعليقات منها، ولتفادي أي سوء فهم.

ثانياً، يميل الصحافيون المتخفون إلى الاقتصار على عرض جزء القصة الذي يبرر طريقتهم السرية في العمل، وإلا فإنهم يعرضون الجزء الأكثر سوءاً فقط. وكان هذا النوع من التخفي عنصراً رئيسياً في قضية سيئة السمعة أثارها تحقيق استقصائي سري قام به فريق من شبكة "ايه بي سي – ABC" الامريكية. فلقد اتهمت الشبكة إحدى سلاسل الأسواق الكبرى بأنها قامت ببيع أغذية فاسدة وغير آمنة للمستهلكين. فقامت الشركة بمقاضاة الشبكة متهمة إياها بترويج صورة غير صحيحة عن عمليات الشركة، وربحت الشركة هذه الدعوى.[١٧]

ثالثاً، للصحافي الذي يستخدم التخفي قدرة أقل بكثير من الصحافي الذي يعمل في العلن للوصول إلى المعلومات. فدائما يكون لدى الصحافي المتخفي هاجس الانكشاف. وأخيراً، فالصحافي المتخفي يغامر بحق الصحافيين في نيل الاحترام الواجب. فالمصادر تنظر إلى الصحافي الذي لا يعرّف بنفسه على حقيقتها على أنه جاسوس، كما يمكن أن يتعرض إلى خطر بدني مباشر في حال انكشافه. وهذا ما حدث مع الصحافي البرازيلي العظيم تيم لوبيز الذي كان يعمل متخفيا. ففي الليلة الأخيرة في حياته، سعى لوبيز لتصوير عملية تهريب مخدرات في إحدى المناطق العشوائية، إلا أن أحد المهربين لاحظ أحد معداته، فاختطفه وعذّبه ثم قتله. وإذا كان هذا قد حدث مع صحافي قدير مثل لوبيز، فسيكون وقوع ذلك مع أي صحافي آخر مرة أخرى أكثر سهولة.

[١٧] "أنظر: ديبرا أ. كيرنسكي وأيفان اف.كيرنسكي "نبيع لحوما سيئة.. لكنهم في الحقيقة كذبوا: قضية أطعمة ليون في". شبكة "ايه بي سي". أحجية قانونية/اخلاقية محيرة. "الكتاب السنوي لحرية التعبير"٣٦,١، (١٩٨٨) الصفحات من ٦١–٧١.

- تم دعم العمل بالتخفي من خلال بحث موثق وموسع في الشركات التي تمتلك هذه المدارس، وبإجراء مقابلات مع مسؤولين في الحكومة ومع آباء وأمهّات.

- وافقت شبكة أريج على أن تدخل شريكا في المشروع بشرط احترام ممارسات مهنية معينة، بما في ذلك المسؤولية المتعلقة بالصحافية. ومن ثم، تم تدريب الصحافية على استخدام كاميرا سرية، كما كان مطلوبا منها وضع خطة للخروج الآمن في حال انكشاف شخصيتها.

- شعرت الصحافية بالصدمة إزاء الممارسات داخل المدرسة، ليس لطبيعة التعليم الديني، وإنما لاستغلال الأطفال للدفع بمشروع سياسي، ألا وهو خلق نخبة للسيطرة على المجتمع التونسي، وهذا هو محور العمل.

- وفي نهاية التحقيق سعت الصحافية للحصول على تعليقات من مالكي المدرسة، فرفضوا، ولكنها بهذا تكون قد أوفت بالتزاماتها.

- بعيدا عن الجوانب الفنية لهذه القصة، يمكن للمحاضر أن يسأل:
- هل القصة معادية للدين؟
- لماذا هي مهمة؟
- ما خطورة الشيء غير القانوني فيما تفعله الروضة؟
- هل يوجد ضحايا (متضررون) في القصة، بخلاف الطلبة، ومن هم؟

اكتساب مصادر خاصة بالمعلومات

/٣ ساعات

ملحوظة: هذا الفصل يختتم بأداء واجب منزلي من الطلبة عبارة عن ابتكار مقترحات لمشروعات تحقيقات صحافية لاحقة.

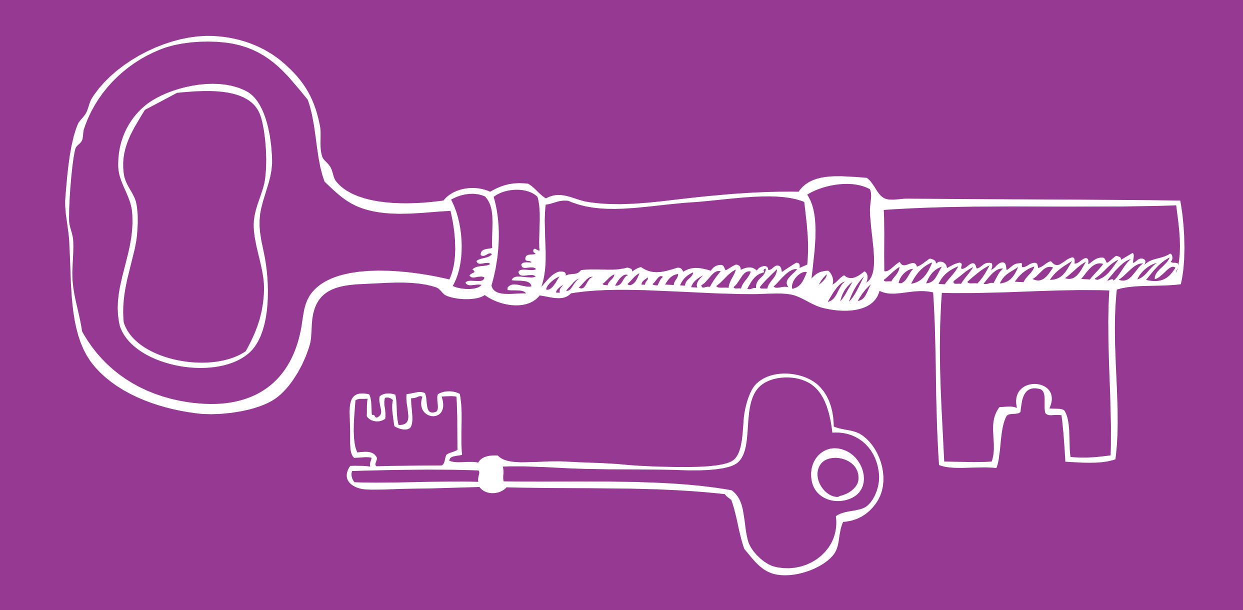
قراءة تمهيدية:

– ميلاد الجبوري، "طيور الجنة" أدوات قتل تحت عباءة "القاعدة"، صحيفة "الحياة". يمكن الاطلاع على الاصل العربي للتحقيق في موقع أريج عبر هذا الرابط:

http://arij.net/report/%D8%A3%D8%B7%D9%81%D8%A7%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9

– مارك شابيرو "خداع المناخ" وما بعده، كتيب، الصفحات ٧٩–٩٢.

– أندرو جييننغز "جاك وارنر مازال يرفض منح لاعبي سكوبا ووريرز مكافآتهم لكأس العالم ٢٠٠٦" وما بعده، الكتيب، الصفحات ٢١٩–٢٢٧.



من الناحية المهنية يمكن اعتبار الصحافيين أشخاصا انتهازيين. فهم ينتزعون سريعا كل ما يمكنهم الحصول عليه من معلومات ولا يضيعون الكثير من الوقت في السعي وراء ما يبدو الوصول إليه صعب المنال. هذا التوجه يخدم جيداً من يعملون في مجال البحث عن الأخبار، إذ يجري الصحافي دائماً وراء الحدث. لكن في حال التحقيقات الصحافية، نحتاج عادة إلى مصادر معلومات لا يعيرون الصحفي الإخباري اهتماما أو لا تعرف كيفية الوصول إليهم، من أجل التأكد من دقة القصة الخبرية. هذا الفصل يساعد في اكتساب هذه القدرة.

أولا: ما هي مصادر المعلومات الخاصة؟

نحن نتحدث عن المصادر المتاحة والمفتوحة للجميع وليس عن المصادر المغلقة، إذ أن المصادر "المغلقة" لن تكون أو لن تبقى دائماً مغلقة. ولذا، فنحن نفضل التحدث مع مصادر تكون خاصة بشكل ما، وقد تشمل أفراداً لديهم مبررات لعدم التحدث معنا فورا ويحتاجون وقتا لكسب الثقة بك، أو وثائق يصعب الوصول إليها. وغالبا ما يتخلى الصحافي التقليدي راصد الأخبار عن تلك المصادر، بينما يسعى وراءها الصحافي الاستقصائي.

تشمل مصادر المعلومات السرية ما يلي:

– الشخصيات التي لديها اهتمامات شديدة الخصوصية بالقصة.

– مصادر المعلومات الرسمية (بما في ذلك كبار رجال الأعمال) الذين يرغبون في إخفاء أمر ما عن الرأي العام أو عن القائمين بتنظيم الأعمال أو المنافسين.

– الوثائق السرية التي يشترك في تداولها مجموعة من رجال الأعمال أو الموظفين الحكوميين أو دائرة محدودة جدا من الأصدقاء.

ثانيا: لماذا تتحرج مصادر المعلومات من الكلام؟

غالبا ما يكون الأفراد قليلو الكلام أو عديمو الاهتمام بالتواصل مع الصحافيين هم الجناة في القصة الاستقصائية، وقد يكون هؤلاء ساخرين أو فاسدين أو حتى مجرمين عتاة، لكنهم يمثلون أقلية نتعامل معها في أي دولة ومع أي أناس نود الحديث معهم، فمعظم الناس يفضلون العمل بأمانة.
هناك أسباب وجيهة ومنطقية لأفراد أو منظمات معينة تجعلهم يتصرفون في الخفاء. أوضح مثال على ذلك هو أن الحديث علانية بشكل مبكر عن فرص الاستثمار – كإطلاق مشروع أو منتج جديد– يمكن أن يعرضها للخطر.

العبرة هي أنه لا ينبغي على الصحافي أن يفترض وجود دوافع سيئة لدى المصدر أو أنه شخصية شريرة، إذا امتنع عن تقاسم المعلومات معه، إلا في حال وجود مؤشر على ذلك.

بإمكانك أن توضح هذه النقطة بأن تكلف طالباً بالتطوع لتسأله: هل فعلت في يوم ما شيئاً تخجل منه؟ لو كان الطالب صادقا فستكون إجابته نعم.

بعد ذلك اطرح على الآخرين السؤال عينه، ثم وجه لهم بعد ذلك السؤال التالي: هل تريدون أن أقوم بنشر هذه المعلومات في نشرة الأخبار المسائية أو على الفيسبوك؟
يمكنك أن تخبر تلامذتك بأن عزوف شخص ما عن الحديث مع أحد الصحافيين ليس دليلاً على كونه شخصاً شريراً، وغالباً ما تكون المصادر المترددة قد ارتكبت أخطاء ندمت عليها؛ وإذا كان ترتب على الخطأ عواقب طالت آخرين، فإن من الواجب إلقاء الضوء على هذه الأخطاء. لكن يجب أن يتم هذا مع ضرورة إدراك أن كل إنسان معرض لارتكاب أخطاء.

ربما يكون بعضهم متورطاً رغماً عن نفسه في موقف مريع ويخاف من عواقبه، وقد يشمل موظفين حكوميين أو رجال أعمال شهدوا أحداثاً تثير اشمئزازهم أو تزعجهم لكنهم لا يستطيعون التحدث بشأنها علنا دون المخاطرة بفقدان مصدر رزقهم أو حتى حياتهم.

إذن كيف يمكننا العثور على مثل هذه المصادر؟

أحد أماكن البحث عن مصادر المعلومات الخاصة هو الجدول الزمني للقصة، والذي يتضمن أحداثاً لكل منها مشاركون وشهود. فإذا لم تكن تلك المصادر قد تحدثت من قبل في قصص إخبارية أخرى، فستكون هناك فرصة جيدة لأن يقولوا ما لديهم، رغم أن هناك أسباباً قوية تمنعهم من الكلام. إذن كيف نقنع هؤلاء بالحديث عما شاهدوه وعرفوه؟

ثالثا: بناء الثقة مع مصادر المعلومات الممتنعة/ المترددة

ا- عندما يشعر المصدر بالخوف من الكلام:
تبحث العديد من المصادر عن الصحافي ليسمع منها رؤيتها حيال القصة الإخبارية بعد أن تكون قد هوجمت بالفعل في وسائل الإعلام، وغالبا يبحث المصدر عن صحافي موثوق به لكي يتحدث إليه. ولدى الغالبية من الناس دافع طبيعي للتوضيح ورغبة طبيعية في أن يتم فهمهم بشكل صحيح. وأيا كان الأمر فإن استقاء المعلومات من تلك المصادر نادرا ما يكون سريعا أو بسيطا، ويعتمد النجاح في تلك المهمة غالبا على توافر شروط محددة وهي:

- لا بد للصحافي أن يثبت أنه صادق ومنصف. ويتم ذلك من خلال سمعته التي بناها فيما يعرف بـ "قرية المصادر"، إذ يعرف جميع المصادر بعضهم بعضا، ويتحدثون عن الصحافي وعن التساؤلات التي يطرحها عليهم. وبناء على ذلك، فإن الصحافي الذي يبدو عدوانياً أو متحرجاً أو مهتما فقط بالأسرار لن يصمد طويلا بينهم.
لقد رسمت الزميلة ميلاد الجبوري من العراق في تحقيقها مع شبكة أريج والذي نشرته صحيفة "الحياة"، هذه الخطوط العريضة في قصتها الاستقصائية "طيور الجنة: أدوات قتل تحت عباءة القاعدة"، إذ ركزت القصة على الأطفال الذين شاركوا في أعمال العنف. وقد تم بناء القصة على أساس الحوارات المطولة التي أجريت معهم. تبدأ القصة عندما شاهدت الصحافية فيديو كليب على اليوتيوب لأطفال يحملون أسلحة، فافترضت أن ذلك يشير إلى ظاهرة عامة. وبعد مراجعتها لمقاطع إخبارية من داخل المحاكم وجدت أطفالاً معتقلين في السجن. ثم عمدت الصحافية إلى وصف عملية حث الأطفال على الحديث معها في السجن قائلة:

"أقسى جزء في التحقيق الصحافي هو الوصول إلى الأطفال، فلم يسبق لأحد أن عرض للموضوع من وجهة نظر الأطفال. لقد قاموا بتغطية القضية وكيف انخرط الأطفال في ما يحاكمون عليه، ولكن أحدا لم ينظر إليها من هذه الزاوية. لذا تقدمت بطلب للحصول على تصريح لدخول السجن وإجراء حوار مع الأطفال، فرحب مدير السجن بالفكرة، إذ كان يعتقد بأن الأطفال ضحايا، وأراد أن يكشف هذا الجانب".

وتشرح الجبوري "كانت المشكلة الثانية التي واجهتني هي قدرة الأطفال على الحديث عن الأشخاص الذين أقدموا على تجنيدهم، فطلبت المساعدة من باحث أجرى دراسة عن السجون في العراق، فدربني على كيفية حثهم على الحديث، فقد كان هو الآخر يعتقد بأهمية القصة.
كانت أفضل طريقة هي سؤالهم حول حياتهم اليومية، أغانيهم المفضلة، المطربين ونجوم السينما والأمور المتعلقة بحياتهم الخاصة خارج نطاق السجن. كان علي أن أبني بيني وبينهم علاقات شخصية وأنجح بالتالي في اكتساب ثقتهم قبل الدخول معهم في المنطقة الحساسة من الحوار".

– على الصحافي أن يثبت أنه قادر على حماية كل من سيتكلم معه، وغالبا ما تكون أفضل وسيلة لذلك هي التأكيد على سرية مصادر المعلومات إذا طلبت هي ذلك. ومع ذلك يجب على الطلبة ألا يعرضوا مسألة السرية على جميع مصادرهم، بل على العكس من ذلك، عليهم أن يتفاوضوا مع مصادر معلوماتهم لكي يقوموا بتقديم وتعريف أنفسهم وأن يكون ذلك مسجلا.[١] هنا، فإن خبرة المحاضر ستكون ضرورية، لأنّ تفهم مخاوف وقلق المصادر يستلزم تقديراً سليماً، وهذا لا يتأتى إلا من خلال الخبرة. وقد يرغب الطلبة في الدخول في نقاش طويل حول الاعتبارات الأساسية لتلك النقطة، ويمكن للمحاضر في هذه الحالة أن يحيل الطلبة للقيام ببحث لاكتشاف ما قاله صحافيون آخرون في هذا الصدد. ويمكن أن يكون ذلك واجبا يتم عمله في الصف.

يؤكد "أندرو جينينغز"، أعظم صحفي تحقيقات رياضية –على قيد الحياة– أن تعلم حماية المصادر يعد مهارة تتطور عبر ممارسة المهنة، ويقول:
"كلما حقق الصحافي إنجازات في عمله، زادت قدرته على إقناع مصادره بأنه يعرف كل الحيل التي يمكنه بها إخفاء هوياتهم. ففي إحدى المرات تواجهت مع [مصدر داخلي مطلع] في أحد فنادق أوروبا، وكان يمارس عمله منذ تسع سنوات، فبادرني بالقول.. [أعتقد إن هذا هو ما كنت تريده]، وذلك قبل أن يسلمني قائمة بمائة مليون دولار على شكل رشاوى تقاضاها مسؤولون في الاتحاد الدولي لكرة القدم [الفيفا]".

ويضيف "في مثل هذه المواقف، لا يمكن أن تضع استراتيجية مسبقة، فقط عليك أن تكون مهذباً وصبوراً وسينتهي الحال بالقائمة لتكون في حوزتك".[٢]

[١] انظر: مارك شابيرو "خداع المناخ" وما بعده، الكتيب ص ٧٩–٩٢.

[٢] أظهر بحث لجوجل في ٤ يوليو/تموز ٢٠١٤ أن البحث في ذلك اليوم عن عبارة "مصادر مجهولة" سجل ٨٨٠٠ زيارة.

عليك التأكيد على الطلبة أن: "يسألوا مصادرهم دائما عن عدد الذين يعرفون المعلومات التي سيطلعونك عليها، وعن ما إذا لم يكن بإمكانهم الإفصاح عن شخصياتهم كأي مصادر محتملة للمعلومات". لو حدث هذا فلن يتمكن الصحافي من استخدام المعلومات التي استقاها من المصدر دون موافقته.

٢– إثبات أن الصحافي شاهد مهم

الصحافي الذي يعرف بالفعل معظم أو كل الحقائق التي استقاها من المصادر المفتوحة، سيكون مهتماً دائماً بالبحث عن مصادر بشرية بمن في ذلك المصادر الخاصة، لأنه سيكون أقدر على استيعاب ما يقوله المصدر.

لقد قام مارك شابيرو– من كبار الصحافيين في مجال البيئة– بتطوير جوهري غير مسبوق في إجراء تحقيقات في موضوعات معقدة، يفترض فيها الصحافي أن المصادر يتعاملون بنية حسنة، وأن لديهم خبرة في الموضوعات التي يجري التحقيق فيها.

بدأ شابيرو تحقيقه المتميز حول انبعاثات الكربون بحصر مصادر المعلومات الموثقة والمتاحة للعامة بما في ذلك تقديرات الأمم المتحدة والنشرات العلمية وتقارير الاتحاد الأوروبي والبنك الدولي وأخرى من الحكومات البريطانية والألمانية والفرنسية ومنظمات المجتمع المدني.

من قراءته لتلك التقارير، جمع شابيرو أسماء الشخصيات الفاعلة في القصة الإخبارية:
"أثناء القراءة، يبدأ الإعداد للمقابلات التي سيتم إجراؤها، وخلال القراءة، يتم تظليل أسماء الشخصيات المحورية التي قد تكون مسؤولة أو شاهدة على الحدث وعلى دراية بموضوع التحقيق، ثم يتم وضع قائمة بالأسماء ومجالات خبرة أصحابها. ثم تتم كتابة قائمة بأسمائهم وتوضيح الخلفيات الخاصة بكل منهم. وهذا هو التحدي في هذا النوع من التحقيقات... التحدي يكمن في العثور على هذه الشخصيات الفاعلة التي تأتي في سياق القصة".

بعد ذلك ستجد الأبواب مشرعة فيما يعرف بـ "قرية المصادر". (بالمناسبة يعتقد شابيرو أن هذه القرية بمثابة منزل يعيش كل شخص من شخوص القصة الإخبارية في حجرة منفصلة فيه):

"إلى حد ما ستكون تلك المصادر على استعداد للكلام وتوضيح الأسس التي تحدث بسببها الانبعاثات الكربونية، بالإضافة إلى الحديث عن الثغرات (الأفخاخ) الموجودة في النظام الذي يحكم العملية كلها. ويعود الاستعداد الذي ستبديه هذه المصادر إلى أن عددا قليلا من الصحافيين هم الذين تواصلوا معهم من قبل، وهذه ميزة التفرد والسبق للوصول إلى المصادر".

ويقول شابيرو إنه حصل على تصريح لحضور المعارض التجارية الخاصة بمشروعات تطوير استخدام الكربون، حيث يجتمع الخبراء مع بعضهم البعض، وحيث يصبح الحديث معهم أقل رسمية ولا يمثل أي تهديد لهم. هذه الأجواء يمكن ان تصبح ذات قيمة عالية سواء تضمنت حوارات توافق المصادر على نشرها أو حتى تلك التي لا توافق على نشرها. ومرجع الفائدة العظيمة هو الوصول إلى مزيد من الفهم واكتساب العلاقات الذي يمكن أن يؤدي فيما بعد - إذا حالفك "الحظ" إلى اكتشافات هامة.[٣]

[٣] شبكة الراديو الوطني العامة واحدة من عدة مؤسسات اخبارية قامت بتطوير سياسات تفصيلية حول استخدام مصادر غير معرفة او مجهولة. لمزيد من الاطلاع انظر: *http://ethics.npr.org/tag/anonymity*

لاحظ أن شابيرو وضع كلمة "الحظ" بين أقواس كإشارة إلى أن الكشف عن الحقائق لا يأتي بالحظ في كل الأحوال، بل يحدث لأن الصحافي يكون مستعداً للإنصات للمصدر الذي يكون مستعدا للكلام.

غالبا ما يتبنى الطلبة أو الصحافيون المبتدئون موقف المواجهة مع المصادر المترددة. وعادة يتعلمون ذلك من الأفلام التي تدور حبكتها حول صحافي وحيد يقع في مشاكل مع من يعادونه ثم يهزمهم. نحن نحثك على أن تؤكد للطلبة أن العدوانية والهجومية ليسا بديلا للجهد البحثي، بل يكونان في الأغلب دليلا على العجز أو الخوف. فقبل الدخول في مواجهة، يجب أن يكون الصحافي على دراية كافية بأبعاد الموضوع وما تقوم به المصادر من أنشطة وخلفياتها العملية، وإلا فإنه سيتعرض للخداع والتضليل. وإذا حدث ذلك، فإن العواقب تبدأ من إبداء السخرية من الصحافي وتصل إلى حد مواجهة الخطر البدني.

ثالثا: تدريبات الفصل

قد تسأل الطلبة: كيف نحاول إقناع المصادر المترددة بالكلام معنا؟ والإجابات المحتملة المصحوبة بتمارين عملية تتضمن:

– بصفة عامة يجد الناس أن من الأسهل أن تثبت المعلومات أكثر من التطوع بها، ويمكننا استخدام الفرضية في تحقيق هذا الغرض، بخاصة إذا كنا نعتقد بصدقية وأمانة المصدر المتردد. في هذه الحالة، يمكننا على سبيل المثال أن نقول:"هذا ما أعتقد أنه حدث.. فهل أنا محق؟ أرجو أن تصححني إن كنت مخطئا".

أثناء المناقشة أطلب من الطلبة أن يكتبوا بعض الأسئلة مستخدمين الفرضية والجدول الزمني. على سبيل المثال: يمكن للصحافي أن يسأل مسؤول السكن في الجامعة: "لدي معلومات عن أزمة سكن في هذه المدينة، فهل هذا هو السبب في طلب أصحاب العقارات إيجارات عالية من الطلبة؟".

– يمكنك أن تطلب من الطلبة تجهيز أحد المستندات التي عثروا عليها أثناء بحثهم عن المصادر المتاحة، ثم اسألهم عن أهمية هذه الوثيقة بالنسبة لقصتهم؟ ماذا تنفي أو ماذا تؤكد أو ماذا تغير؟ وما هي الأسئلة التي تطرحها؟

وفي الفصل الـ ١٣ الخاص بالأساليب الخاصة بإجراء الحوارات، سنعرض مزيدا من الوسائل لحث المصادر على مزيد من الحديث.

رابعا: الوصول إلى الوثائق السرية

الوثائق السرية ليست بالأساس للنشر، فهي تختص بالأمور الاقتصادية والقانونية وتكون متداولة فقط بين شركاء عمل ما أو عملية ما، ونحن هنا نفرق بين:

- الوثائق الشخصية: ملاحظات- يوميات- صور- تسجيلات صوتية- فيديوهات. وتوجد تلك الوثائق لتسجيل لحظات حدث ما أو أفكار تهم شخصا ما.

- الوثائق العملية: رسائل بريد الكتروني- خطابات- مذكرات- محاضر جلسات- تقارير داخلية- سجلات- تعليمات- خطط- مقترحات- ميزانيات- فحوص- بيانات تجارية- تقديرات- دراسات استقصائية- إيصالات- بيانات بنكية- بيانات ضرائب- التماسات- شكاوى- عروض- أوامر تشغيل- عقود- مناقصات- قواعد بيانات...إلخ، وتوجد تلك الوثائق لأغراض مالية أو تجارية أو اجتماعية أو قانونية.

ونظراً لأن من الصعب الحصول على تلك الوثائق السرية، فإن وجودها يمنح القصة الإخبارية صفتي الأصالة والمصداقية اللتين يصعب الحصول عليهما من المصادر العامة. وفي العديد من هذه الوثائق – مثال في المعاملات التجارية أو التحقيقات القضائية – توجد ثوابت أو قوانين أو إجراءات تضمن مستوى معينا من الدقة.

وهنا يمكن للمحاضر أن يعلم الطلبة بأنه: " في أي تحقيق صحافي يمكننا أن نكتشف وجود وثائق معينة أثناء المضي فيه قدما، لكن عملية العثور على الوثائق ستكون أكثر سهولة لو عرفنا مسبقا ما هي الوثائق التي من المحتمل أن نعثر عليها".

بناء "دليل السجلات الوثائقية"

يعني هذا المصطلح في اللغة الدارجة للصحافيين سلسلة من الوثائق التي تحدد أسباب أو مسؤولية الوقائع التي نحن بصددها. وهناك طريقتان بسيطتان لتخيل ما تتضمنه تلك السلسلة من الوثائق التي تهمنا:

(أ)– استخدام الجدول الزمني في وضع "دليل السجلات الوثائقية": يمكننا استنتاج وجود العديد من الوثائق التي قد تظهر في لحظة ما من الجدول الزمني، مثل اجتماع يعقبه خطاب أو مذكرة تحتوي على النتائج الرئيسية أو اتفاق عمل سيتم توثيقه بعقد رسمي.

(ب)– استنتاج من يمكنه أن يمنحنا الوثائق: غالبا ما يتم الحصول على الوثائق السرية عن طريق مصادر حية، وباستطاعتنا تخمين شخصيات هؤلاء من بين الشخوص الموجودين في الحدث، وذلك من خلال توجيه الأسئلة التالية (بدلا من مجرد قراءة قائمة الأسئلة، يمكن للمحاضر أن يطرح السؤال الأول والسؤال الثاني سؤال ثم يطلب من الطلبة استكمال بقية الأسئلة):

- من نسأل عن الوثيقة؟
- من الذي قام بعملها؟
- من الذي وافق عليها؟
- من الذي سيتلقى نسخة منها؟
- من الذي أرسلها؟
- من المسؤول عنها؟

٢- تمرين جماعي: إيجاد مصادر للوثائق السرية:

بعد أن توضح لهم الأسس السابقة يمكن للطلبة توظيفها في تدريب عملي، بحيث سيستخدمون فرضياتهم والجدول الزمني في وضع "دليل السجلات الوثائقية".

- قسّم الطلبة إلى مجموعات صغيرة تمثل مصادر مختلفة تبعا لخريطة المصادر التي وضعوها من قبل.
- أعط كل مجموعة قلم تحديد (تظليل) وقطعة ورق كبيرة يكتبون في أعلاها اسم الشخصية الرئيسية في قصتهم الإخبارية (لنفترض أنه: مالك العقار)
- أطلب منهم البدء بعصف ذهني حول الوثائق التي يمكن لهذه الشخصية أن تتداولها أو تصنعها، اطلب منهم عمل قائمتين: واحدة للوثائق الصادرة التي سينشئها، والأخرى واردة للوثائق التي سيتسلمها من الآخرين. ففي حال نموذج أصحاب العقارات الذين يؤجرون شققا للطلبة، فإن الصادر منها يمكن أن يكون العقود المحررة أو الخطابات الواردة أو شيكات سداد الإيجارات أو رسائل البريد الالكتروني.
- والآن وجه سؤالا: من سيرى تلك الوثائق أيضا؟ من يمكن أن يحتفظ بسجل لها أو نسخة منها؟ كيف وممن يمكننا الحصول عليها؟ إلى من نلجأ للحصول عليها بأسرع وقت؟

مع استمرار النقاش، سيصبح الطلبة على بيّنة من أن وثائق عديدة ستظهر خلال عملهم في التحقيق، وسيدركون أن العديد من تلك الوثائق عادية جداً لكنها تؤكد عدة حقائق مهمة في القصة الإخبارية.

وقد تذكّر تلامذتك: إن الأمر يكون أسهل عندما تجد شيئا تبحث عنه. ولذا، من الضروري أن يتخيلوا قائمة ببعض الوثائق، وأن يسألوا على سبيل المثال: "هل وقعت عقدا؟ هل لديك نسخة؟ أرجو أن تريني إياها".

كذلك لا بد للطلبة من أن يدركوا أن معظم الوثائق موجودة في حوزة العديد من الأطراف، وأن واحدا على الأقل من هؤلاء الأطراف يمكن أن يطلعنا عليها، وإذا لم يفهم الطلبة ذلك وحدهم فعلى المحاضر أن يلفت نظرهم.

خامسا: واجبات منزلية

في نهاية هذا الجزء، أبلغ الطلبة أن عليهم أن يحضروا مشروعاتهم خلال أسبوع (أو أكثر إذا رأيت ذلك ضرورياً) مشروعاتهم، وأن عرضها لا بد وأن يتضمن ما يلي:

١- خطة التحقيق

يجب على الطلبة أن يقدموا:

- فرضيات التحقيق
- جدولا زمنيا
- خريطة مصادر
- مصادر مفتوحة ومتاحة ترجح صلاحية أجزاء من الفرضيات والجدول الزمني
- وثائق تتوقع مجموعة العمل أنها ستحصل عليها من مصادر بشرية.

٢- الفوائد المتوقعة من المشروع

(أ)- الفوائد الاجتماعية

- من هو جمهور هذه القصة؟
- أي مجموعات أو مجتمعات ستهتم بها؟
- كيف سيستخدمون التحقيق؟
- هل سيساعدون في دعم التغييرات التي ستطرح؟
- هل سيكونون هم الجمهور الخاص بنوع عملنا في المستقبل؟

ب- الفوائد الشخصية

- ما هي القدرات الجديدة التي سنكتسبها من هذا العمل (تقنياً ومهنياً وغيرهما)؟
- ما هي المصادر الجديدة التي سنكسبها؟
- من الذي سينشر القصة الإخبارية؟
- هل سنحصل على مقابل مادي لذلك؟ وكم؟

الفصل الحادي عشر

إجراء حوارات استقصائية

/٣ ساعات

قراءة تمهيدية: الفصل الرابع، الصفحات من ٣٨-٥١ من كتاب "على درب الحقيقة"- دليل (أريج) للصحافة الاستقصائية العربية"



١- مقدمة

عدد قليل جدا من طلبة الصحافة أجروا حوارا استمر لأكثر من ساعة، ويمكن قول الشيء ذاته عن العديد من الصحافيين المهنيين. أما صحافيو الاستقصاء، فيجب أن يمتلكوا القدرة على إجراء حوارات مطولة تكون في الأغلب مع مصادر تخشى التحدث أو غير راغبة فيه. يساهم هذا الفصل في إعداد الطلبة لمهمة إجراء الحوارات والاستمتاع بها، وبصفة خاصة، إجراء حوارات في المنطقة العربية.

يمكنك الآن أن تخبر طلابك أن الحوارات في هذه المهمة هي الأكثر تحدياً وإرضاءً للنفس عندما يمارسونها كصحافيين. إذ أنهم من خلالها سيتعمقون في حياة مصادرهم وذكرياتهم ومشاعرهم في محاولة لإيجاد معنى وتفسير لما يرونه ويفعلونه ويسمعونه منهم كصحفيين استقصائيين. ويجب أن تعلم الطلبة بأنك تتوقع أن تكون حواراتهم على أكمل وجه ممكن، ما يعني أن ما يقوله المصدر يجب أن يدوّن بنزاهة. ويجب عليك إخبارهم أن العديد من المحررين المحترفين يتعلمون الاختزال حتى يستطيعوا مجاراة المصادر. كما أن بإمكانك كصحفي تسجيل ما يقوله المصدر على جهاز تسجيل وكذلك الأسئلة التي توجهها إليه، وبخاصة في حال كانت المصادر متورطة حيث قد تنفي ما سبق وصرحت به (معظم التليفونات المحمولة الآن مجهزة بإمكانية التسجيل الصوتي). مع ذلك تتطلب عملية التسجيل بصفة عامة ساعتين من التفريغ لكل ساعة تسجيل.

٢- الأساليب الأساسية لإجراء الحوارات:

(أ) تحديد المصدر المراد إجراء الحوار معه

أول سؤال يواجهه الصحفي هو: من هو الشخص الذي أرغب في محاورته؟

- في أغلب التحقيقات الاستقصائية، فإن أول المصادر الذي يكون مستعدا للكلام هو ذلك الذي يشعر بأنه ضحية.

- وثاني أكبر مجموعة راغبة في التحدث، هم الخبراء من شهود العيان الذين يقدمون رؤيتهم للأحداث في اللحظة التي يشعرون فيها بمدى اهتمامنا بالحدث.

- بصفة عامة، فإن أولئك المسؤولين عن موقف سيء هم آخر من يتمنى الحديث عن ذلك الموقف. ومع ذلك فقد يدلون ببيان رسمي يمكّننا من التثبت من بعض الحقائق.

- يمكنك أن توضح لطلابك أن هذا التتابع يختلف بدرجة كبيرة عن المتّبع من قبل صحافيي الأخبار: يستهدف صحفيو الأخبار عادة الأفراد الأعلى رتبة أو الأكثر أهمية من بين المرتبطين بالحدث. وعادة ما يكون هؤلاء الأفراد مسؤولين عن الأوضاع التي يتحرى عنها الصحافي الاستقصائي.

- على النقيض، فإن المصدر المثالي في معظم التحقيقات هم الأفراد الذين يتبوأون مناصب في وسط السلم الإداري في الهيكل التنظيمي لأي منظمة، سواء ممن يقومون على الجانب التشغيلي أو التخطيطي. فلدى هؤلاء إمكانية الاطلاع على وثائق مهمة ولكن دورهم محدود التأثير بشأن كيفية صياغة وتنفيذ السياسات. لذلك قد يعتبرون أنفسهم ضحايا مجبرين على تنفيذ سياسات أو أفعال لا يؤمنون بها. في الفصل الحادي عشر، تم تكليف طلابنا بتحديد مصادر قابلة للتعاون في التحقيقات التي كتبوها. أطلب من إحدى تلك المجموعات أن تقترح أحد تلك المصادر للنقاش. ويجب على المجموعة التعريف بالمصدر ودوره في التحقيق الذي أعدوه.

الآن اسأل الطلاب: "لماذا نتحدث مع هذا الشخص؟ ما هو هدفنا؟".

- هناك هدف عام وهو معرفة الخصائص الفريدة التي يتميز بها المصدر، وهذا يشتمل على رؤى وملاحظات وخبرات وأحكام أو وثائق. بعد جمعها تصبح هذه الخصائص الفريدة هي الأصول (الموجودات) التي نملكها فيما يتعلق بجانب مهم في التحقيق.

- لذلك اسأل طلابك: "ما هي الأصول المحددة التي تتمنى الحصول عليها من هذا الشخص؟ ما الذي تعتقد أنه يعرفه أو يملكه في صورة وثائق تحب أن تحصل عليها؟".

هنا تكون هذه فرصة جيدة لأن تسأل طلابك: هل يجب أن تتعاملوا مع هذا الشخص بوصفه بريئا أم خبيرا؟ (أنظر الفصل الرابع من دليل أريج "على درب الحقيقة"..
إسأل طلابك: لماذا يصبح دور بعينه هنا أكثر أو أقل فاعلية؟ يمكنك أن تخبرهم في النهاية: "ليس هناك دور مثالي في أي حوار. فقط كن حذرا من الدور الذي تلعبه، ومن السبب الذي اخترته لأجله".

(ب) معرفة خلفية الشخصية موضع الحوار

- قبل أن نحاور شخصا ما، يجب أن نعرف، على أقل تقدير، الدور الذي يلعبه في التحقيق: هل هو ضحية أم شاهد أم جانٍ؟ من هم الفاعلون الآخرون وما الأحداث التي من المحتمل أن يكونوا قد شاهدوها؟

- يجب علينا أن نعرف عنهم أيضا جميع الحقائق والتي يمكن الحصول عليها من الإنترنت: بيانات شخصية وحوارات وأخبار، إلخ، وهل هذا الشخص خبير في مجال بعينه، أو لديه خبرة توضح دوره في القصة التي نحن بصددها وعلينا أن نأخذ علما بها. (على سبيل المثال لو كان في القصة مدعي عام فاسد فإننا نود أن نعرف إن سبق أن اتهم بالفساد).

- على سبيل التمرين، يمكن تكليف الطلاب بجمع معلومات عن شخص معين قبل أو بعد المحاضرة. ومما تشتمل عليه الموضوعات الممكنة في ذلك موضوع بخصوص مدير تنفيذي بارز في مجال الأعمال، أو فنان أو سياسي. يمكن للمحاضر أن يجهز معلومات عن خلفية الشخصية في شكل أسئلة بهدف وضع معايير لتقييم جهد الطلاب.

(ج) إعداد الأسئلة

عـادة مـا ينزعـج الطـلاب مـن كيفيـة طـرح الأسـئلة. لـذا يمكـن للمحاضـر أن يقتـرح قيـام الطـلاب ببنـاء الحوارات مع المصادر حول أنواع الأسئلة التالية:

١- سؤال محوري: إذا كان مقدرا لك سؤال واحد، فماذا سيكون؟
٢- أسئلة موضوعية: هل هذا هو ما حدث؟ من كان هناك؟ أين؟ متى؟ كيف؟
٣- الترتيب الزمني: متى بدأ الأمر؟ كيف؟ ماذا حدث منذ ذلك الحين؟ ما الذي تتوقع حدوثه في المستقبل القريب؟
٤- أسئلة شخصية: ما رأيك في الأحداث؟ ماذا كان شعورك؟
٥- أسئلة تستهدف الحصول على مصادر أخرى: من يعرف بالأمر غيرك؟ من هم الآخرون الذين يجب عليّ محادثتهم؟ هل قام أحد بكتابة تقرير أو مذكرة أو أي وثيقة بشأن تلك الأحداث؟ (على سبيل المثال: هل وقعت عقدا؟ هل لا يزال لديك؟ هل يمكنني الاطلاع عليه؟".

بـدلا مـن التفكيـر فـي شـكل سـؤال وجـواب، يمكنـك أن تقتـرح عليهـم أن يعتبـروا أن حواراتهـم هـي محادثات مع شخص على علم بشأن موضوع يشكل اهتماما مشتركا بينهم.

وعلـى سـبيل التمريـن، يمكـن للمحاضـر أن يسـأل الطـلاب أن يقسـموا أنفسـهم إلـى مجموعـات زوجيـة وبـدء أحاديـث عـن عمـل أو هوايـة أو رياضـة أو إجـازة أو خبـرة حياتيـة سـارة. بعـد خمـس دقائـق إسـأل كل عضـو مـن الثنائـي عمـا تعلمـه مـن المحادثـة. سـتجد تقريبـا فـي كل زوج طالبـا قـد تعلـم الكثيـر والآخـر تعلم بدرجة أقل من الأول.

وعلـى المحاضـر أن يلخـص الأمـر: الهـدف مـن أي حـوار ليـس طـرح السـؤال، بـل الاسـتماع. دور الصحفـي الاسـتقصائي تشـجيع النـاس ودفعهـم للـكلام ومراقبـة طريقـة كلامهـم -مشـاعرهم، لغـة الجسـد أو الصمت- بالإضافة إلى ما ينطقون به.

يمكن للمحاضر الآن أن يوجه الطلاب إلى تكرار الحوار مع إدراكهم لتكتيكات الاستماع:

١. إبدأ الحوار بـ: "من فضلك قل لي ماذا حدث؟ أو من فضلك صف لي ما رأيته؟
٢. قم بالانحناء قليلا نحو من تحاوره. (يعكس ذلك اهتمامك).
٣. احـرص علـى التواصـل البصـري مع مـن تحـاوره (سـيقرأ الضيـف لا شـعوريا مـن تعبيـرات وجهـك مـا إذا كان أداؤه حسنا من عدمه).
٤. أعـطِ مسـاحة للصمـت. انتظـر ما إذا كان محدثـك سـيبدأ روايتـه. (عـد حتـى الأربعـة فـي سـرك قبـل أن تكسر الصمت).
٥. اعتد على إعادة صياغة الإجابة: "إذن ما تقوله هو....." (سيعتبر ضيفك هذا علامة على انصاتك).
٦. اسـتمع بعنايـة إلـى الكلمـات التـي تعبـر عـن مشـاعر أو رأي، مثـل "كانـت تجربـة فظيعـة" أو "لمـاذا كانت التجربة فظيعة؟ أطلب من ضيفك شرح تلك الكلمات.
٧. فكـر عقـب كل إجابـة: "هـل فهمـت الجـواب؟" إذا لـزم الأمـر اطلـب مـن ضيفـك أن يشـرح أو يصـف أو يعبـر عـن ردة فعلـه علـى مـا يقـول. ينطبـق هـذا أيضـا علـى المصطلحـات التـي يسـتخدمها المصدر بشكل متكرر ما يعني أنها تحمل معنى خاصا للمصدر.

(د) الاقتراب من المصدر

أخبر طلابك أن عليهم تقديم أنفسهم للمصادر بوصفهم صحافيين. لذلك يجب عليهم معرفة إسم الوسيلة الإعلامية التي ينوون تسليم التحقيق إليها كحد أدنى (ولا بأس إن كانت صحيفة طلابية). لذلك يمكن أن يكون كل رد فعل يقوم به المصدر مادة صالحة للنشر بشكل عادل وشرعي.

خلال المحاضرة، يمكنك تكليف الطلاب بكتابة مقدمة مختصرة الى مصادرهم ليشجعوهم على التحدث إليهم، ثم إسأل كل طالب بدوره أن يقرأ المقدمة التي كتبها بصوت عال. واستمر في السؤال حتى تجد طالبا يتكلم بثقة وإخلاص ولا يبدي أي خجل. واطلب ممن سيأتي دورهم أن يكونوا بمستوى الثقة والجرأة ذاتها.

يجب أن يفكر الطلاب فيما سيقولونه إذا ما سألهم مصدر ما (على سبيل المثال: "لماذا تقوم بعمل ذلك التحقيق؟") أفضل طريقة يعالج بها المحاضر تلك النقطة تكون بمساءلة الطلاب ونقد رد فعلهم. تشتمل الإجابات الصحيحة على:

- "هذا التحقيق مهم، وأنا أريد أن أقوم به كما يجب".
- "أنت الخبير بالأمر".
- "أود أن أستمع إلى روايتك للقصة، وأن أعرف رد فعلك على ما قاله الآخرون".
- "يمكنك مساعدة الناس لمعرفة الحقيقة، .ساعدني في استكمال الصورة".

في مجال نقد الطلاب، إسألهم: ماذا لو قال المصدر: "لا أريد التحدث إليك"؟ تشمل الإجابات الصحيحة ما يلي:

- "من فضلك قل لي إذا مع من يجب أن أتحدث بدلا منك"؟
- "من فضلك سجل رقم تليفوني إن أردت محادثتي فيما بعد".
- "سأعود إليك فيما بعد عندما يكون لدي معلومات أكثر. من حقك التعليق على أي حقائق تعنيك وسأحترم ذلك".

(٥) إنهاء الحوار

قبل إنهاء أي حوار، يقوم الصحافيون المحترفون بما يلي:

- يراجعون سريعا الملاحظات التي دونوها لتحديد ما إذا كان هناك أمر يحتاج إلى إيضاح.
- إسأل مصدرك: هل هناك شيء لم أسأل عنه وتريد إضافته؟
- إسأل: "هل تشعر أن الفرصة أتيحت لك لتقول كل ما أردت قوله؟".
- إسأل عن المصدر الذي يتحتم عليك محادثته بعد مصدرك الحالي.
- إسأل عن أي وثائق قد تكون بحوزة مصدرك. ويتضمن ذلك أي وثائق قد تكون مرئية لك في مكتب المصدر بصفة خاصة.

سنراعي في الملحق التالي اعتبارات ثقافية مرتبطة بالسياق الثقافي العربي في عملية إجراء الحوار. يمكنك أن تكلف طلابك بقراءة الملحق قراءة تمهيدية للمقرر، أو يمكنك أن تتخذ الملحق هذا أساساً لمحاضرة مع ربطه بخبرتك الميدانية. وضح الأمر بطريقة أو بأخرى لطلابك بأنه يتحتم عليهم لقاء مصادرهم وفقا لقواعد المصادر في التعامل مع الصحفي مع الإصرار بأدب واحترافية على حقهم في جمع معلومات تؤثر إيجابيا في المجتمع.

ملحق: إجراء الحوار وفقا للثقافات العربية

ترتبط أساليب إجراء الحوار بالخصائص الثقافية للمجتمع. يحب الأمريكيون تسجيل حواراتهم بينما يكره الفرنسيون ذلك. سألنا صحافيين محترفين وعلماء اجتماع ممن عملوا في العالم العربي لنتقاسم معهم خبراتهم بشأن إجراء حوارات في المنطقة. قسمنا إجاباتهم إلى جزئين: إجراء حوار مع البسطاء، وإجراء حوار مع أصحاب السلطة. في الحالتين تظهر قواسم مشتركة: إظهار الاحترام للمصدر، الحصول على إجابات واضحة. ومع ذلك تختلف وسائل تحقيق تلك الأهداف.

تشمل الإستخدامات المحتملة للمحتوى إعطاء خلفية لتوجيه المناقشات داخل المحاضرة، أو قراءة تمهيدية للطلاب.

ا- إجراء حوارات مع البسطاء (من حوارات مع باحثين ميدانيين ومحررين)

(ا) مشكلة عامة: الخوف من الصحافيين

" يعتقد الناس هنا أنهم سيواجهون المشكلات إذا ما تحدثوا عن مشكلاتهم، لا يثقون في وسائل الإعلام المحلية".

"إذا شاهدوا الخبر على شاشة تلفزيون هيئة الإذاعة البريطانية BBC يظنون أن له مصداقية. ولكن بسبب الكذب المستمر في وسائل الإعلام التي تسيطر عليها السلطات المحلية أصبحوا لا يثقون في وسائل الإعلام المحلية حتى المستقل منها".

"العرب شكاكون بطبعهم ويكرهون الصحافيين. إنه نمط تفكيرهم. يعتقدون أن الصحافيين سيحصلون على المعلومات وينشرونها ويفضحونهم. لا توجد ثقة بين الصحافيين والناس. إنهم يخافون من الصحافيين، وبخاصة الناس في المناطق الفقيرة وليس النخبة والمتعلمين". "أنك بصدد أناس ضعفاء لا ينصت إليهم أحد".

(٢) الوصول إلى المصادر

"تحتاج أن تعرف من لديه نفوذ، وتحتاج عبر زيارة مجاملة أن تشرح فيها لماذا أنت هناك وماذا تفعل. في بعض الأحيان نقرأ عليهم الأسئلة لنخبرهم بما نفعل".

"قواعد المظهر مهمة. ستبدو دائما غريبا. إذا كان المكان محافظا وأنا إمرأة يجب علي أن آخذ الأمر بعين الاعتبار. إذا تحتم علي أن أذهب إلى أماكن بعينها أرتدي الحجاب. ألتقي بهم وفق قواعدهم ومستواهم. أختار ألوانا محايدة مثل الأزرق الداكن أو الأسود. أرتدي ملابس فضفاضة لا تظهر القوام وسروالاً رياضياً، أي شيء يغطي الأرداف. تجنب التحدث بأي كلمة بالإنجليزية.

يختلف الأمر عن لقاء أي فرد يعمل في شركة أو بنك، في هذه الحال يجب عليك أن تبدي فطنة وتطرح أسئلة واضحة، وترتدي ملابس أنيقة. بالنسبة للناس في المناطق الفقيرة الذين تبلغ أجورهم أقل من ٢٠٠ دينار أردني (٢٩٠$ دولار) شهرياً، ليس من العدل أن أستفزهم بلغتي ومجوهراتي وموبايلي. يتحتم عليك التشبه بهم عن طريق استخدام لغة بسيطة، وتجنب استخدام الانجليزية أو كلمات عربية صعبة".

إذا دخلت خيمة عربية[1] وبدأت في إجراء الحوارات، هناك ١٥ دقيقة من الصمت، تبدأ بقول الله يعافيكم ويحميكم. سيعدون القهوة ويقدمون لك فنجانا ويليها الشاي. منتهى الوقاحة ألا يقدموا لك شيئا ومن المسيء أن لا تستجب لضيافتهم. فأنت في الدرجة الأولى ضيف، ثم صاحب هدف، وبدرجة ما ينسحب الشيء نفسه على الفلاحين. لا تتعجل الأمر".

"أيا كان ما يقدم إليك يجب أن تقبله. إن الطعام في هذه المنطقة يعد رمزا لفتح الطريق أمامك واستيعابهم. وإذا ذهبت إلى منطقة حضرية فقيرة وقدموا لك القهوة، فهي تكلفة كبيرة عليهم. اذا طلبوا منك البقاء للغداء يجب عليك أن تبقى وتأكل كما يأكلون وتظهر سعادة. ومن الوقاحة أن تقول لا أحب الطعام، فهذه عبارة قوية باللغة العربية. إياك أن تسخر من لهجة أحد أو مظهره أو ملبسه".

[1] ملاحظة من المراجع: المقصود هنا خيمة بها اناس كثر.وهذه قد تكون خيمة عزاء او عرس او مناسبة وليس بالضرورة خيمة للسكن.

(ج) بدء الحوار

حينذاك تقوم بعمل مقدمة. تقول، "أنا هنا لأنني أقوم بكذا. هل لديك متسع من الوقت؟ هل يمكنني تدوين كلامك؟ إذا أخبرتني بشيء لا تريد نشره سأتوقف عن تدوينه. أشرح ذلك من البداية. أنت باحث عن الحقيقة."

"إذا شاهدت إمرأة بصحبة أطفالها أتكلم عن إبنتي لكي أفتح معها طريقا للحوارا أو وسيلة للتواصل".
"لا أحب استخدام لغة الدين. إلا أن بعض الناس يستخدمونها في التعامل معي. قمت بعمل تحقيق عن أناس غيروا ديانتهم. وكان لارتداء الحجاب أثره على الجانبين. في بعض الأحيان خاف المسيحيون من أن ارتدائي الحجاب قد يعني أن أنظر لهم بسوء، أخبرتهم بفكرتي عن طريقة تناول الموضوع وبأنني أؤمن بالحرية. عندها بدأوا بالثقة بي وإظهار حقيقة ما يشعرون به. وظن الذين تحولوا من المسيحية إلى الإسلام أنني معهم، وقلت لهم أنني سأعطي معاناتكم ومعاناة الآخرين ذات القيمة. إذا تقبلتم هذا، حسنا. أحب أن أكون واضحة مع الناس. وإلا فسيشعرون بالخيانة فيما بعد".

"أظل أسترجع لماذا أنا هناك. من المهم تذكير نفسي. لماذا أحقق مع هؤلاء الناس؟ يجب علي تكرار ذلك لنفسي ولهم".

(د) طرح الأسئلة المناسبة

"إن إعداد قائمة بالأسئلة يفوق قدرة هذه المصادر، ويضعك في طبقة أعلى منهم".
يمكنك أن ترفض. يرفع الناس أصواتهم. يمكنك أن تتبنى موقفا متطرفا وتجادل بقوة. لا يمكنك أن تلوح بأصابعك أو السخرية من الناس أو التصرف بطريقة متعالية. لا يمكنك أن تكون فظاً، الثقافة العربية لا تتقبل الفظاظة".

"لا يمكنك طرح أسئلة مباشرة. إذا كنا نتحدث عن العنف أو الاغتصاب، لا أستطيع أن أسأل بشكل مباشر - الأمر حساس، ولن يجيب الناس. نستخدم صيغة الغائب - إذا ما كنت تعرف شخصاً تعرض للاغتصاب. وستكون الإجابات بصيغة الغائب، إذا ما كان هناك وصمة عار. إذا ما سألت نساء يتعرضن للضرب عن طبيعة الرجل الذي يضرب زوجته سيقلن: ربما تكون الزوجة قد فعلت شيئا خطأ، وبعدها تردد غي مقوله أن هذا حق الرجل. النساء اللواتي لا يضربن سيكون ردهن أنه أحمق. يلجأن للصيغة غير المباشرة عندما يتعلق الأمر بشيء يعرفنه مباشرة ويمسهن. إنه الإحساس بحماية النفس.

٢. إجراء الحوار مع أصحاب السلطة: حوار مع رنا صباغ المديرة التنفيذية لمؤسسة أريج.

(ا) تحقيق الاتصال:

"أيا كان المستوى الذي أحاول التواصل معه ألجأ عادة إلى العلاقات الشخصية. هل تعرف أحدا يعمل في البنك؟ صديقي يمكن أن يتصل بالمدير أو يجعلنا نتواصل معه. يجب عليك ان تعرف من يدير مكاتبهم. إذا لم تصلح تلك الطريقة، حاول التوصل إلى من هو صديق لهم، من يستطيع أن يتصل بهم ويقول: أوصيك بالتحدث الى فلان...".

"أو أن تفقد المسؤول صوابه بتكرار الاتصال – ثلاث مرات يوميا، أو تنتظرهم خارج الأماكن التي يذهبون إليها - البرلمان أو مدخل الوزارة. يمكنك الانتظار على الرصيف لمدة ثماني ساعات. فعلنا ذلك مع الراحل ياسرعرفات مرارا. كلما زاد اهتمامك وإصرارك وصلت إلى نتيجة أفضل".

(٢) أهمية احترام الذات:

"في مرات عديدة ييأس الصحافيون من أول لقاء. يقولون أحيانا لقد حاولنا الاتصال بهم ولم يجيبوا. أرسلت فاكس ولم يجيبوا. يجب أن تصر على أن يذهب الصحافي إلى الوزارة أو المحاكم ويجد وسيلة للوصول إلى المعلومات الرسمية. أحيانا تكون الخطوط الحمراء مجرد أوهام متخيلة.يريد صحافيون أن يكونوا في حضن المسؤول أو يخافون من طرح الإسئلة. يجب أن تكسر كل تلك المفاهيم وأن تحترم نفسك".

"يجب أن لا ينظر الصحافيون إلى المسؤولين كما لو كانوا فوق مستوى المحاسبة، فهم خدام الشعب، موجودون من أجل خدمتنا وليس العكس. يجب على الصحافيين أن يكونوا مؤهلين جيداً يعرفون بدقة لماذا يجرون الحوار وما الذي يريدونه ولديهم ما يكفي من الذخيرة ليبينوا للمسؤول أنهم ليسوا هواة".

"في الغرب يدخل الصحافيون ويجرون الحوارات وهم يعرفون ما يستهدفونه. قلة في العالم العربي من يعرفون ذلك. بل يهدرون ثلاثة أرباع الوقت المخصص للحوار في المجاملات، وعندما يبدأون بطرح الأسئلة الحيوية يقول المسؤول: "انتهى الوقت المخصص لكم". لم يعتادوا على اصطياد المسؤولين. يمكن القول إن من حقي الحصول على المعلومات. الأمر يتطلب صبرا وإيمانا بما تفعل".

"عندما تدخل وتسلم باليد وتسأل عن مزاج مصدرك اليوم، دائما ما يساعد ذلك في البدء بالحوار. أرسل للمصدر نسخة من الحوار بعد نشره. تواصل معه حتى لا يظن أنك شخص سيء".

"سيتحدثون إلي لأنهم عندما يعطونني معلومات لن أسيء استخدامها. أضعها في سياقها بدون تحيز. سأسجل حواراتي واسأل عن حقائق ووثائق. إذا لم يريدوا الكلام باستفاضة أكثر سأسأل عمن لديه المعلومات إضافية. نتوافق على أساس أن المعلومات ليست للنشر أو للنشر بدون ذكر إسم المصدر. في بعض الأحيان عندما يكون الحوار "ليس للنشر" أطلب من المصدر أن تكون أجزاء منه للنشر، وإذا طلب المصدر أن يرى التحقيق قبل النشر أرفض، إلا أنني أقرأ له النص المتعلق بتصريحاته".

(ج) لماذا يكره المسؤولون العرب الصحافيين؟

"أغلب المسؤولين لا يثقون في الصحافيين لافتقادهم للاحترافية. ويطلب المسؤولون الاطلاع على نص الأسئلة والإجابات مكتوبة لأنهم يقلقون من خطأ في اقتباس تصريحاتهم. وينتهي بهم الحال إلى إصدار بيان عام وبيان صحافي حتى يتأكدوا من أن الصحافيين لن يسيئوا فهمهم".

"لأن معظم الصحافيين ينظرون إلى أنفسهم نظرة دونية وكغير متمكنين، يتعاملون مع المسؤولين من خلال عقدة نقص، ويتوسلون إليهم من أجل الحصول على المعلومات، وفي سبيل ذلك يكيلون لهم المديح ويثنون عليهم. فهم لا يحبون المواجهة واذا واجهوا يصبحون شديدي العدوانية والشخصانية، ويتعاملون مع المسؤول على أنه عدو".

"منذ البداية يجب ألا تنفصل عن الهدف الذي تريده من هذه المقابلة حيث أنهم قد يغيرون من موضوعك.. يمكنك أن تسأل عن معلومات عامة. أو تقول في النهاية لقد ذكرت لي كذا إلا أن المعلومات التي ويقتها أنا تقول أنه غير صحيح. أعطني إجابات. منذ البداية وأنا على صلة بالموضوع ولكن بطرق مختلفة. في البداية قد أبدو ساذجاً: من فضلك أعطني كل معلومات لديك بشأن موضوعي. لكن عندما أعلم يصبح لدي الدليل يمكنني أن أكون أكثر مبادرة وقوة".

"كنا نشرف على صحافي في تحقيق عن فساد في الإدارات المحلية، وكان الصحفي يهاجم رئيس البلدية في تحقيقه ويكيل له الاتهامات. قلت له يجب أن تأتي برأيه حيال كل كلمة تكتبها ضده وإلا لن أنشر لك الموضوع. فرد علي قائلا: دعينا ننشر التحقيق أولا ثم ننشر رد المسؤول في اليوم التالي. رفضت وأصريت أن ارسل كبير المحررين في أريج ليرافق ذلك الصحفي في لقاء مع رئيس البلدية.سألناه عن مشكلات في مرآب البلدية وتعيينات غير قانونية للعاملين. وكان رئيس مجلس المدينة مراوغا وأراد أن يبدو وكأن لا علاقة له بالمشكلات".

(د) الإصرار على الإجابات الواضحة

"الناس هنا لا يردون على الأسئلة مباشرة. يتجنبون الاجابة بوضوح. وأحيانايراوغون – اللغة العربية لغة منمقة ورحبة جدا ونابضة بالحياة وشاعرية تتيح لهم المراوغة في الكلام. يمكنك أن تقول للمصدر أنا لم افهم هذا، هل يمكنك أن تكون أكثر تحديدا، ماذا بشأن هذه النقطة؟ هل يمكننا صياغة الإجابة بشكل يسهل على الناس فهمها؟ أو قل: آسف يجب أن أسأل ثانية، أريد التأكد من أنني حصلت على الحقائق بشكل سليم وفهمت ما قلته على النحو الصحيح".

"يجب أن تكون مبدعاً، وتظل منفتحاً. كان لدى وزير تعليم عالي سابق كل تفاصيل قضية فساد بطلها رئيس إحدى الجامعات. وأردنا التسجيل معه. ذهبت مع المحرر إلى الجامعة التي كان الوزير السابق يدرس فيها. قلت دعنا نطلع على الوثائق ونناقش القضية برمتها. كانت الخطوة الأولى إقناعه بالكلام، وكانت الثانية لماذا لا يظهر أمام الكاميرا؟ رفض قائلا: أظهر بصوتي فقط. وعلى ذلك كان يحمل الكاميرا بيده طوال الوقت وهي تسجل بصوته، وأعطانا معلومات في غاية الأهمية عبر التسجيل الصوتي".

الفصل الثاني عشر

الملف الرئيسي: إنشاء قاعدة بيانات للتحقيق الاستقصائي

/ساعة ونصف



عقب فضيحة "ووترغيت"، بادر المحررون الاستقصائيون إلى تطوير مناهج بحثية جديدة للمهنة كلها. ربما كان أكثرها أهمية مقدمة مناهج بحوث علم الإجتماع، واستخدام تكنولوجيا الكمبيوتر في جمع وتحليل أنواع مختلفة من البيانات. وقد طور هذا الأسلوب فيليب ماير وأطلق عليه مصطلح "الصحافة الدقيقة"[١] ". في منتصف التسعينيات، بعد أن أتاحت أجهزة الكمبيوتر والإنترنت كميات هائلة من البيانات بتكلفة رخيصة وسرعة عالية تم إعادة تسمية هذا الأسلوب بـ "كتابة التقارير بمساعدة الكمبيوتر[٢] " وتسمى الآن "صحافة البيانات".[٣]

ويظل المبدأ الأساسي واحداً: إنشاء تحليلات إحصائية صالحة للأحداث والظواهر التي لولاها لن يتم فهمها بدقة.[٤] وفي العقد الأخير، تطورت صحافة البيانات بوتيرة سريعة ومذهلة.[٥] وبالطبع يمكن لهذا الموضوع أن يوفر محتوى أكثر من كافٍ لمقرر مستقل بذاته. وسنتعرض في هذه المحاضرة إلى واحدة من الفرص المهمة التي يمكن أن توفرها صحافة البيانات للطلبة.

إذا أردنا أن نحصي شيئا في أي وقت - المال المنفق على مشروع، المرتبات المدفوعة للموظفين العموميين، عدد الحافلات (الأتوبيسات) المجهزة للركاب المعاقين وهكذا - فنحن نقوم بتحليل بيانات. ولكن بمنظور آخر، فإن جلّ العمل الاستقصائي يشتمل على إستخدام وتحليل بيانات من نوع ما. عندما نحاور مصدراً، أو نقرأ وثيقة ونحتفظ بالمحتوى لتحليله فيما بعد، فنحن أيضا نجمع بيانات.

بعبارة أخرى، فإن صحافة البيانات لا تقتصر بالضرورة على التحليل الإحصائي، فكل أنواع المعلومات يمكن التعامل معها كبيانات. لذلك يمكننا تسخير قدرة الكمبيوتر في تجميعها وتحليلها والبحث عن أنماط وخلق ترتيب وإدارة كميات كبيرة من المحتوى.

في هذه المحاضرة سنبين للطلاب أنهم ينشئون بيانات بإجرائهم التحقيق. ثم نشرح لهم كيف يتحكمون في هذه البيانات، ليس فقط لهدف رواية القصة ولكن لعمل أصول وموارد تخدم عملهم في المستقبل

[١] أنظر: فيليب ماير، *Precision journalism: A reporter's introduction to social science methods. Rowman &Littlefield* رومان وليتلفيلد ٢٠٠٢. الطبعة الأولى ١٩٧٣.

[٢] راجع: برانت هوستون، "التقارير بمساعدة الحاسوب: دليل عملي – *Computer-assisted reporting: A practical guide"* بدفورد/سانت مارتن ١٩٩٩.

[٣] انظر: جوناثان غراي، لوسي تشامبرس وليليانا بونيغرو. "صحافة البيانات". كتيب من اصدا *O'Reilly, 2012.*

[٣] على الرغم من انه ليس موضوعنا هنا، من المؤكد ان طلابك سيلاحظون أن البيانات تستخدم ايضا لدعم اشكال جديدة من التوضيح بغية الاستعداد لاسئلتهم حول هذه النقطة، عليك أن تعرف ان احد أهم من يمكن الرجوع له في هذا المجال هو ديفيد ماكاندليس من صحيفة "ذي غارديان" الذي يعد كتابه "المعلومات جميلة" وموقعه الالكتروني الذي يحمل نفس الإسم http://www.informationisbeautiful.net سيكونان متوفرين للطلبة المهتمين بالجرافيك المبني على بيانات. وعلى الرغم من ان الوسائل البصرية لا يمكن اعتبارها كلها صحافة استقصائية، فان استخدام الجرافيك المبني على البيانات لدعمة وتوضيح القصص الاستقصائية قد يكون فعالاً جداً. على سبيل المثال، نحث المحاضرين على النظر في الكيفية التي قامت بها صحيفة "ذي غارديان" بشرح الملفات الضخمة لوكالة الأمن القومي الاميركي التي كشفها المتعاقد السابق ادوارد سنودن. لقد حولت معالجة الصحيفة لهذه الوثائق الغامضة الى قصص شخصية لكل قارىء او زائر لموقعها وهو ما عزز تأثير القصص نفسها. انظر:
http://www.theguardian.com/world/interactive/2013/nov/01/snowden-nsa-files-surveillance-revelations-decoded#section/1 .

[٥] بامكان المحاضر ان يراجع تطورات أساسية في الميدان خلال العام ٢٠١١ عن طريق هذا الرابط:
http://datajournalismhandbook.org/
الذي يوفر نسخة مجانية على الانترنت للكتيب المعروف "صحافة البيانات".

لـو كان طلابـك تقليديـين، فسـيبدو عليهـم عـدم الارتيـاح عندمـا تثيـر موضـوع البيانـات. كذلـك يفعـل معظـم الصحافييـن، إذ تخيفهـم كلمـة بيانـات. فقليـل مـن الصحافييـن مـن يشـعر أنـه مؤهـل للقيـام بالتحليلات الإحصائية.

لذلك وجب إحاطة الطلبة علما بالنقاط التالية:

- البيانـات لا تقتصـر علـى الأرقـام؛ ففـي كل مـرة يـدون الصحفيـون فكـرة أو يحـاورون أحـدا أو يحفظـون مقـالا قـرأوه علـى الإنترنـت مـن أجـل تحليلـه فيمـا بعـد، فإنهـم فـي كل هـذه الحـالات يجمعون بيانات.

- القضيـة الأساسـية هـي مـا إذا كانـوا يجمعـون البيانـات بطريقـة مفيـدة. فعلـى سـبيل المثـال، لا جـدوى مـن شـراء مجموعـة رائعـة مـن الملابـس إذا تركتهـا مكومـة علـى الأرض. بالمعنـى الدقيـق للكلمـة، فـإن البيانـات عبـارة عـن حقائـق منفصلـة تحفـظ أو تقـدم فـي سـياق أو كجـزء مـن بنـاء القصـة. ويمكـن للمحاضـر أن يكتسـب رؤيـة عظيمـة فـي هـذا الصـدد بقـراءة "أفـكار حـول حرفتنـا البسـيطة" للصحافي الرياضي الأشـهر أندرو جينينغز. "Some thoughts on our simple craft" by Andrew Jennings.[٤] ويـروي هـذا المحـرر الرياضـي المتميـز تجربتـه فـي بنـاء قاعـدة بيانـات صالحـة لبحـث يتعلـق بـ"اللجنة الأوليمبية الدولية" ومؤسسات رياضية أخرى.

- إذا كان الطـلاب يسـتخدمون الكمبيوتـر فـي كتابـة قصصهـم أو إعـداد أفـلام قصيـرة فإنـه يمكنهم بالسهولة ذاتها إنشاء قاعدة بيانات.

والواقـع أن منهـاج الاسـتقصاء الـذي طورتـه شـبكة أريـج يعتمـد علـى قيـام الصحافييـن بتنظيـم معلوماتهـم علـى شـكل بيانات داخـل ملـف مخصـص لذلك، ويسـمى الملـف الرئيسـي (Master File). هـذا ويمكـن إيجـاد توصيـف لكيفيـة إعـداد الملـف الرئيسـي فـي الفصـل الثانـي مـن دليـل صحافـة الاسـتقصاء "علـى درب الحقيقـة"، صفحـة ٥٥- ٦١، والفصـل الثانـي ص ١٢-٢٢ فـي كتـاب: "القصـة المبنيـة علـى الاسـتقصاء"، تأليـف مارك لـي هنتـر ولـوك سـينجرز. القصـة تـروي الحقائـق: بنـاء السـرد الاسـتقصائي. مركـز الصحافة الاستقصائية، لندن ٢٠١٢).
سـنوضح فيمـا يلـي كيفيـة إرشـاد الطـلاب أثنـاء عمليـة إعـداد الملـف الرئيسـي أو قاعـدة البيانـات لتنظيـم عملهم، إذا كنت تفضل هذه الصياغة.

[٦] انظر الكتاب، الصفحات ٢٢٢-٢٢٧.

يرجى ملاحظة أمرين:

1. هذا ليس المنهاج الوحيد الذي يمكن للطلاب أو المحترفين استخدامه في تنظيم البيانات التي يجمعونها أثناء الاستقصاء. وأحد الاكتشافات الواردة في سجل الصحافة الاستقصائية العالمية – The Global Investigative Journalism Casebook يكمن في أن المحررين المستقلين نجحوا في تطوير عدد من تلك المناهج التي قد ترغب في مراجعتها حتى تتعرف على تنوع أساليبهم.

يتجلى هنا أمر لا يقبل الجدل، ألا وهو أن المحترف المتميز في هذا المجال يقوم بتنظيم البيانات أثناء إجراء الاستقصاء، ولا ينتظر حتى نهاية التحقيق ليقوم بعملية التنظيم. وهذا هو المبرر لتكليف طلابك بضرورة تعلم منهج واحد على الأقل لتنظيم المعلومات التي يجمعونها أثناء إجراء التحقيق، وسيكون الأمر أكثر فائدة لو تعلموا منهجين اثنين. ويفضل أن يكون المنهج الذي ستقدم على تعليمهم إياه، قد استخدمته أنت شخصياً – المحاضر – ويمكن استخدامه في بناء قاعدة بيانات.

2. أغلب الظن أن طلابك لن يستوعبوا منهجاً واحداً في محاضرة واحدة؛ أنت فقط ستشرح لهم تصميم العملية وهم سيتعلمون القيام بها بتتبع خطوات التصميم. ومع ذلك سيكون لديك فرصة كبيرة لتذكير الطلاب بأهميتها ومراقبة تقدمهم في إعدادها. من فضلك أوضح لهم أن الملف الرئيسي هو أيضا أداة لإدارة مشروعهم الاستقصائي منذ البداية. كما أنه سيمكنهم ويتيح لك أيضا رؤية تقدمهم في العمل في أي لحظة.

مع مراعاة تلك العناصر، نقترح أن يتم تنظيم المحاضرة على النحو التالي:

1– مقدمة (٢٠ دقيقة)

يمكنك بدء هذه المحاضرة بسؤال الطلاب: إن الصحفي أيضا جامع للمعلومات، فما المعلومات التي يجمعها؟
ستشتمل الإجابات على ما يلي: أفكار، أسئلة، وثائق، أرقام تليفونات، تصريحات، حوارات، رؤى، مهام، ملاحظات، توصيفات، نقد...الخ.

يمكنك الآن أن تشرح:

- من المحاضرة السابقة، فمقترحات تحقيقك الاستقصائي تحتوي على كم كبير من المعلومات. والأكثر من ذلك أنه مع بدء عملية الاستقصاء، ستتراكم المعلومات بسرعة وتتكدس بسرعة بشكل يفوق ما لديك ، ما يعني أننا لا بد من أن نبدأ عملية التنظيم الآن حتى لا نفقد شيئا أو ننسى ما هو موجود لدينا بالفعل.

- بدلاً من ترك كل تلك المعلومات في ملفات منفصلة وعلى أجهزة مختلفة (مثل ترك أرقام التليفونات على هاتفك الذكي فقط) سنقوم بدمج كل شيء في ملف واحد، ونسميه الملف الرئيسي، لأنه يمكّننا من السيطرة على المادة التي لدينا أثناء إجراء التحقيق، وحتى في المستقبل بعد الانتهاء من الاستقصاء بفترة طويلة، سيمكّننا الملف الرئيسي من إيجاد المادة التي جمعناها بسرعة.

- بدلا من شراء برنامج قاعدة بيانات مكلف، سنقوم ببناء قاعدة بيانات خاصة بنا. سنفعل ذلك باستخدام تطبيق معالج النصوص الخاص بميكروسوفت MS Word أو Open Office (أو أي معالج نصوص آخر يتميز بثراء خصائصه). وذلك لأنه متاح على كل أجهزة الكمبيوتر وله وظائف عملية يمكننا استخدامها، مثل وحدة البحث وإمكانية عمل وصلات تشعب.

- الميزة الأساسية من جمع كل شيء في ملف وورد (Word) هي أننا سنقوم بالفعل ببناء التحقيق أثناء عملية البحث. فالملف الرئيسي يدمج العمليتين معا.

٢- بناء الملف الرئيسي (٣٠ دقيقة)

كلف الطلاب بفتح ملف جديد على معالج النصوص (Word Processor) في أي جهاز كمبيوتر في متناول أيديهم. وإذا أردت، يمكنك فتح ملف على جهاز كمبيوتر متصل بجهاز عرض وبذلك يستطيع الطلاب متابعة خطواتك على الشاشة.
يمكنك أن تقول لطلابك: عندما نضع الجدول الزمني "التايم لاين"، نكون بذلك قد وضعنا هيكلاً زمنياً للتحقيق الاستقصائي الذي نعمل عليه، وذلك قبل أن نستخدم هذا الهيكل الزمني كعمود فقري لقاعدة بيانات. وسنبدأ بالفرضية والترتيب الزمني

- أكتب الفرضية أعلى الوثيقة الجديدة. نوصي باستخدام فرضية أحد الطلبة التي نوقشت في المحاضرة السابقة. إذا كان جميع الطلاب يعملون على أجهزة كمبيوتر، يمكنهم استخدام فرضياتهم الخاصة.

- يمكن للطلاب أن يدخلوا الجدول الزمني المحتمل (المتوقع) أسفل الفرضية.ويمكنك أن تشرح لهم قائلا: "هذه هي بداية بناء الهيكل الزمني. سنقوم الآن بإدخال المعلومات في هذا البناء".

- يمكن للطلاب الآن ترك مساحة بيضاء في الهيكل الزمني عقب كل حدث.

- في حال معرفة تاريخ وقوع حدث بعينه، يدخل الطلاب هذا البيان في الملف. ويشمل التاريخ والسنة والشهر واليوم أو حتى ساعة وقوع الحدث. بمعنى آخر، يجب أن يكون الأمر محددا قدر الإمكان. ويمكن استخدام أية صيغة معروفة لكتابة التاريخ، ولكن يجب أن تكون ثابتة وموحدة حتى تمكن الطالب أو الصحافي من البحث عن تاريخ بعينه على نحو فعال.

- يلي ذلك قيامهم بإدخال وصف كامل للمصدر الذي أعطى معلومات عن هذا الحدث في المساحة البيضاء الجديدة التي أدخلوها. سيساعدهم هذا الأسلوب في الاحتفاظ بمعلوماتهم ومصدرها معا. يمكنك أن تؤكد لهم: ينسى أكثر المحررين الاستقصائيين أحيانا الخبرة التي حصلوا من خلالها على معلومة ما، وبهذا لن يستطيعوا استخدامها في تحقيقهم إذا لم يتأكدوا من مصدر وحيثيات المعلومة. هذه هي المشكلة التي نحن بصدد حلها الآن حلا جيدا قبل سرد القصة بشكل نهائي.

١. يمكن أن تأتي المعلومة من وثيقة ما ، كمقال في جريدة أو تقرير رسمي؛ في هذه الحال، يكتب الطلاب العنوان واسم المؤلف وتاريخ الوثيقة. يمكن لمثل هذه المصادر أن تعنون في الملف بكلمة DOCUMENT: لتسهيل عملية البحث عنها باستخدام وظيفة (Control+F).

لاحظ أنه يمكن استخدام أي مصطلح لتمييز هذا المحتوى. ولا يقتصر الأمر على مصطلح DOCUMENT، ومع ذلك وأيا كان المصطلح المستخدم فيجب أن نثبت استخدامه عبر الملف كله، فلا جدوى من عمل قاعدة بيانات لم نتوافق على استخدام المصطلحات فيها وتعميمها. كما أن المصطلحات المستخدمة يجب أن تختلف عن المصطلحات المستخدمة في القاموس حتى نتجنب نتائج البحث المغلوطة. ولهذا نقترح إضافة أشكال خاصة في آخر المصطلح (مثل علامات الترقيم ":").

٢. أو قد تكون المعلومات عبارة عن تصريحات أدلى بها مصدر حي للصحفيين؛ في هذه الحالة يعرّف الطلاب المصدر بالاسم والوظيفة التي يشغلها مع ذكر بيانات الاتصال (أرقام التليفون - عنوان البريد الإلكتروني - الموقع ...إلخ). كما يذكرون أيضا موعد ومكان إجراء الحوار. يمكن أن تشرح للطلاب أنه بتدوين هذه المعلومات بجوار المصدر فإننا نضمن دائما معرفة كيفية العثور على الشخص عندما نحتاجه لطرح سؤال جديد.

- سواء كان المصدر وثيقة أو حوارا، يمكن للطلاب الآن إضافة مقتطفات ذات صلة بموضوع التحقيق. يمكن إضافة بيانات اتصال أخرى لها علاقة بالحدث أسفل المدخل تحت مصطلح LOG:، يتبعها المحتوى الذي عثر عليه لاحقاً. يكمن السبب وراء جمع هذه المعلومات أنها تمكن المحرر من تتبع الرسائل المتبادلة مع المصادر.

- إذا كان للصحافي معلومات ورؤى خاصة حول المعلومات الواردة من المصدر، فيمكن إضافتها للحدث كملحوظة: NOTE. لا تنس التأكيد على طلابك أن مثل هذه الرؤى تعد محتوى عالي القيمة. ننصح الطلاب بضرورة حمل ورقة وقلم من أجل تدوين الرؤى ذات الصلة بالاستقصاء، على أن يقوموا بإدخال هذا المحتوى للملف الرئيسي بمجرد أن تتاح لهم الفرصة.

- ختاما، إذا كان يلزم البحث عن مزيد من المعلومات أو القيام بمهام أخرى، فيمكن للمحرر أن يدخل هذا المحتوى تحت مصطلح يجب عمله: TO DO.

فيما يلي مثال مأخوذ من استقصاء قام به لوك سينجرز وزملاء له، إذ قمنا بإدخال كل فئات البيانات التي سبق شرحها، علما أنه ليس كل مدخل في الملف الرئيسي يتطلب كل الفئات.

يوليو 2003: علماء بيولوجيا شهود على كيميائيات تؤدي إلى تشويه الخلايا البشرية
حوار مع البروفيسورة أنا سوتو أستاذة الخلايا البيولوجية في جامعة تفاتس، باريس، 21 أكتوبر 2005
Tel:+443455662, soto.a@tufts.edu

كنت مشتركا مع زميلين في البحث عن تأثير هرمون الإستروجين – الهرمون الانثوي – وتسببه في سرطان الثدي. كنا نعلم أن الخلايا السرطانية تنتشر في أنابيب الفحص عندما تتصل بهرمون الاستروجين. ولكن لدهشتنا، حدث ذات الشيء في غياب الاستروجين. أمر لا يصدق! وتماماً مثل المحقق الشهير شارلوك هولمز بدأنا بالبحث عن المسبب، إذ درسنا بعناية جميع مراحل الاختبارات وفحصنا لك المعدات. بعد شهور من البحث، أقلعنا عن تلك القضية، بعد أن اكتشفنا أن هرمون الاستروجين كان منشأه أنابيب الاختبار لدينا"!
دفتر أحوال: LOG: 2005/1/11 ويرجى إرسال رسالة إلكترونية للتأكيد على مستخلصات الحوار.

"القلويات لدى المواليد" في بيئة صحية، عدد 5 مايو 2005
"حتى التعرض الطبيعي للدائن يمكن أن يؤثر سلباً في نمو الاعضاء التناسلية للمواليد الذكور. الأمهات اللائي يعانين من ارتفاع نسبة القلويات في البول خلال الحمل يلدن في الغالب أطفالا ذكورا يعانون من عدم اكتمال الذكورة لديهم".
ملحوظة: "هذه هي المرة الأولى التي يؤكد فيها عالم على العلاقة بين منتجات البلاستك المستخدمة في أنابيب المياه وبين كيميائيات معينة مضرة بالصحة".
ما الذي يجب عمله: البحث في قواعد البيانات العلمية عن مزيد من الدراسات.

مع التقدم في إجراء التحقيق سيكتشف الطلاب المزيد من الأحداث المرتبطة بموضوعهم، فيربطون كلا منها في مكانه المناسب بالجدول الزمني وبالتفاصيل اللازمة لطبيعته. سيمتد الهيكل الزمني الأولي ليشمل كل هذه الأحداث الجديدة. بعض هذه الأحداث التي سبق أن وضعناها في صورة فرضية قد تتغير أو يتم إبدالها بغيرها، وستنبثق أحداث لم نتخيلها. سنرى القصة تتجلى أمام أعيننا، ونحصل على الحقائق التي تثبتها.

إنه ليس عملاً فنياً بالمعنى الدقيق، سيتعلم الطلاب بالممارسة كمية المحتوى اللازمة لنقاط بعينها من أجل فهم وصياغة قصة ما. أما ما لا يمكنهم تجنبه فهو عملية وضع المحتوى الذي حصلوا عليه وفق ترتيب زمني مصحوب بالدليل على صحته أثناء القيام بعملية جمعه.

٣- تدريب (٢٠ دقيقة)

بمجرد أن تشعر أن الطلاب قد اكتسبوا المبادئ الأساسية، أطلب منهم إدخال مصادر أو ملاحظات أو مهام للقيام بها في الهيكل الزمني لمقترحات تحقيقاتهم وذلك في غضون ١٥ دقيقة. وإن كانوا على علم بأحداث قادمة (مثل محادثة مع مصدر) أو بيانات (تشمل الأفكار) وقعت في حوزتهم منذ كتابة المقترح، أطلب منهم إدخالها. ثم راجع عملهم بسرعة لمعرفة ما إذا كانوا يحافظون على ترتيب المحتوى. وعليهم أن يفهموا أن الملف الرئيسي هو طريقهم للعمل وليس صندوق نفايات.

٤- أسئلة تتردد بشكل متكرر (٢٠ دقيقة)

عادة ما يسأل الطلاب مجموعة من الأسئلة بشأن هذه العملية، أو يفكرون فيها ولا يجرؤون على طرحها. إليك أكثرها تكرارا:

- أليس هذا كما كبيرا من العمل الزائد؟

رغم أن هذا المنهج لا يستخدمه جميع الصحافيين، إلا أن كل صحافي محترف عالي الكفاءة لا بد وأن يستخدم منهجا ما في التنظيم. إن أرادوا القيام بجهد إضافي حقيقي، اطلب منهم قراءة كراسة الصحافة الاستقصائية الدولية (The Global Investigative Journalism Casebook) ليروا ما إذا كان هناك منهج آخر يلائمهم بشكل أفضل، ويمكنك تكليفهم بعرض هذا المنهج في المحاضرة التالية للمناقشة.

يمكنك أيضا أن تشرح للطلاب أن عمل قاعدة بيانات توفر عليهم العديد من ساعات العمل والكثير من القلق. سيقوم الطلاب عاجلا أو آجلا بإدخال المحتوى في ملف إلكتروني من أجل كتابة القصة. فيما بعد سنعرض عليهم أنه بوضع المحتوى في ملف إلكتروني – وبمجرد جمعه أولا بأول- فإن الكتابة تصبح عملية أسهل كثيرا. وستغدو أيضا أقل إزعاجا، إذ سيرى الطلبة كيفية اكتشافهم للحقائق بما يشعرهم بالثقة، ويشعرك بنفس القدر- كمحاضر – بالثقة بشأن أداء طلابك.

- ما هو المقدار الذي نستخلصه من حوار أو وثيقة لإدخاله في الملف؟
يستطيع للطلاب وضع القدر الذي يشاؤون من هذه المصادر في الملف. يمكن حفظها على (الديسك) أو أي وسيط إلكتروني آخر. كما يمكن للطلاب عمل روابط hyperlinks للوصل بين توصيف الوثيقة والوثيقة المحفوظة نفسها. وبهذه الطريقة يمكنك الانتقال بسرعة من الملف الرئيسي إلى الوثيقة الأصلية إذا أردت مراجعة شيء ما.

- ماذا عن المصادر السرية؟ هل يجب أن تكون في قاعدة بيانات؟
هذا سؤال جيد وإجابته هي: لا تدخل أبدا إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بك أي شيء قد يهدد مصدراً سرياً. المصادر السرية الحية يجب الرجوع إليها بأسماء رمزية، والوثائق السرية (بما فيها نص الحوار) يمكن الاحتفاظ بها في مكان آخر، على سبيل المثال، في خزنة على الإنترنت تحت حماية كلمة سر قوية.

- ماذا بشأن قاعدة بيانات الإحصاءات والجداول؟ هل ندخلها أيضا؟إذا كانت تلائم الملف، لم لا؟ وإلا يمكنك تلخيص مقتطفات ووضع وصلة تشعبhyperlink للأصول.

يمكنك أن تخبر طلابك أنه من الآن فصاعداً، يجب حفظ كل الأفكار الناتجة عن المناقشات بشأن قصصهم تحت ملحوظة NOTE في الملف الرئيسي. ويجب أن تنصحهم أيضا، سواء كانوا يركزون على القصة أم لا، أنه ستعترضهم معلومات ذات صلة بها، و يمكن أن تحفظ هذه المعلومات أيضا داخل الملف الرئيسي. وهكذا سيبنون قصصهم قطعة بقطعة، وذلك بناء على الزمن الذي تتضمنه مقترحاتهم. وعندما يراجعون قصصهم فسيجدون أن ما يعرفونه منظم بدقة متناهية، وبذلك يمكنهم التركيز على ما لم يعرفوه بعد.

الفصل الثالث عشر

جمهور الصحافة الاستقصائية وقيمها وأسواقها

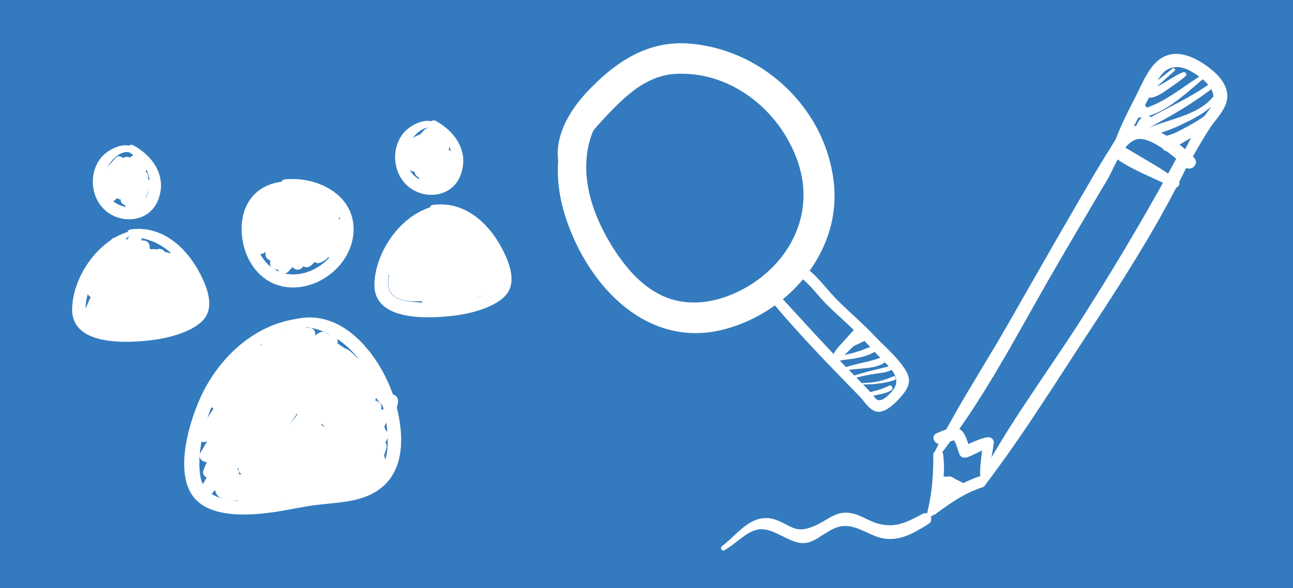
/ساعة ونصف

قراءة تمهيدية للطلبة:

مارك لي هنتر ولوك إن. فان واسينهوف، (٢٠١٠). "تقنيات أخبار مدمرة: الفاعلون الإعلاميون ومستقبل نماذج عمل صحافة المراقبة"
تشارلز لويس: "الأهمية المتزايدة للصحافة غير الربحية" كامبريدج إم أيه: مركز جوان شورينشتاين للصحافة والسياسة والسياسات العامة، مدرسة جون إف كنيدي للإدارة الحكومية بجامعة هارفارد (٢٠٠٧). عبر الرابط:
http://shorensteincenter.org/wp-content/uploads/2012/03/2007_03_lewis.pdf

جي لوسبي "رواد الأعمال المستنيرين". دي+سي ٣١ يناير ٢٠١١ عبر الرابط (يمكن تنزيل نسخة PDF):
http://www.dandc.eu/en/article/business-daily-young-kenyan-newspaper-helps-improve-economic-fortunes

رامة نجمة "مرضى الفشل الكلوي في سورية يعانون من تدني الرعاية الصحية" عبر موقع شبكة أريج
www.arij.net



سنتعامل في هذا الفصل مع جوانب نظرية وعملية تتيح للصحافة الاستقصائية – بناءً عليها– أن تشكل قيمة مضافة في المجتمع. ونجيب أيضا عن سؤال: كيف يمكن لصحافيي الاستقصاء أن يحققوا هذا الهدف. والأسئلة الجوهرية التي ينبغي طرحها والإجابة عنها هنا هي:

- ما هي القيمة المضافة التي تخلقها صحافة الاستقصاء؟
- من الذي يمكن أن يحقق هذه القيمة؟

(أولا) القيمة المضافة للإستقصاء

الرأي العام يحترم كشف المظالم وفضح مرتكبيها:

(أ) خلق مواطنين واعين

طرح جيمس ماديسون (أحد كبار واضعي الدستور الأمريكي) الحجّة الكلاسيكية المؤسسة للصحافة المستقلة في الديمقراطيات عندما كتب إلى صديق: "المعرفة ستحكم الجهل إلى الأبد، والشعب الذي يريد أن يحكم نفسه، يجب أن يتسلح بالقوة والسلطة التي تمنحها المعرفة".[١] كما يتساءل تشارلز لويس أحد كبار المحققين الصحافيين:[٢] "إلى أي مدى يمكن لديمقراطية أن تحيا من دون مواطنين على وعي ومعرفة".[٣] والإجابة تكمن بالتأكيد بوجود معلومات صحيحة حول ما يفعله القادة مقابل ما يقولونه في تصريحاتهم أو ما يعدون ناخبيهم بتحقيقه في حال فوزهم مثلا في الانتخابات التشريعية، ومن دون ذلك لا يمكن أن تقوم ديمقراطية. وقد يجادل بعض الطلبة أنه حتى في حال معرفة الشعوب أن قادتهم فاسدون أو غير أكفياء، فإنهم لن يستطيعوا تغيير الواقع. وهذه حجة ساذجة. وفي هذه الحالة، يجب على المحاضر تذكير الطلبة بأن أنموذج التحالف في الاستقصاء سيكون بمثابة إنذار للقوى المجتمعة، بغض النظر عما إذا كانت هناك استجابة رسمية حيال ما يكشفه الاستقصاء أم لا.
فهذه القوى المجتمعة – والتي ستكون مصادر في الوقت ذاته– تتحالف مع الصحافي في تحقيق الإصلاح. وفي المقابل، فإن استشعار الأشخاص ذوي الشجاعة بأن الصحافي الاستقصائي يقف إلى جانبهم، سيجعلهم حلفاء ذوي وزن في السعي معه نحو الإصلاح، وبذلك تزداد المخاطر على الفاسدين وتزيد احتمالات تعرضهم لانكشاف نقاط ضعفهم أمام الرأي العام.
وقد لا يعير الفاسدون أهمية لذلك، بخاصة إذا كانوا في السلطة ومتمكنين منها. ولكن الأمثلة التي سجلّت في السنوات الأخيرة في تونس ومصر وأوكرانيا تشير إلى أنه حتى جداول الماء الصغيرة يمكنها أن تنحت الصخر.
يقول أمارتيا سن الاقتصادي الهندي الحائز على جائزة نوبل إن الإعلام المستقل يحدّ من قدرة القادة على ارتكاب الأخطاء والتجاوزات. كما يصعّب مهمتهم في إخفاء عواقب تلك الأخطاء، على غرار ما حدث عقب حصول الهند على استقلالها وإعلامها الحر. ويؤكد أمارتيا سن أن الصحافة الحرة والمعارضة السياسية النشطة هما أفضل جهاز إنذار مبكر لأية دولة مهددة بالمجاعات.[٤]

[١] يمكن الاطلاع على رسالة جيمس ماديسون الى دبليو.تي. باري في ٤ اغسطس/اب ١٨٢٢، عبر هذا الرابط:
http://press-pubs.uchicago.edu/founders/documents/v1ch18s35.html

[٢] من بين أمور أخرى، أسس لويس مركز النزاهة العامة (www.publicintegrity.org)، وهو واحد من أولى مؤسسات الصحافة الاستقصائية غير الربحية، والاتحاد الدولي للصحفيين الاستقصائيين (www.icij.org).

[٣] تشارلز لويس "الأهمية المتزايدة للصحافة غير الربحية"، كيمبريدج، إم أيه: مركز جون شورينشتاين للصحافة والسياسة والسياسات العامة، مدرسة جون إف كينيدي للحكومات، جامعة هارفارد (٢٠٠٧).عبر الرابط:
http://shorensteincenter.org/wp content/uploads/2012/03/2007_03_lewis.pdf

[٤] أمارتيا سين "التنمية باعتبارها حرية"، مطبعة جامعة أوكسفورد ١٩٩٩.

(ب) قيمة القطاعات السكانية في المجتمع

فيما يتعلق بكل الأخبار الصالحة للبيع (٢٠٠٤)، يوضح جيمس هاملتون[٥] أن القطاعات السكانية في الولايات المتحدة تتشارك في اهتمامات واحدة بغض النظر عن الوسيط؛ سواء كان تلفزة، مطبوعة، إذاعة أو إنترنت:

- فيما يتعلق بأخبار السياسة والرياضة والأعمال، فإن القطاع الأكبر من الجمهور - و ليس جلّه - ذكوري.
- فيما يتعلق بأخبار التعليم والصحة والتغذية، فإن القطاع الأوسع أنثوي.

وقد كان لهذا الكشف انعكاسات تسويقية على صحافة الاستقصاء بصفة عامة، ويترتب عليه انعكاسات مشابهة على الطلبة. ففي عدة أسواق محلية، يركّز الاستقصاء على السياسة والأعمال– وهما مجالان مهمان– ولكنهما ليسا الوحيدين على رأس أولويات الجمهور، وبالأخص النساء. تاريخيا، فإن شكل المجلات والإذاعة استهدف دائما النساء في المقام الأول، وبالتالي، أصبحا هدفا للصحافيين الاستقصائيين في مجال الصحة والتعليم. وهذا يوجب على الطلبة أخذ هذه الوسائط الإعلامية بجدية، إذا لم يكونوا قد أخذوها بالفعل.

وبالطبع، فإن المعاناة من الظلم بصفة عامة هي همّ المجتمع ككل. ولكن من منظور فردي، فإن قصصاً معينة هي التي تهم أشخاصا بعينهم أكثر من غيرهم، ما يمثّل أهمية خاصة لجماعات المنتفعين والتي تحدثنا عنها سابقا، كما سنناقشها في هذا المقام.

(ج) القيمة المؤسسية لجماعات المنتفعين

وفق نموذج التحالفات، ستكون الحاجة للاستقصاء أكثر إلحاحاً وأهمية ومنفعة لجماعات المنتفعين، بخاصة مع وجود معارضة نشطة، كما يوضح الاقتصادي الهندي البارز سابقا. وفي هذا المقام، على المحاضر توضيح هذه النقطة من خلال قصة كهذه:

"يفتقر مرضى الفشل الكلوي في سورية إلى الحد الأدنى من الرعاية الصحية، وهو الوضع الذي كان سائداً حتى قبل اندلاع الحرب الأهلية، ما يشير إلى عدم الاستثمار في معدات المستشفيات للتخفيف من معاناة هؤلاء المرضى والتقليل من معدلات الوفاة المبكرة".

وهنا يطرح المحاضر السؤال: "لنفترض أن هذه القصة واقعة في دولة لا تعاني من حرب أهلية، من سيهتم بها؟". يجب أن لا تكون الإجابة: "الجميع"، بل يفترض أن تكون أكثر تحديدا. الإجابات الصحيحة تشمل:

[٥] انظر: جيمس هاملتون، "كل الأخبار القابلة للبيع: كيف يحول السوق المعلومات الى أخبار". مطبعة جامعة برينستون ٢٠٠٤.

- من يعانون من أمراض كلوية وعائلاتهم وأصدقاؤهم.

- الأطقم الطبية المكلفة بعلاج هؤلاء المرضى بحيث تدرك النواقص لديها.

- القادة السياسيون الذين لا يرغبون في حدوث فضيحة.

- موظفو وزارة الصحة المعنيون بوضع موازنة واتخاذ قرارات بشأنها، والذين يمكن أن يتفقوا أو يختلفوا حول مثل تلك القرارات ونجاعتها.

وهنا يسأل المحاضر: كيف يمكن للقصة أن تغير من هذا الوضع؟
الإجابات السليمة: بعقد مقارنات مع دول أخرى يمكن للقصة أن تظهر أن سورية لم تستثمر في هذا القطاع.

- بإثارة الانتباه إلى كيفية إنفاق وزارة الصحة للميزانية، ما سيضعها في خانة الدفاع؛ فلن تتمكن الوزارة من الإدعاء بأنها بذلت قصارى جهدها لحل المشكلة.

- إذا عادت المشكلة للظهور في المستقبل، لن يتمكن المسؤولون من حلها بزعم أنهم لم يدركوا وجودها. تستخدم وسائل الإعلام الرقمية حاليا منهجاً مبنياً على مصلحة جماعة أو جماعات من المنتفعين من أجل خلق قيمة مضافة لمستخدميها. وعلى المحاضر أن يستخدم أمثلة على هذه الوسائل في دولته، ثم يسأل عن جماعات المنتفعين التي تمثّلها والتي تركز في الغالب على مجالات محددة مثل الصحة، قطاع الأعمال أو الحوكمة الرشيده؟ وإذا كانت تلك الوسائل غائبة، فإن ذلك يمثل فرصة عمل للطلبة لكي يملأوا هذا الفراغ. وقد شرعت منظمات غير حكومية بمثل هذه التحقيقات الاستقصائية في المجالات والقضايا المعنية بها. وهي تتعاون غالبا مع صحافيين في البحث والكتابة، وهي مجالات عمل مشروعة للصحافيين بشرط أن يدركوا خطورة حدوث تعارض للمصالح مع مستخدميهم من هذه المنظمات بالإضافة إلى مصادرهم. ويمكن للمحاضر أن يطلب من طلابه أن يبحثوا في موقع إحدى المنظمات غير الحكومية التي نشرت تقارير عن دولتهم وأن يحللوا تلك التقارير: ما هي المصادر التي بنيت عليها هذه التقارير، وهل يمكن التأكد مما يقولونه؟ هل التقارير مكتوبة أو مصورة صحفيا بشكل مهني؟ في هذه الحالة، يمكن دعوة ممثلين عن تلك المنظمات للحديث أمام الطلبة في الفصل، والتركيز في المناقشة على مناهج البحث التي يستخدمونها وكيف يعملون ويتعاونون مع الصحافيين.

(ثانياً) القيمة الاقتصادية للإستقصاء بالنسبة للأفراد

يمكن للاستقصاء أن يسفر عن قيمة اقتصادية للأفراد أو للمشروعات وللمجتمعات، وهو المبدأ المترسخ في صحافة الاستقصاء.

(أ) ميّزات الأخبار الاستقصائية لقطاع الأعمال

تتمثل هذه الميّزات في الحصول على معلومات موثوق بها تكون أساسا للتحرك واتخاذ القرارات، بما يقلل من مخاطرها على المستثمر أو أي منشأة. أول مطبوعة في هذا السياق كانت في انجلترا في القرن السابع عشر، إذ اعتمدت على الاشتراكات لتوفير معلومات خاصة بأحداث حصلت في أوروبا كانت تؤثر في أنشطة الأعمال في إنجلترا. وكان المشتركون يدفعون اشتراكات باهظة للحصول على تلك المطبوعة التي كان يمكنها أن تؤثر في ثرواتهم[٦] بدلا من الاعتماد على البيانات الرسمية للحكومة فقط. فحتى لو افترضنا قيام الحكومة بتزويدهم بالمعلومات الصحيحة، فإنها قد تأتي متأخرة ما سيجعلها متاحة لعدد أكبر من الناس، وبالتالي قد يحرمهم ذلك من تحقيق مكاسب مادية. وحتى الآن، هناك نشرات وصحف ومجلات تستهدف صناعات معينة مقابل اشتراكات مرتفعة.

جيني لوسبي، مدرب ومساهم في تأسيس صحيفة بزنس ديلي في نيروبي (كينيا) يصف كلفة عدم حيازة المعلومات الصحيحة للأعمال في الدول النامية: "في غالبية الأسواق الصاعدة، تتوفر بالكاد حزم معلومات حول ماهية الأسواق الصاعدة وتلك غير الصاعدة. كما أن كتابة تقارير حول الأسعار تظل ضعيفة بدءا من المواد الخام وصولاً إلى المنتجات النهائية". وكذلك الأمر "بالنسبة للأجور أو الإيجارات، ما يمثل نقصاً شديداً في المعلومات التي يحتاجها رجال الأعمال والمستثمرون في تلك الدول، وبالتالي يصعّب آلية اتخاذ القرارات السليمة فيما يتعلق بالآتي:

ما هي النشاطات الحالية التي تدر أعلى الأرباح؟ ما هي الأعمال الأسرع نمواً؟ ما هي القطاعات التي تعاني من زيادة الطلب؟ ومن هم المنافسون المحتملون في الخارج؟ وقبل ظهور صحيفة البزنس ديلي، لم يقم أحد بتغطية أي من هذه القضايا في نيروبي. وهذا السبب – في رأي ليوسبي– أدى إلى فراغ معلوماتي أتاح الفرصة للمصنعين الصينيين للاستحواذ على جانب كبير من التجارة الدولية لكينيا في مجال الزهور، أحد أهم صادرات كينيا. فلو أدرك المستثمر في مجال تصدير الزهور التهديد القادم من الخارج، لكان بإمكانه وضع استراتيجية أفضل بما يحقق له أرباحا أعلى".[٧]

وقد يندهش طلبة من فكرة أن الاستقصاء يمكن أن يخدم مصالح اقتصادية. وفي هذه الحالة، ينبغي على المحاضر اعتبار أن مثل هذا النشاط لا غبار عليه، كما أنه لا غبار على تقديم معلومات صحيحة في قالب صحافي يمكن أن تؤدي إلى ازدهار رجال أعمال.[٨]

[٦] انظر: جوزيف فرانك "بدايات صحيفة انجليزية"، مطبعة جامعة هارفارد ١٩٦١.

[٧] راجع: جي لوسبي "رواد اعمال مستنيرون"، دي+سي، ١٣ يناير/كانون الثاني ٢٠١١ عبر الرابط:
http://www.dandc.eu/en/article/business-daily-young-kenyan-newspaper-helps-improve-economic-fortunes

[٨] من اجل آخر أعمال جروبلر انظر:
www.journalism.co.za/blog/angolas-chinese-built-rail-link-scramble-access-regions-resources/

(ب) الاستقصاء وحماية المستهلك:

وهناك شكل آخر للاستقصاء يمكن أن يحقق فائدة اقتصادية خاصة على مستوى الأفراد، وهو المساعدة في تجنب الغش التجاري. ولعل من الأمثلة على ذلك تحقيق باري يومن الحائز على جوائز، حول مدارس غير مؤهلة تخدع الطلبة بتقديم تعليم أقل من المستوى وتغرقهم في الديون لسداد الرسوم. وبالمناسبة يمكن تنفيذ هذا النوع من التحقيق في جميع دول العالم.[٩]

نموذج آخر هو ذلك التحقيق الذي نفذته (البزنس ديلي) وكشفت فيه عن الفساد في بورصة نيروبي، حيث شهدت معاملاتها تحطم آلاف المستثمرين بسبب ممارسات فاسدة لسماسرة البورصة. تلك القضية دفعت العديد من المستثمرين للإحجام عن الاستثمار في كينيا. وكان من الممكن تواصل تلك الممارسات، كما يرجّح أن السلطات كانت ستتسامح[١٠] إزاءها لولا هذا الكشف من (البزنس ديلي).

وسيبقى الاستقصاء في قضايا المستهلك – مثل المنتجات الفاسدة والاحتيال في الإقراض وخدمات التعليم والصحة - من الأشكال الصحافية الرئيسة. وقد يعتقد طلبة بأن هذا اللون من الاستقصاء أقل أهمية أو قيمة من الاستقصاء الذي يكشف عن الفساد والظلم، إلا إنهم يجب أن يعلموا أن المستهلكين هم أيضا ضحايا للظلم. كما أن هذا النوع من الاستقصاء يحسّن من حياة الجمهور بشكل سريع. ويجب أن يستغل المحاضر هذه الفرصة لكي يطلب من بعض الطلبة تنفيذ مشروعات التدريب في مجال الاستقصاء حول قضايا المستهلك.[١١] هنا يذكّر المحاضر الطلبة بأن الاستقصاء يعني الحصول على المعلومات ثم التحقق منها، وليس فقط مجرد الكشف عن أسرار. فبمجرد توفير معلومات صحيحة لا يستطيع الجمهور التحقق منها بنفسه، فإننا نحقق له قيمة مضافة.

(ج) استقلال الإعلام كأصل استثماري:

النموذج الكلاسيكي: "صحافة جيدة تعني استثمارا جيدا"

جيمس برينر، الباحث المتميز في نماذج الاستثمار في وسائل الإعلام الجديدة، يعرّف النموذج الكلاسيكي لصحافة الاستقصاء وما تضفيه من قيمة للمهنة: "عندما كنت رئيسا لتحرير صحيفة (بزنس فيرست أوف كولومبوس)، نشرت الصحيفة تحقيقا حول تلاعب قام به أحد البنوك في الخفاء. وأفضى التحقيق إلى وقف تلك الممارسات، لكن البنك ألغى عقوده الإعلانيه مع الصحيفة. وكان رد فعل الناشرة كارول ويليامز نموذجاً، إذ أن تأثر الإيرادات لم يدفعها لخفض العمالة أو أي شيء آخر، قائلة: لدينا معلنون آخرون، والتحقيقات الاستقصائية تدعم مصداقيتنا بما يدفع المعلنين إلى البحث عنا. بمعنى أن الصحافة الجيدة تعني استثمارا مربحا، وهذه الأرباح هي التي تحمي سياستنا التحريرية المستقلة.[١٢] هذه المعادلة ليست أمريكية كما قد يعتقد بعض الطلبة، إذ أكدتها دراسات أجريت على صحيفة (كييف بوست) الأوكرانية[١٣] وعلى (مجموعة نيشن) الإعلامية في كينيا.

[٩] أنظر: باري يومان "مدرسة الطرق الصعب – The School of Hard knocks"، كتيب، الصفحات ٢٨–٤٠.

[١٠] سنعرض إحدى القضايا الخاصة بجامعة انسياد لـ مارك لي هنتر ولوك إن.فان واسينهوف لاحقاً في هذا الدليل كما ستكون متاحة على هذا الرابط: www.thecasecentre.org

[١١] مارك لي هنتر ولوك إن.فان واسينهوف "تقنيات اخبارية مدمرة: الفاعلون الاعلاميون ومستقبل نماذج صحافة المراقبة". جامعة أنسياد ٢٠١٠ الصفحات ٢٠–٢٢.

[١٢] انظر الرابط: http://newsentrepreneurs.blogspot.com/2011/04/5-dirty-words-journalists-have-to-learn.html

[١٣] مارك لي هنتر ولوك إن.فان واسينهوف، كي بي ميديان حالة انسياد ٢٠١٣

فبصفة عامة، كل سوق يدعم على الأقل مصدرا موثوقاً به في المعلومات الموجهة إلى كل مجموعة من المنتفعين في المجتمع. وفي الوقت الذي قد يصيب تحقيق استقصائي أحد هذه المجموعات بالغضب، فإن الأخرى ستظل تقدّر ضرورة هذا العمل، بشرط أن يتم بشكل منصف ومهني. وعلى العكس من ذلك، فإن المنتفعين سرعان ما يدركون تحول الاستقصاء إلى تحقيق مكاسب حزبية أو شخصية. وقد يستمرون في متابعة هذه الوسائل، إلا إنهم لن يدعموها ولن يصدقوها، ما يشكّل خسارة لقيمة الوسيلة وصحفييها ومالكيها على المدى الطويل. وهذا مثال على ذلك:

تم تأسيس (مجموعة نيشن) الإعلامية في كينيا خلال عقد الستينيات من القرن الماضي بإعتبارها صوتاً لجماهير كينيا. وحققت المجموعة انتشاراً وتوزيعاً هائلاً في مواجهة منافسيها الذين دعموا القوى الاستعمارية السابقة. إلا أن المجموعة فشلت في عقد الثمانينيات في التحقيق في جريمة اغتيال سياسي، ما كلّفها سمعتها وقلّص دائرة توزيعها. وبحلول التسعينيات، استعادت مكانتها السابقة بعد أن كشفت عن فضيحة كادت أن تدمر الاقتصاد الكيني، واحتفظت بسمعتها حتى الآن. وهي تستحوذ على ٧٠٪ من المبيعات في سوق الصحافة، وتواصل جني الأرباح حتى الآن.[١٤]

(ا)إذا كانت الصحافة الجيدة تعني استثمارا جيدا، وإذا كانت الصحافة الاستقصائية صحافة جيدة، فلماذا يقول الناس إن الاستقصاء سيء للاستثمار؟ فالعديد من الناشرين والمحررين في جميع دول العالم تقريباً يحتجون بقلة الخبرة أو غيابها ويتذرعون بأن الاستقصاء يتطلب وقتاً لانجازه وأنه مكلف ومحفوف بالمخاطر. وهي نفس الفكرة التي قد تشغل ذهن الطلبة؛ ولهذا يجب على المحاضر التعامل مع هذه المخاوف. ظهرت المخاوف المتعلقة بكلفة وخطورة وبطء التحقيقات الاستقصائية في مرحلة ما بعد (ووترغيت) حين كانت الغالبية الساحقة من الصحافيين، المحررين والناشرين لا تعرف ماذا تفعل. مثل هذا التقصير والضحالة يتضحان عادة لدى زيادة النشاط الاستقصائي في منطقة لم تكن تعرف هذا اللون من الصحافة. ويتبدى هذا التقصير في الأوجه الآتية:

- عدم الكفاءة تهدر الوقت حين يراكم الصحافيون كميات كبيرة من المعلومات حول أشخاص ومؤسسات من دون أن يكون لديهم فرضية تمكنهم من التركيز على قصص يمكن التحقيق فيها. وسنوضح للطلبة خلال هذا الفصل كيف يمكن تفادي هذه العثرة من خلال وضع فرضيات إستقصائية يمكن تحقيقها بدلاً من عمليات البحث التي لا هدف لها.

- سوء إدارة المعلومات تؤدي إلى مخاطر قانونية: في غمرة الإستعجال والسرعة، يرتكب صحافيون أخطاء خطيرة بسبب عدم فهمهم الكامل لما أوردته المصادر. مثل ذلك حدث لوودورد وبرنستاين خلال التحقيق في (ووترغيت)، إذ أوشكت الأخطاء على وقف التحقيق برمته. في الوقت ذاته، فإن قلّة من الصحافيين تدربوا على أساليب الأرشفة بما يجعلهم قادرين على السيطرة على المعلومات. ويمكن أن يؤدي ضعف هذه القدرات إلى تعرضهم لملاحقات قضائية بسبب النشر/ البث.

استراتيجيات التسويق المبنية على "نموذج الحشد" أكثر من "نموذج التحالف"، تحد من القدرة على دعم العلامة التجارية لأي منتج. كما أنها تحد من المزايا والمكاسب الإجتماعية والسياسية للتحقيقات الإستقصائية. في هذا السياق، تأمل وسائل إعلام متخصصة في الاستقصاء في أن يولد النشر/ البث بحد ذاته غضباً مجتمعياً كافياً للدفع باتجاه الإصلاح. الفكرة هنا، هي ان الناشرين والصحافيين الشجعان الذين يتصرفون من تلقاء انفسهم بإمكانهم تحريض الناس على العمل. يمكنك تذكير الطلاب بأن العديد من الدراسات قد أكدت أن نجاح وودوارد وبرنشتاين (فضيحة ووترغيت) اعتمد على تحالف متزايد للقوى، بما في ذلك وسائل الإعلام الأخرى والمحاكم الاتحادية، والمشرعون، ومصالح تجارية تقدمية وغيرها، وليس مجرد النشر/البث. في وقتنا الحاضر، فان فضيحة الدم الملوث في فرنسا وأخبار فضائح العالم في بريطانيا كانت انتصارات لصحافيين استقصائيين شجعان. لكن اولئك الصحافيين قاموا ايضا وعن قصد ببناء جسور مع الضحايا والمحامين ومسؤولين حكوميين نزيهين وآخرين.[١٥] وبالتالي، يجدر القول إن سوء إدارة التحقيق الاستقصائي والفشل في بناء تحالفات موازية له لن يحقّقا إلا القليل من النتائج، بل ويسفران أحيانا عن نهايات سلبية. وإذا حدث العكس، فإن التحقيق مرشح لأن يجني فوائد مباشرة وغير مباشرة، وهذه نماذج:

- كسبت صحيفة "كييف بوست" دعماً إعلانياً وسياسياً لطبعتها الورقية والإلكترونية، لكونها أفضل مصدر مستقل للمعلومات في السوق الأوكرانية، وقفز استثمارها من ثمانية آلاف دولار أمريكي عام ١٩٩٤ إلى ٥٥ مليون دولار عام ٢٠٠٦، حسب وثائق بورصة كييف.[١٦]

- يعد برنامج ٦٠ دقيقة على شبكة تلفزيون (سي بي إس – CBS) الأمريكية الأكثر ربحية في تاريخ صناعة التلفزة. وهذا البرنامج قائم بالأساس على التحقيقات الاستقصائية.

- لا تعد الصحيفة الأسبوعية الفرنسية (لو كنار آنشينيه) الأكثر تأثيراً في المجتمع ، لكنها الأكثر ربحية. إذ قدّرت أرباحها في السنوات الأخيرة بـ ١٥% من عائدات التوزيع فقط، أي في حدود ٥٠ مليون يورو، بخلاف إيرادات الإعلانات.[١٧]

- في عام ١٩٩٥ سعت منظمة "السلام الأخضر" لإعادة طرح نفسها، ليس فقط كناشط رئيسي في الدفاع عن البيئة، ولكن بوصفها أفضل مصدر معلومات موثقة ومدققة حول البيئة.[١٨] وتعتمد المنظمة بالكامل على شبكة تبرعات من ثلاثة ملايين عضو. ويحتوي الموقع الإلكتروني لهذه المنظمة على العديد من التقارير الاستقصائية. ويمكن للمحاضر تكليف الطلبة بالإطلاع عليها كقراءة تمهيدية. وتنفق هذه المنظمة حوالي ١٠ ملايين جنيه إسترليني سنوياً على هذه التحقيقات.[١٩]

[١٥] انظر: تي واتسون وإم هيكمان (٢٠١٢): "إطلب M من أجل مردوخ: مؤسسات الأخبار والفساد في بريطانيا". منشورات بنجوين، المملكة المتحدة.

[١٦] KP Media A

[١٧] تقنيات إخبارية مدمرة.الصفحات ١٦–٢٠، مصدر سبقت الاشارة له.

[١٨] المصدر السابق، الصفحات ٢٢–٢٥

[١٩] أنظر الرابط: http://www.greenpeace.org/international/en/publications/Campaign-reports/

- صاغت مجموعة "ذي إيكونومست - The Economist" استراتيجية محورها الربح، تقوم على تقديم معلومات حصرية موثقة وإتاحتها للجمهور في أشكال وقوالب مختلفة. كما أن طبعتها الورقية الأسبوعية الإيكونومست ظلّت متاحة ورقيا وإلكترونيا؛ وكلا الشكلين يدرّان أرباحا. وتوفّر المجموعة ووحدة المعلومات فيها كذلك مجلّة للمسؤولين في الحكومة والمؤسسات والأعمال تتضمن تقارير وتحليلات متعمقة عن الدول والأسواق. وتقدّم المجموعة خدمات أخرى من بينها المؤتمرات والتعليم.

ويمكن للمحاضر هنا الحصول على التقرير السنوي لنشاط المجموعة من خلال موقعها الإلكتروني[٢٠]، ليوضح كيف يمكن للمعلومات الموثوق بها أن تدر عائدا ماديا؟

(ج) ثمن الفساد في الصحافة:

وهناك شكل آخر للاستقصاء يمكن أن يحقق فائدة اقتصادية خاصة على مستوى الأفراد، وهو بغض النظر عن مدى تميّز الاستقصاء وسمعة الوسيلة الإعلامية، فإن الفساد إذا ضرب البنية الهيكلية للوسيلة الإعلامية فسيؤثر سلبا على علامتها التجارية، وبالتالي يقوّض دعائم الاستثمار فيها. مثال ذلك الفساد الذي حل في يومية "لوموند" الفرنسية في نهاية الثمانينيات، حين وقع رؤساء ومحررو بعض الأقسام – من بينها قسما الثقافة والصحة– في مصيدة تعارض المصالح، ما أدى إلى انحدار المطبوعة بأسرها. وقد سبق أن تحدثنا عن ذلك الأنموذج، بما في ذلك أنموذج تورط المحرر الطبي في الدفاع، والتبرير والتهوين من فضيحة بيع وكالة حكومية دما ملوثا بفيروس نقص المناعة المكتسبة (الإيدز). في ذلك الوقت أيضا، اتخذ المحرر الثقافي موقفا منحازا للسياسات الفنية والثقافية لليسار الفرنسي، في وقت كان يكتب فيه مادة دعائية مدفوعة الأجر ترويجا لأفلام سينمائية بعينها. وثبت أيضا في أحيان عديدة أن التحقيقات الاستقصائية في الصحيفة كانت وسيلة لتحقيق الانتقام الشخصي. وقد تطلب الأمر عشر سنوات لإعادة الصحيفة إلى المسار السليم، لكن بعد أن خسرت غالبية قرائها ومصادر دخلها.[٢١]

وقد يحتج طلبة بالقول إن وسائل إعلام عديدة في بلادهم فاسدة ولكنها تتمتع بشعبية. هذا الجدال يجب أن يدفع المحاضر كي يطلب منهم أن يتقصّوا كيف ظلّت هذه الوسائل قادرة على الربح، وعندئذ سيكتشفون أنها لا تحقق أرباحا وإنما هي مدعومة بمالكيها أو بمصالح سياسية تستخدمها في أغراض دعائية أو سياسية.
مثلا خلال فترة حكم الرئيس حسني مبارك في مصر، كانت إحدى الصحف القومية تتمتع بدعم مالي من الحكومة لتطبع آلاف النسخ، في الوقت الذي كان قراؤها قد يعدون بالمئات.

[٢٠] أنظر الرابط: http://www.economistgroup.com/results_and_governance/annual_and_interim_reports.html

[٢١] بيير بيان وفيليب كوهين:
.Mille et une nuits, 2003. " « La face cachée du Monde: Du contre-pouvoir aux abus de pouvoir

(ح) ظروف التشغيل والعمل التي تضفي قيمة على الاستقصاء:

لا شك في أن الاستقصاء لن يخلق قيمة مضافة للصحافيين أو للمجتمع، إن لم ينفّذ وينجز بشكل صحيح. ونستطيع استخلاص هذه المبادئ من خلال الأبحاث الآتية:

إيجاد/ دعم العلامة التجارية:

- تسهم الصحافة الاستقصائية في إسناد قيمة أصول المشروع الإعلامي، وبخاصة عندما ينظر إليها بكونها تدعم استقلالية المشروع الإعلامي. بمعنى آخر، فإن نشر تحقيقات استقصائية من وقت إلى آخر لن يفيد إذا كانت الوسيلة الإعلامية فاسدة أو تفتقر للكفاءة.

- المهنية:
لا بد من وجود إدارة قوية ودقيقة للتحقيقات الاستقصائية لضمان الجودة في التنفيذ واحترام الميزانية، فضلا عن التأكد من عائد الاستثمار فيها؛ سواء من خلال اتساع دائرة الجمهور، أو ارتفاع العائد الإعلاني أو زيادة مهارات وقدرات الصحافيين العاملين لديها. يصب ذلك كلّه في دعم علامة المؤسسة التجارية، وترسيخ السمعة الجيدة ودعم قاعدة البيانات الخاصة بالمؤسسة. وسنتعامل مع عائد الاستثمار على الصحافيين في موقع آخر من هذا الفصل الدراسي، عندما يكلف الطلبة بتقديم مشروعات.

- الترويج:
يستعرض المحاضر مسبقا آليات التحضير وقبل نشر/ بث التحقيقات الاستقصائية وخاصة للجمهور الذي سيدعمها. وفي الصحافة المطبوعة، ترتفع أعداد النسخ المطبوعة بنسب تصل إلى ٢٠% عندما يتم نشر تحقيق استقصائي.

- الدفاع:
من المتوقع حدوث رد فعل عدائي ممن استهدفهم التحقيق الاستقصائي. ويجب الاستعداد لذلك من خلال الاتصال بالقوى المؤازرة في المجتمع، كما يطلب من محامي الوسيلة الإعلامية مراجعة المادة قبل النشر وإعلام الإدارة العليا بالقصة حتى تكون جاهزة للدفاع عنها.

هنا، قد يحتج الطلبة بأن مثل هذه الدفاعات لا تجدي نفعا في دولهم، وهذا صحيح نوعا ما، ولكن ذلك لا ينفي أن مثل هذه الأوضاع ليست دائمة، كما أن الاستعداد لها واجب لا يمكن التخلي عنه.

صحافة الاستقصاء كقوة اجتماعية

/ساعة ونصف

قراءة تمهيدية للمحاضر: ديفيد بروتس "صحافة الغضب": الصحافة الاستقصائية وبناء جدول الأعمال في اميركا – The journalism of Outrage: Investigative Reporting and Agenda Building in America مطبعة غيلفورد ١٩٩٢.

مشاهدة تمهيدية للمحاضر والطلبة: حنان خندقجي "اعتداءات جسدية ولفظية على أشخاص ذوي إعاقة داخل دور رعاية خاصة"، الرابط:
http://arij.net/report/%D8%A7%D8%B9%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D8%A1%D8%A7%D8%AA-

في هذا الجزء نحلّل طريقة التحام صحافة الاستقصاء بالمجتمع وتفاعلها مع قوى اجتماعية أخرى لإيجاد حلول للمشكلات وتيسيرها وصولا إلى رفع المظالم.



١. كيف يدخل التحقيق لاعبين آخرين؟

قبل بدء الفصل، سيكلف المحاضر الطلبة بمشاهدة تقرير حنان خندقجي: "إساءة معاملة أطفال ذوي إعاقة في دور الرعاية الخاصة في الأردن" http://www.youtube.com/watch?v=SzVgAitXWdI

يطلب من الطلبة التفكير في الأسئلة التالية أثناء مشاهدتهم الفيلم، وأن تكون إجابتهم مختصرة ومكتوبة وأن يحضروها للفصل.

- ما سبب أهمية تلك القصة؟
- من الذي يعطي القصة أهميتها؟ ولمن؟
- كيف تتوقع أن تكون ردة فعل الأطراف المعنية بالقصة؟
- ويمكن للمحاضر البدء بمناقشة هذه الأسئلة مع بدء الفصل، وذلك قبل أن يخبر الطلبة بالعناصر التالية وثيقة الصلة بكل سؤال:
- لماذا هذه القصة مهمة؟ الإجابة الشافية: كونها تتعلق بإساءة معاملة ضحايا لا حول لهم ولا قوة في مراكز خاصة اعتمدتها الدولة وتقوم على تنظيمها. الإجابات التي تقتصر فقط على معاناة الضحايا من دون الدخول في تفاصيل، ليست كافية.
- من المعني بهذه القصة بشكل خاص. وكيف ستكون ردة فعلهم؟

الحد الأدنى للإجابة يجب أن يتضمن الأطفال والآباء والأقارب والعاملين في هذه المدارس ومالكيها والمنظمين ممن يرخصون هذه المدارس ويراقبونها، والوزارة التي يعمل فيها هؤلاء المنظمون والمفتشون والمحامون ممن قد يقدمون شكاوى قد تؤدي إلى توجيه الاتهامات على أفعال مجرّمة ارتكبت داخل المراكز. ويمكن للطلبة أن يستنتجوا كل هذه العناصر من دون الحاجة إلى مزيد من المعرفة.

إلا أنه يمكن للمحاضر إبلاغ الطلبة عن لاعبين بعينهم لا غنى للقصة عنهم وللدفاع عنها بعد النشر. ويمكن للمحاضر بعد تعريف هؤلاء اللاعبين أن يطرح السؤال: ما هي مصلحتهم في هذه القصة؟

في مرحلة البحث:

- عامل متطوع سابق في مدارس الأطفال المعاقين كشف أسماء مؤسسات يعمل فيها متطوعون، ويتم فيها إساءة معاملة الأطفال. هذا التسريب ساعد الصحافية على التعرف على الأهداف التي ستعمل عليها وهي متخفية. وفيما بعد رافق العامل المتطوع السابق الصحافية داخل المدارس وساعدها في التقاط صور. ومصلحة المتطوع هنا هو وقف إساءة معاملة الأطفال.

- صاحب المدرسة التي تتعامل مع الأطفال بشكل سوي خصص أسبوعا لتدريب الصحافية على كيفية التعامل مع أطفال ذوي إعاقة. ومصلحة صاحب المدرسة هنا أن يظهر أنه ليس من بين هؤلاء المسيئين، كما أن عمله سيزدهر أكثر.

- أولياء الأمور بتقديمهم التقارير الطبية. وبالتأكيد فإن أولياء الأمور معنيون بحماية أطفالهم وبإيقاف من يسيء إليهم عن العمل.

- مركز قانوني لتقديم معلومات حول تنظيم العمل في مدارس المعاقين، ومصلحة المركز أنه سيروج لخبرته، وأيضا من أجل الإصلاح.

ما بعد النشر:

- قرأ ملك الأردن نسخة محلية مطبوعة للقصة، كما أدرك أنه سيتبعها تقرير على شبكة هيئة الإذاعة البريطانية. ومن ثم تدخل الملك لحماية الصحافية ولحث المسؤولين على العمل.

- طلبت وزارة التنمية الاجتماعية من أولياء الأمور تقديم شكاوى لكي تستطيع الوزارة التحقيق فيها وإغلاق مدارس بعينها. وبالطبع، فإن الوزارة كانت ترغب من ذلك في مساعدة الآباء، ولكنها أيضا كانت تنفذ أوامر ملكها.

- انتشرت القصة بشكل هائل بمجرد أن علمت مواقع الاتصال الاجتماعي بتدخل الملك الذي يعود له وللوزارة الفضل في جعل مناقشة القصة عملا مشروعا وآمنا.

وينطبق مصطلح "الشركاء/ المستفيدون" على مختلف هؤلاء اللاعبين الاجتماعيين ؛ وهم الجهّات التي لديها مصلحة واهتمام بالنتائج في المؤسسة أو القضية أو موقف معين آخر. ولك أن تتخيل محاولة إنجاز هذه القصة من دونهم. في هذه الحالة، فإن الصحافية لم تكن لتعلم أي المدارس التي ينبغي أن تستهدفها، وماذا ستجد هناك بمجرد دخولها، أو كيف ستتعامل مع الأطفال المعاقين؟ كل ذلك لم يكن ليكون متاحاً في حال عدم وجود العامل المتطوع وصاحب المدرسة الجيدة. أيضا، فإنها لم تكن لتستطيع من دون التقارير الطبية إثبات أن الأطفال أصيبوا أثناء وجودهم في المدرسة وليس في مكان آخر؛ ومن دون مساعدة قانونية لم تكن لتستطيع أن تتعرف على أساليب بعض المدارس في انتهاك القانون؛ ومن دون الملك والوزارة لم يكن من الممكن تقديم شكاوى يمكن تحويله إلى اتهام رسمي. وبالتالي، فإن القوى الاجتماعية دخلت في عمل الصحافي ليس فقط كجمهور ولكن بالأشكال التالية:

مصادر بشرية - مصادر معلوماتية ووثائقية - الدعم في السفر والإقامة - الحماية من خلال المساعدة القانونية والنفوذ السياسي - الفعل.

نحن نعلم بأن العديد من الطلبة في العالم العربي يرون أنفسهم نشطاء وليس مجرد صحافيين، وفي الحقيقة هذه ليست قضية عربية فحسب بل قضية عالمية: فالطلبة الذين يرغبون في أن يكونوا نشطاء، قد لا يؤمنون بشكل كامل بالقيمة الجوهرية للصحافة، وقد يمنحون الأولوية لعملهم بصفتهم نشطاء. وفي أحيان أخرى، قد يشعر الطلبة بالنقص أمام النشطاء، ذلك أن الآخرين يؤمنون بما يفعلونه بشكل أقوى مما يؤمن به الطلبة.

وعلى المحاضر أن يسأل الطلبة: هل يعد إيمان الصحافي بإدانة للمشكلة ووجوب تعامل السلطات أو الجمهور معها جزءا من عمله؟ بالطبع، نحن نؤمن بذلك، إذ يمكن للصحافي أن يستفز السلطات أو لاعبين اجتماعيين آخرين للتعامل مع القضية، وهو ما يقود إلى سؤال آخر:

هل يمكن للصحافي أن يحقق ذلك بمفرده؟

قد يحتج الطلبة بأنه يمكنهم أن يحققوا نتائج من خلال قصة واحدة كاشفة، وهي في الغالب ستتمثل في أن الأشخاص الوارد ذكرهم في القصة سيشعرون بالامتنان لأن شخصا ما أخبرهم بالجانب الخاص بهم في القصة. إلا أن هذا لا يستوي مع القدرة على تغيير مواقفهم أو تعديل تشريع أو وضع حد لممارسات ظلم أو فساد. يمكن للصحافي أن يساعد في إحداث هذا التغيير ولكنه بالكاد يستطيع أن ينهض بذلك وحده.

ويمكن للمحاضر أن يسأل:

كيف يمكن أن يتعاون الصحافي مع أطراف أخرى بشكل مسؤول وأخلاقي؟ ومن هو الشخص الذي سيكون الصحافي مسؤولا أمامه، وعن ماذا؟

في الغالب سيطرح الطلبة إجابات مختلفة، ولكن المهم أن يعوا أن مسؤوليتهم الرئيسية هي تقديم المعلومات الحقيقية وتفسيراتها للجمهور بشكل صحيح. فلا يجوز أن يضع الصحافي أهدافه ورغباته فوق الحقيقة، وإلا فإنه لن يكون هناك تغيير أو أن التغيير سيكون إلى الأسوأ.

٢. النظرية والممارسة في الاستقصاء داخل المجتمع

أولا: نماذج الحشد والائتلافات

في كتابه "صحافة الغضب: الاستقصاء وبناء جدول الأعمال في أمريكا"، يدرس ديفيد بروتس كيف نجحت الصحافة في تحقيق نتائج تتعلق بتوجيه الاتهامات أو سن التشريعات أو التحرك صوب الإصلاح، وهو الأمر الذي يعد فريداً من نوعه. وقد اقترح نموذجين يمكن استخدامهما لإحداث الإصلاح:

- الحشد:

والفكرة هنا هي أن الغضب الشعبي –الناجم عن كشف الاستقصاء عن فضيحة– يجبر القادة السياسيين وقوى المجتمع على التحرك. وبناء على هذا، يكون السبيل هنا هو قيام الصحافي بإثارة غضب الرأي العام، وهو بالتالي الذي سيسمع القادة هذا الغضب. ولعل ووترغيت أفضل نموذج في هذا المقام.

وهنا يجب على المحاضر التوضيح أن أسطورة ووترغيت لم تكن دقيقة في هذا الشأن؛ فرغم أن الغضب الشعبي كان هائلا، إلا أنه لم يكن ليؤدي إلى النتيجة التي تحققت من دون مساندة من القضاة والقادة السياسيين المعارضين للرئيس ريتشارد نيكسون. ومع ذلك لا يمكن استبعاد نموذج الحشد. قبل "ووترغيت" أظهرت المدافعة عن البيئة راشيل كارسون[١] والمدافع عن حقوق المستهلكين رالف نادر[٢] قوة الصحافيين عند اضطلاعهم بمهمة حشد الرأي العام. ورغم أنهما لم يكونا صحافيين محترفين، فقد استخدما التحقيق الاستقصائي لإقناع الرأي العام بأن قضاياه مهمة. وقد أحدث الاثنان تأثيرات قوية بقيت عبر الزمن، مثل إثبات أن قضايا البيئة والمستهلكين يمكنها أن تكون مشاريع استقصائية ناجحة لوسائل الإعلام.

بدأ نموذج الحشد ما قبل ظهور الصحافة الاستقصائية. ففي نهاية القرن التاسع عشر، بدأت الصحف في الولايات المتحدة حملات للمطالبة بالإصلاح، أطلق عليها "الحملات الصليبية". نحن نعلم ما لهذا المصطلح من معان سيئة في العالم العربي، ولهذا فإنه يمكن للمحاضر أن يوضح أنه في العالم المسيحي، فإن الحملات الصليبية الأخلاقية كانت وما زالت تمارس في الداخل والخارج، وأنها مقبولة كجزء من الثقافة الغربية.

وكان العمل الذي قامت به نيلي بلاي "عشرة أيام في مستشفى المجانين" حجر الزاوية في واحدة من تلك الحملات من أجل إصلاح هذه المؤسسات، إذ أبرزت في قصتها عناصر رئيسة لصحافة الحملات الصليبية التي تزاوج بين الحقائق وبين كل من العاطفة والصدمة والكشف والتصوير واللغة الغاضبة التي أدت كلّها إلى مطالبة صريحة بالإصلاح. ويذكر في هذا المقام أن ذلك النموذج لم يكن ظاهرة أمريكية فقط، وإنما ظهر في أعمال ألبرت لوندر مثل "جزيرة الشيطان"،[٣] والذي يمثل في الواقع شكلا بنيويا للصحافة الشعبية. بعض تلك الحملات، مثل الحملة التي استمرت عشر سنوات لإنهاء العبودية في أمريكا، كانت ضرورية وعادلة، رغم أن الحرب الأهلية الأمريكية أعقبتها حملات أخرى تشمل تلك التي شنت ضد المشروبات الكحولية وأدت إلى حظرها في عشرينيات القرن الماضي. وقد كانت لها أثار سلبية، إذ نتج عن الحظر ظهور منظمات إجرامية أثرت جراء تصنيع المشروبات وتهريبها. وحملات أخرى استهدفت التلاعب بالرأي العام مثل الحملة التي شنها الناشر هيرست في صحفه من أجل شن حرب على أسبانيا عام ١٨٩٨؛ وتلك التي تمت في زمن الرئيس جورج بوش الابن لتبرير غزو العراق بحجة وهمية، هي وجود أسلحة دمار شامل. حملة أخرى حالية تقوم بها شبكة "سي إن إن" ضد تجارة البشر أظهرت نقطتي ضعف في هذا الشكل من أشكال الصحافة وهما: الميل لبذل وعود لا يمكن الوفاء بها مثل "إنهاء تجارة البشر"، والزعم بفضل الشبكة في الإسهام في التخفيف من هذه المشكلة.[٤]

وفي هذا المقام، نقول إن الحشد في أفضل حالاته هو استراتيجية منقوصة لوسائل إعلامية استقصائية تسعى إلى إصلاح المجتمع. فلكي يتم الإصلاح، لا يكفي الصحافي أن يثير غضب المجتمع أو يذل قادته بالكشف عن مشكلات مسكوت عنها ولم تحل. فأول سؤال يتبادر إلى الذهن لدى من يعانون من هذه المشكلات وبمجرد نشرها: "وما الحل"؟ لا يستطيع الصحافيون، المحررون أو الناشرون الإجابة بمفردهم عن هذا السؤال، كما أنهم لا يطيقون تجاهل عواقب حملاتهم.

١ للاطلاع على احدث نسخة، انظر، راشيل كارسون"الربيع الصامت: Houghton Mifflin Harcourt (2002)." Silent spring-

٢ رالف نادر "ليست آمنة على اية سرعة: مخاطر في تصميم السيارات الاميركية" (١٩٦٥).

٣ رالف لوندرز " Au bagne"، أيه مايكل ١٩٢٣.

٤ راجع هذا الرابط: http://thecnnfreedomproject.blogs.cnn.com/

–نموذج التحالف:

كان الاكتشاف الكبير الذي قام به بروتوس بي إل قد رسّخ إمكانية تحقيق الصحافيين الاستقصائيين نتائج فعالة إذا ما شكلوا تحالفات مع قوى أخرى. وبمعنى آخر، فإن الصحافيين الذين يعملون بشكل منفرد نادراً ما ينجحون في تحقيق الإصلاح أو تحقيق العدالة، وبالتالي يكون من الضروري ضم لاعبين آخرين لحماية الصحافي من الردود الانتقامية وللدفع بأجندة الإصلاح. وتتضمن وسائل التعاون مع اللاعبين الآخرين ما يلي: تشارك وتبادل المصادر مثل قوائم الاتصال أو البيانات أو القدرة على الوصول إلى الشهود. فرغم أن على الصحافيين الاستقصائيين التدقيق في جميع المعلومات التي في حوزتهم قبل استخدامها، فإنه يمكنهم أيضا السعي للحصول على وثائق ومعلومات من الداخل أو بيانات من المبلغين (قارعي الناقوس) ومن المنظمات غير الحكومية التي تعد مصادر تقليدية لهذه المادة.

فالعلاقات مع المنظمات غير الحكومية مثلت عنصر نجاح رئيس لصحيفة (إيست أفريكان) الأسبوعية في الكشف عن السياسات الخاصة بنخب رجال الأعمال في كينيا وتنزانيا وأوغندا. ويقول جوزيف أوديندو مؤسس ومحرر هذه المطبوعة: "تستثمر المنظمات غير الحكومية بشكل قوي في الحصول على تلك المعلومات. إن السبب الأول في عدم قدرتنا على انجاز تحقيقات مثل تحقيقات نيويورك تايمز هي إنه ليس لدينا المهارات أو القدرات أو الكتاب المتخصصون. أما السبب الثاني، فليس لدينا ترف الوقت؛ فليس بوسعنا أن نفرّغ صحافياً لموضوع بعينه مدة شهور".

يجب على المحاضر أن ينبه الطلبة إلى أن الاستقصاء لا يعني أخذ تقرير صنعه آخر وإعادة كتابته. فكما المصادر الأخرى، يمكن لشركاء التحالف أن يخطئوا وأن يمارسوا التلاعب. وبالنسبة للوثائق، فإن تقارير الطرف الثالث (المتحالف) ينبغي أن تخضع للتدقيق فيما يتعلق بأصالتها وحقيقتها. ولكن يبقى أن هذا النوع من التحالفات ما يزال ينمو. وقد طورت حركة السلام الأخضر في هذا الشأن استراتيجية تعتمد على مراكمة البيانات ومشاركة الصحافيين الاستقصائيين فيها وصلت إلى حد عرضها أموالاً على الصحافيين من أجل الكتابة كما تملي عليهم قواعد المهنة. كما يمكن أن تتشارك مراكز الصحافة الاستقصائية في دول مختلفة في البيانات التي بحوزتها من أجل السعي لتحقيق الصفة الدولية للقصة.

وهكذا قام الاتحاد الدولي للصحافيين الاستقصائيين بإنجازه المسمى "تسريبات خارجية" او Off Shore Leaks. وقد بدأت القصة عندما حصل صحافي استرالي على ذاكرة معلومات كومبيوتر تحمل ملايين الصفحات من مادة خام حول حسابات بنكية خارجية لآلاف الاشخاص عبر العالم. إلا أن هذه المادة لم تكن لتصلح للنشر حتى وافق فريق من الصحافيين في نيوزيلندا بقيادة نيكي هاجر على التعاون معا لتفسيرها وترجمتها إلى معانٍ مفهومة، وهي الخطة التي وافقت فيها فرق من دول مختلفة على مهمة تقصي الأفراد ممن وردت أسماؤهم في تلك الملفات[٥] وتم لاحقا توسيع التحالف بأن وضعت المادة كلها على الإنترنت لكي يستخدمها المحققون القضائيون أو أي شخص مهتم.[٦]

٥ يمكن الاطلاع على المشروع كاملاً على هذا الرابط:

٦ انظر هذه الروابط: http://www.icij.org/offshore/icij-releases-offshore-leaks-database-revealing-names-behind-secret-companies-trusts

وكثيرا ما يطلب من المحقق الصحافي أو يتم الضغط عليه من أجل أن يشارك وسائل إعلام أخرى أو محققين رسميين المعلومات بعد أن ينشرها. وهو ما حدث مع مجدولين علان التي طلبت منها سلطات المحكمة الشرعية في عمان الكشف عن المسؤولين الذين أخبروها أنهم لا يقومون بالعمل إلا نظير رشاوى[٩] وهو طلب مشابه لمسعى مسؤول رفيع في وزارة الصحة الفرنسية، والذي طلب من آن ماري كاستريه تزويده بنسخ من الوثائق التي حصلت عليها خلال الأربع سنوات التي استغرقها التحقيق الذي قامت به.

ويمكن للمحاضر هنا أن يسأل الطلبة: كيف ينبغي للصحافي أن يرد على تلك الطلبات؟

بالنسبة للمثالين السابقين، فإن مجدولين رفضت البوح بأسماء مصادرها، في حين وافقت كاستيريه.
سؤال ثان يجب أن يطرحه المحاضر: ما هي المخاطر التي يمكن أن تنجم عن مشاركة الصحافي معلوماته مع آخرين؟ وما هي المخاطر التي يمكن أن تقل في حال المشاركة؟

في حال مجدولين، فإنها رفضت لأن كشفها لأسماء المصادر سيعرضهم لعقوبات كونهم أخبروها بالحقيقة لإحساسهم بالذنب ولرغبتهم في أن يتم إصلاح هذه المنظومة. وبالتالي، فإن موافقة مجدولين كان من الممكن أن تؤدي إلى عزل الصحافي عن كل شركائه المحتملين في عملية الإصلاح وذلك بعد إيقاع الضرر بهم. أما بالنسبة لكاستريه، فإن خطر عزلها عن شركائها كان قوياً وفورياً، كما أن مشاركتها المحقق الرسمي المعلومات يمكن أن يعطي تحقيقها مصداقية أكبر، إضافة إلى أنها كانت قد نشرت معلومات مهمة بالفعل. وبالتالي فإن خصومها لم يكونوا ليعرفوا أكثر عن تحقيقها من خلال تقاسمها المعلومات مع المحقق الرسمي، ولهذا وافقت.

قد يكون لدى الأطراف المختلفة في القصة سلطات وقدرات غير متاحة للصحافي. فعلى سبيل المثال، هناك من أصحاب الدعاوى القضائية من يكون لديهم قدرة على الوصول إلى أدلة بشكل يصعب على الصحافي الوصول إليه. ومثال على ذلك التحالف الذي عقده هارولد براون رئيس التحرير الأشهر لصحيفة "الغارديان" مع عائلات ضحايا تحطّم طائرة لنقل الركاب من أجل الحصول على الأدلة خلال التحقيق. وهذا ما فعله صحافي الغارديان بعد ذلك نيك ديفيز بدخوله في اتفاق مع محامي أصحاب الدعوى ضد إمبراطورية روبرت ميردوخ الإعلامية لقيامه بمراقبة وتسجيل مكالماتهم الهاتفية. تلك الأمثلة تثبت أن التعاون بين الصحافي والضحايا يجعله قادرا على الوصول إلى مصادر النظام القضائي. ويتضمن تاريخ الصحافة الاستقصائية نماذج عديدة لصحافيين تعاونوا مع مسؤولين معنيين بمكافحة الفساد. وقد بنى الصحافي الشهير كلارك مالينهوف تاريخه الصحفي في مدينة أيوا عندما شكل فريقا من الشرفاء ضم مدعياً عاماً ورجل شرطة؛ حيث قام الأول ببناء القضايا، في حين تولى الشرطي القبض على المتهمين. أما مالينهوف، فزودهما بالأدلة ودعمهما من خلال النشر[٨] والحكمة الرئيسية هنا هي أن الصحافيين لا يرسلون المجرمين إلى السجن، إنما الشرطة والنيابة والقضاة هم من يفعلون ذلك. ونصيحتنا للصحافيين أن يعثروا على الشرفاء منهم ويبحثوا عن أفضل السبل للتعاون معهم من دون أن يتعارض ذلك مع مبادئهم الأخلاقية وسمعتهم.

[٨] كلارك آر.مولينهوف "الصحافة الاستقصائية: من قاعات المحاكم الى البيت الأبيض"، ماكميلان ١٩٨١.

يمكن هنا للمحاضر أن يسأل: ما الخطر في مثل هذا التعاون مع المسؤولين؟

الصحافيون الذين يسعون للتعاون مع المسؤولين أو لاعبين آخرين مثل المنظمات غير الحكومية، يستشعرون بأنهم يمكّنون الأخيار من الانتصار على الأشرار. إلا إنه بمرور الوقت ومع مشاركة الشخصيات العامة الصحافيين في سلطاتهم وقدراتهم، تصيب هذه السلطات الصحافي بالغرور والعمى كما أنه تفقده القدرة على أن يرى متى تصبح هذه السلطات فاسدة. مثال ذلك ما أوردناه سابقا عن الصحافي والإذاعي الأمريكي والتر وينشيل الذي أصبح خلال الثلاثينيات والاربعينيات من القرن العشرين مدافعا شرسا عن الرئيس فرانكلين روزفلت. وبعد وفاة روزفلت جنح إلى أقصى اليمين ليصبح من أشرس أعضاء حركة المكارثية التي اشتطت في مطاردة الشيوعيين.[9] المهم في هذا المقام هو أن دور المحققين الصحافيين ليس الترويج لأحد، وأن تحالفاتهم مع أطراف في المجتمع يجب أن تكون مؤقتة. وعلى الصحافي الاحتفاظ بعلاقات بعيدة مع الجميع بعد تحقيق أهداف التحالف.

٣. مشاركة القصة

قلنا من قبل إن الصحافي الذي يعاني من العزلة لن يدرك النجاح، إذ يسهل تجاهله. فحتى لو نجح في سبق صحافي وكشف مهم، فسرعان ما سينسى هذا الكشف، إلا إذا كان لديه معلومات قوية وغزيرة تمكنه من نشر سلسلة حلقات. من ناحية أخرى، فإن الصحافي الوحيد يكون معرضاً للفصل أو يتم إجباره على الاعتذار من خلال الضغوط على رئيس التحرير أو الناشر. وقد ينقل إلى وظيفة أخرى، أو قد يتعرض لهجوم من الذين فضحهم أو من أصدقائهم ذوي النفوذ، أو حتى من صحافيين خانعين ممن يضعون أطواق الكلاب في اعناقهم ويتظاهرون بأنها عقود من الألماس.

ولننظر إلى نهاية الصحافي الاستقصائي جاري ويب، الذي كتب عام ١٩٩٦ في صحيفة سان خوزيه ميركيري: "في سنوات التسعينيات باعت عصابات المخدرات في سان فرانسيسكو أطنانا من الكوكايين وجنت أرباحاً بالملايين هربتها لرجال حرب العصابات في أمريكا اللاتينية التي تديرها وكالة المخابرات المركزية"[10] وبعد أن نشر ويب سلسلته هذه تحت عنوان "التحالف المظلم"، ذكرت صحيفتا "واشنطن بوست" و"نيويورك تايمز" أنهما لم تتمكنا من العثور على أدلة تدعم اتهامات ويب، ما دفع صحيفته إلى تقديم اعتذار، وتم تدمير مستقبل ويب. وقد اعتبرت وفاة ويب عن ٩٤ عاماً انتحاراً. ولكن بعد وفاته، أكد صحافيون آخرون أجزاء من قصة ويب وبخاصة تلك المتعلقة بأن المخابرات المركزية كانت على علم بتهريب المخدرات والأموال بل ووفرت الحماية لها[11] والحكمة هي: إنه ليس كافيا أن تكون على حق؛ فالصحافي الاستقصائي العاقل هو الذي يعمل على ألا يقف وحيداً ليس معه سوى الحقيقة. ولتقليل المخاطر، ينبغي على الصحافي عمل الآتي:

[9] أنظر: نيل غابلر "وينشل: قوة النميمة وثقافة المشاهير". نيويورك نوبف ١٩٩٤.

[10] يمكن الاطلاع عل الحلقات الثلاث "التحالف المظلم" على هذا الرابط: www.narconews.com/darkalliance/drugs/start.htm

[11] مارك فينستر (٢٠٠٨) "نظرية المؤامرة: السرية والقوة في الثقافة الاميركية"، (نسخة منقحة). مطبعة جامعة مينسوتا، الصفحات ٢-٣. هناك ايضا مقالة تفصيلية على موقع ويكيبيديا عبر هذا الرابط en.wikipedia.org/wiki/Gary_Webb#cite_note-35

- ألا يبالغ في طرح المعلومات في القصة أو أن يشطط في الاستنتاج بناء عليها. فهذا كان أحد أسباب بقاء جاري ويب وحيدا. فرئيس تحريره السابق يقول: "كان رجلا تسيطر عليه العاطفة وليس الإنصاف. وعندما لا تتفق الحقائق مع نظريته، فإنه كان ينحي هذه الحقائق جانبا".[١٢]

- المعلومات والطرق الموصلة لها ينبغي أن تفتح لصحافيين آخرين، وهو ما فعلته آن ماري كاستريه عندما اقتربت من نشر فضيحة الدم الملوث في فرنسا، وذلك بتوزيعها وثائق مهمة عن هذه الفضيحة على وسائل إعلام أخرى.

- يمكن إشراك القوى المجتمعية الأخرى مثل المصادر والحلفاء المحتملين، وذلك قبل نشر القصة. وهذه المشاركة ليست حلفاً رسمياً، ولكنها آلية تمنح الصحافي بعضا من قدرات الأطراف الأخرى وتوفّر حمايتهم له وللقصة بعد النشر، مقابل إبلاغهم بموعد النشر. وقد يسأل الطلبة: كيف يمكن أن يكونوا على خبرة في التعامل مع النشطاء أو أصحاب المصالح من دون أن يسيطروا عليهم؟ والإجابة هي: بمزيد من الاستقصاء سيصبحون خبراء. ولا يقل عن ذلك أهمية حاليا قدرة المنظمات غير الحكومية ومنظمات العمل المدني من خلال مواقعها الالكترونية ووسائل إعلامها على الترويج للتحقيق الاستقصائي. فالقدرات الإعلامية لهذه الكيانات تفوق في تأثيرها قدرات الإعلام التقليدي ونطاق تأثيره.[١٣]

٤. الأشكال الاجتماعية لردة الفعل ضد الصحافة الاستقصائية

تراجع الدعم الشعبي للصحافيين الاستقصائيين بسبب الهجمات التي يقوم بها الرسميون على حرية الصحافة، يشكّل ظاهرة مميزة ومتكررة في تاريخ الصحافة الاستقصائية. إذ وصل الصحافيون الاستقصائيون إلى ذروة تأثيرهم مطلع القرن العشرين في الفترة من ١٩٠٦-١٩١٢ عندما انتخب الرئيس الإصلاحي وودرو ويلسون. هذه الظواهر والتراجعات لا تحدث مصادفة، وإنما بسبب أفعال يقوم بها خصوم تلك الصحافة، ومن بين تلك الأفعال:

- تقليص مساحة الإعلانات لعقاب الوسيلة الإعلامية:

هذا التكتيك يستهدف خفض الإيرادات وسيظل يستخدم بفاعلية وخاصة مع تلك الوسائل التي تفتقر لقاعدة متنوعة وعريضة من الإيرادات. وقبل قرن مضى، كانت هذه الطريقة تستخدم ضد المجلات الاسبوعية التي تنشر الموضوعات "الفضائحية" وضد الاسبوعيات البديلة التي ظهرت في حقبة ما بعد "ووترغيت". وستظل تستخدم طالما أن الصحف والوسائل الاعلامية عموما تعتمد على المعلنين. بإمكان هذه الوسيلة ان تكون فعالة جداً خصوصا في الصحف والمؤسسات التي تفتقر لموارد متنوعة وواسعة.

[١٢] سكوت هيرهولد "التفكير مجدداً بالصحافي غاري ويب والسي آي أيه" سانت جوز ميركوري نيوز، ١٠ فبراير/شباط ٢٠١٣.الروابط:
www.mercurynews.com/scott-herhold/ci_22560549/herhold-jeremy-renner-gary-webb-movie-cia?IADID=Search-www.mercurynews.com-www.mercurynews.com

[١٣] انظر مارك لي هنتر ""قوة اصحاب المصالح الاعلامية في وضع جدول الأعمال – The Agenda-Setting Power of Stakeholder Media، كاليفورنيا مانجمينت ريفيو، خريف٢٠١٣.

ويمكن للمحاضر أن يشير إلى بعض الحلول مثل: ابتعد عن نشر قصص تسيء إلى معلنيك، فهناك العديد من القصص الأخرى– ابعث القصة إلى وسيلة لا تعتمد على هذا المعلن– ذلك أن الجمهور يحترم الاستقلال التحريري أكثر من احترامه للمعلنين. وعلى الوسيلة أن تسعى إلى زيادة توزيعها وأن تشجع المتبرعين على التبرع لها كي تتحرر من سيطرة المعلن؛ وإن حدث ذلك فستكون رسالة قوية ومحترمة للجمهور: نحن لا نتأثر بالمعلن.– تهديد المحررين والناشرين بقضايا التشهير:

هذا التهديد يكون محبطا للصحافي والوسيلة الإعلامية، إذ أن نفقات الدفاع مكلفة للغاية في أي مكان. وفي مرحلة ما بعد فضيحة"ووترغيت"، فإنه وفقا لإحدى الدراسات[١٥] فإن ٦٠٪ من دعاوى التشهير ضد الصحافيين كانت مجرد محاولات للتحرش بمن أجادوا عملهم. ورغم أن المحكمة العليا تحمي حق الصحافيين في نشر أعمال موثقة تنتقد أخطاء الشخصيات العامة، إلا أنه من الثابت أن الناشرين والمحررين باتوا أكثر خوفا من قضايا التشهير بعد "ووترغيت". وفي عصر العولمة، تم استخدام هذا التكتيك على نطاق واسع من قبل القلة المستبدة في اوروبا الشرقية التي تملك شركات ومنازل في بريطانيا حيث إن قوانين التشهير مواتية وتسعف المدعين وتجعل الدفاع فيها باهظ الكلفة. وبالمثل، فإن دعاوى التشهير والقذف في كينيا كافية لدفع أي صحيفة للإفلاس.

ويمكن للمحاضر هنا أن يثري الحوار بطرح المواد القانونية التي تتعامل مع جريمة التشهير في القانون الجنائي للنقاش. ففي فرنسا على سبيل المثال، هناك اختباران لتحديد ما إذا كانت جريمة التشهير قد وقعت:

الاختبار الأول: إذا كانت المعلومات التي نشرها الصحفي كاملة ومفهومة.
الاختبار الثاني: إذا كان الصحافي قد تصرف بحسن نية وذلك بتحققه من المعلومات.

أما في بريطانيا، فهناك اختبار آخر:هل توجد مصلحة عامة قوية في النشر؟
وقد يحتج طلبة – وبحق – على أساس أن القضاء الفاسد في دولهم يستهدف إرضاء أصحاب السلطة الذين لا يحبون الاستقصاء أو من يقوم به. وأفضل رد في هذه الحالة هو أن أصحاب السلطة يخافون ثورة الرأي العام، ولهذا فإنه يجب على الصحافيين أن يؤكدوا لجمهورهم أنهم لا يسعون إلا للمصلحة العامة وليس لأية مصالح شخصية.

[١٥] سام رايلي "القتال مرة أخرى: مالذي ينصف الصحافة ضد دعاوى التشهير التافهة
Fighting Back: What Redress Media Have Against Frivolous Libel Suits". دورية الصحافة، العدد ٥٩. الصفحات ٥٦٦–٥٧٢ (١٩٨٢).

- حدود النشر المضاد

فكرة أن الصحافة سلطة رابعة هي فكرة متأصلة في قيم هذه المهنة، إلا إن هذا الدور يعتمد بشكل كبير على قبول الرأي العام. فإذا لم يصدق الرأي العام بأن الصحافي يقول الحقيقة بشأن شيء مهم، فإنه لن يساعد هذا الصحافي. وإذا استشعر الجمهور بأن الصحافي يسعى إلى أهداف شريرة أو للانتقام، فإنهم سيستشعرون الخوف منه. (هذا ما جرى مع صحيفة "نيوز اوف ذا وورلد"، والنتيجة كانت تحالفاً ضم بعضاً من ضحايا النشر بما فيهم مشاهير وبرلمانيون وصحافيون وذوو طفل مقتول في واقعة استغلال بالهاتف. لقد نجح التحالف في تدمير القاعدة الإعلانية للصحيفة وتم اغلاقها فوراً.[١٦]

في نهاية سبعينيات القرن الماضي، ظهر الاستقصائيون أمام قطاعات من المجتمع وأمام زملائهم ورؤسائهم في المهنة على أنهم هجوميون وعدائيون، وبدا عملهم باعثاً على الاحباط أكثر من كونه مثيراً. وقد حذر أحد الباحثين من أن ذلك السيل الذي لا ينقطع من الأخبار السيئة سيؤدي في لحظة ما إلى إصابة الصحافيين ومستهلكي هذه الأخبار بأمراض ذهنية.[١٧] ورغم أن السماح للفساد بالانتشار قد يصيب البشر بالإكتئاب، إلا أن الأمريكيين في نهاية سبعينيات القرن الماضي بدوا وكأنهم سئموا الإنصات إلى أن بلدهم تحت إدارة نصابين ومسؤولين غير أكفياء. فكان انتخابهم لرونالد ريغان عام ١٩٨٠ مؤشراً على نهاية عصر "ووترغيت"، كما كان انتخاب وودرو ويلسون عام ١٩١٢ مرحلة فارقة أنهت عصر التقدمية؟ ففي مجلة "نيو ويست" وهي مجلة تحقيقات استقصائية رائدة في الساحل الغربي، أبلغ المالك وليام بروليز محرريه انه لا يوجد احد يهتم بشكاواهم.[١٨]

- القمع الرسمي:

الزمن الحالي هو زمن الصراع بين الحكومات من ناحية وبين الصحافيين والمدافعين عن الحريات من جهة أخرى. ففي مصر بدأت محاكمة ٣٤ عاملا في المنظمات غير الحكومية في قضية بدأها المجلس العسكري الذي تسلم إدارة البلاد من مبارك بعد تنحيه في ١١ فبراير عام ٢٠١١. واستمرت المحاكمة بتهم العمل لدى مؤسسات غير مرخص لها في مصر وتلقي تمويل حتى بعد تولي محمد مرسي الرئاسة، وذلك حتى تمت إدانة هؤلاء العاملين وهم أمريكيون ومصريون وأردنيون وفلسطينيون في يونيو/حزيران عام ٢٠١٣ قبل أن ينقلب العسكريون على مرسي ولكنهم لم ينقلبوا على الاحكام الصادرة على العاملين في المنظمات غير الحكومية.

كما استهدفت الصين النشطاء ضد الفساد.[١٩] أما قائمة القتلى من الصحافيين في روسيا، فقد وصلت إلى مستوى قياسي في زمن الرئيس بوتين[٢٠] وحتى الولايات المتحدة[٢١] التي لطالما اعتبرت المدافعة عن حرية التعبير، بدأت مؤخرا باضطهاد مسربي الأخبار وتعقب الذين يكشفون أسرار الحكومة مثل جوليان أسانج وإدوارد سنودن، ومن الصعب التنبؤ متى وكيف ستتراجع هذه الظاهرة.

[١٦] جاك هاسكينز "المشكلة مع الاخبار السيئة"، إريك كليرنغهاوس (١٩٨١)

[١٧] كتب هذا الكاتب المذكرة المكونة من ٣٠ صفحة في مجملها، لكن لم يعد لديه نسخة.

[١٨] أنظر الرابط: www.al-monitor.com/pulse/originals/2013/06/ngo-workers-sentenced-egyptian-court.html#

[١٩] انظر الرابط: www.voanews.com/content/china-puts-more-anti-corruption-activists-on-trial/1835904.html

[٢٠] يمكن الاطلاع على حساب مفصل وملاحق للمصادر عبر هذا الرابط:
http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_journalists_killed_in_Russia

[٢١] "حرب أوباما غير المسبوقة على "مسربي المعلومات"، الرابط:
www.salon.com/2012/02/09/obamas_unprecedented_war_on_whistleblowers

سيسأل الطلبة: ألا يعد ذلك أن الاستقصاء نذيرا لصناعة الاخبار ولمستقبلنا كاستقصائيين؟

ليس بالضبط، وفي هذا الشأن ينبغي التفكير في خدمة إنترسبت Intercept وهي وسيلة إعلامية خبيرة تكشف أنشطة وكالة الامن القومي الامريكي، والتي تقول:

"مهمتنا على المدى الطويل هي تقديم صحافة مضادة لا تخشى الخوض في عدد كبير من القضايا، وهو ما يجعلنا نضمن الاستقلالية التحريرية لصحافيينا الذين سيتم تشجيعهم لتقديم صوت مختلف ومميز ولنشر القصص، بغض النظر عمن يمكن أن تستثير غضبهم. ونحن نؤمن بأن القيمة الاساسية للصحافة هي سلطتها وقدرتها على فرض الشفافية والمحاسبة على أقوى الحكومات والشركات، في الوقت الذي سنقدم كافة الموارد والدعم لصحافيينا".[٢٢]

بمعنى آخر، فإن القمع الذي تمارسه جهات رسمية لم يقلل من رغبة الصحافيين في قول الحقيقة، وهو ما يفسر النهضة التي تشهدها الصحافة الاستقصائية في العالم والتي تحدثنا عنها في الفصل الرابع. فببساطة، الجمهور يريد صحافيين يدافعون عن المجتمع وخاصة إذا ما بدت الحكومة عازفة أو غير قادرة على ذلك. والأهم هو أننا ندرك أن الجمهور يرفض الاستقصاء الذي يستهدف مجرد توجيه الاتهامات من دون طرح حلول. وبالتالي، فإن على الصحافيين الاستقصائيين أن يدركوا أن الهدف من عملهم هو تحسين حياة الاخرين. ويجب أن ندرك أن الطلب مرتفع على مهارات هذه الفئة من الصحافيين في العالم مثلما هو الحال مع يسري فودة من مصر وعمر شيما من باكستان وميراندا باتروتشيش من البوسنة وإنج سبرينج من لاتفيا. وفي الوقت ذاته، فإن الجمهور لا يحب المعلومات الفارغة، وهو ما قد لا يكون ملحوظا في الدول حديثة العهد بالتحرر والتي شهدت هجمة من وسائل الإعلام الترفيهية التي جذبت قطاعا كبيراً من الجمهور بعيداً عن الصحافة الجادة، ومثل هذه الدول كثيرة في الدول النامية وحتى في دولة مثل إيطاليا. ولكن في الدول التي لديها سوق ناضج لوسائل الاعلام، فإن الوضع مختلف. ففي عام ١٩٩٠ أظهرت الدراسات أن ٧٤% من الامريكيين لديهم ثقة في وسائل الاعلام، ولكن بعد عشر سنوات تراجعت النسبة إلى ٥٨%[٢٣] ومع نهاية العقد الاول من الألفية الثالثة، تراجعت النسبة إلى ٢٣%.

[٢٢] الرابط: https://firstlook.org/theintercept/about/

[٢٣] سي دوهيرتي "الجمهور لا يتقبل مصداقية الصحافة". نيمان ريبورتس، صيف ٢٠٠٥:
www.nieman.harvard.edu/reports/article/101115/The-Public-Isnt-Buying-Press-Credibility.aspx

القصة الشفهية وعروض السوق

/٣ ساعات



في هذه المحاضرة يقف الطلاب في مواجهة زملائهم داخل الفصل يستعرضون قصصهم والأجوبة المتوقعة عن تساؤلاتهم في مرحلة البحث. وقد صمم هذا التدريب من أجل أن نضع أيدينا على أخطاء البحث والكتابة،. وفي هذه المرحلة يجيب الطلبة عن أسئلة الجمهور. والهدف التعليمي من هذا التدريب هو مساعدة الطلاب على ابتكار خطة قابلة للتنفيذ لإنجاز التحقيق.

ويمكن إجراء هذا التدريب في أية مرحلة أثناء الفصل الدراسي بمجرد أن يكتسب الطلاب المهارات اللازمة للتخطيط لإجراء تحقيق صحافي. ومع ذلك نوصي بأن يجري هذا التدريب قبل المحاضرات الأخيرة من المنهاج لأنه لو كان هناك قصور في أفكار الطلاب فسيتطلب ذلك منك ومن والطلاب وقتاً لتصحيحها. والخطط التي لا تلقى قبولا لعدم كفايتها، يمكن بل ويجب إعادتها إلى الطلاب لمراجعتها. وإذا لزم الأمر، يمكن للمحاضر أن يكلف الطلاب بموضوع أو أكثر للتحقيق، وفي هذه الحالة يجب عليه وضع خطة التحقيق أولا حتى يستطيع أن يضع مؤشرات لتقييم جهد الطلاب.

إذا كان عدد الطلاب كبيرا يمكنك أن تطلب منهم أداء التدريب ضمن مجموعات على ألا يزيد عدد الطلاب في كل مجموعة عن خمسة. أطلب من كل طالب أن يحدد قدر مساهمته في العمل الجماعي. وستتعامل العروض التي يقدمها الطلبة مع عنصرين مختلفين؛ قصة التحقيق وجمهوره المستهدف:

١. يجب تعريف التحقيق من خلال الفرضية والجدول الزمني وخارطة المصادر، المصادر المفتوحة وبعض المصادر السرية على الاقل. ويجب أن يعطي العرض فكرة واضحة عما يتوقع الطلاب إيجاده، وكيف ينوون الوصول إليه. كما يجب أن يشرح أهمية التحقيق - للمجتمع والطلاب الذين يقومون به، من حيث التفكير في من ستتغير حياته بناء على التحقيق؟ وكيف؟ وما الذي سنعرفه ولم يكن معلوماً لدى عامة الناس أو كان مخفياً؟

   ويرجى الانتباه لاحتمال أن يقوم بعض الطلاب بتقديم خلاصة عما هو معروف بالفعل في قضية بعينها. قد يصلح هذا لعمل وثائقي، ولكنه لا يصلح بالضرورة لاستقصاء. بمعنى آخر، يجب على الطلبة إيجاد شيء لم يكن معلوماً أو كان منسياً. ويجب أن تُحدث قصتهم تغييرا ما عبر هذا الكشف.

٢. سيتم التواصل مع الجمهور عبر وسائل إعلامية محددة. لذلك اسأل الطلاب عن الوسيلة التي يعتزمون النشر فيها ولماذا. بالرد على هذا السؤال يكونون قد تحروا خياراتهم المهنية.

سيكون على الطلاب تنفيذ المهام التالية:

أ– تحديد الوسائل الإعلامية في القطاعات التي اختاروها والتي تنشر تحقيقات استقصائية. ولتحقيق أهداف هذا التدريب فإن التحقيق الاستقصائي هو أية قصة تقدم معلومات قيمة لمشاهديها قام الصحفي بكشفها، والوسيلة الإعلامية، ولم تقدم لهم جاهزة دون عناء.

ب– من بين هذه الوسائل الإعلامية يمكنهم اختيار واحدة للدراسة المستفيضة. وإن أمكن، يجب الحصول على مادة تحدد خصائص الجمهور الرئيسية (السن، الطبقة، الجندر، الثقافة، الدخل). وبالنسبة لوسائل الإعلام التجارية، يمكنك الحصول على تلك المستندات من إدارة الإعلانات. وبخلاف ذلك يمكن للطلبة تكوين فكرة عن الجمهور المستهدف من هيئة وموقف الوسيلة الإعلامية وردود فعل المشاهدين (آرائهم، خطاباتهم، رسائلهم، أحاديثهم). ثم يمكنهم تعريف:

- من هم من الجمهور؟ (يجب أن يتضمن الأعمار المحتملة والجندر)

- ما هو مجال الموضوعات الاستقصائية، - ثقافة، سياسة، أعمال...إلخ؟ هل يبدو أن وسائل الإعلام ترحب بالعمل الاستقصائي ومنفتحة عليه؟

- ما هي القوالب الصحافية التي تصاغ فيها تلك التقارير - تقارير كاشفة (تنبش الحقائق)، تصوير شخصيات، قصص رحلات أو أي نوع آخر؟

ج– بدلا من استخدام المواقع الإخبارية، يمكن للطلبة استخدام مواقع منظمات غير حكومية أو منظمة مجتمع مدني في القطاع الذي ينشر تحقيقات استقصائية (مثل موقع منظمة السلام الأخضر (greenpeace.org) لمعرفة كيفية اختلاف مثل هذه التقارير عن التحقيقات الاستقصائية في الصحف والمجلات؟ من هو جمهورها؟

د– أو يمكنهم أداء التدريب مع وسائل إعلام متخصصة في مجال الأعمال تغطي صناعة بعينها (مثل تكنولوجيا المعلومات أو الغاز أو النفط ...إلخ).

ه– يمكن للمحاضر أن يدعو ممثلا عن واحدة أو أكثر من وسائل الإعلام - صحيفة، إذاعة، تلفزيون، مطبوعة تجارية أو منظمة غير حكومية - لحضور المحاضرة ومناقشة كيفية إجراء تلك التحقيقات ونشرها/ بثها (متضمنة موضوعات مثل التدقيق القانوني والترويج). ويمكن للمحاضر في هذه الحالة أن يستخلص التحقيقات الاستقصائية التي نشرتها حديثا الصحيفة أو المنظمة غير الحكومية ويستعرضها مع الطلاب قبل الزيارة.

تتلخص أهداف هذا التدريب في ما يلي:

١. تطوير الحاسة النقدية لدى الطلاب بشأن وسائل الإعلام التي يجدر بهم العمل فيها.

٢. أن يعرف الطلاب أن التحقيقات الاستقصائية يمكن أن تستخدم في أنواع مختلفة من الإعلام.

٣.على المحاضر أن يساعد الطلبة في إدراك قيمة جهدهم في سوق العمل داخل مؤسسات صناعة الأخبار وخارجها. وتلك مسألة مهمة، ذلك أن مؤسسات صناعة الأخبار على مستوى العالم لم تعد تقدم على تعيين أغلب العاملين فيها من خريجي كليات الصحافة. ومن حسن الحظ أن الصحافة الاستقصائية لم تعد مجالا مقتصرا على أغلب الصحف والمجلات الخبرية فقط، بل باتت تقوم بها هيئات غير حكومية وصحف تجارية. ورغم أن مؤسسات صناعة الأخبار تظل سوقا مهمة للصحافيين الاستقصائيين، إلا أن على الطلاب تعلم كيفية تحديد الأسواق الجديدة وفتحها والالتحاق بها.

في أغلب الأحوال يكون المحاضر على دراية بأهم المنافذ الإعلامية والمجلات الرئيسية في منطقته، إلا أنه يتعين عليه في الوقت الراهن أن يدعم جهدا مكثفاً لتحديد منافذ أخرى لعمل الطلبة. كما أن التدريبات ستساعده على الإلمام برغبات الطلبة لأنهم سيختارون الوسائل الإعلامية التي يفضلونها.

إذا نجح التدريب فإن الطلبة سيتحمسون نظراً للفرص العريضة التي ستتاح أمامهم - وليس فقط بالمساهمة في وسائل الإعلام القائمة، بل قد يمتد الأمر إلى تأسيس وسائل إعلام تلبي الاحتياجات غير المشبعة.

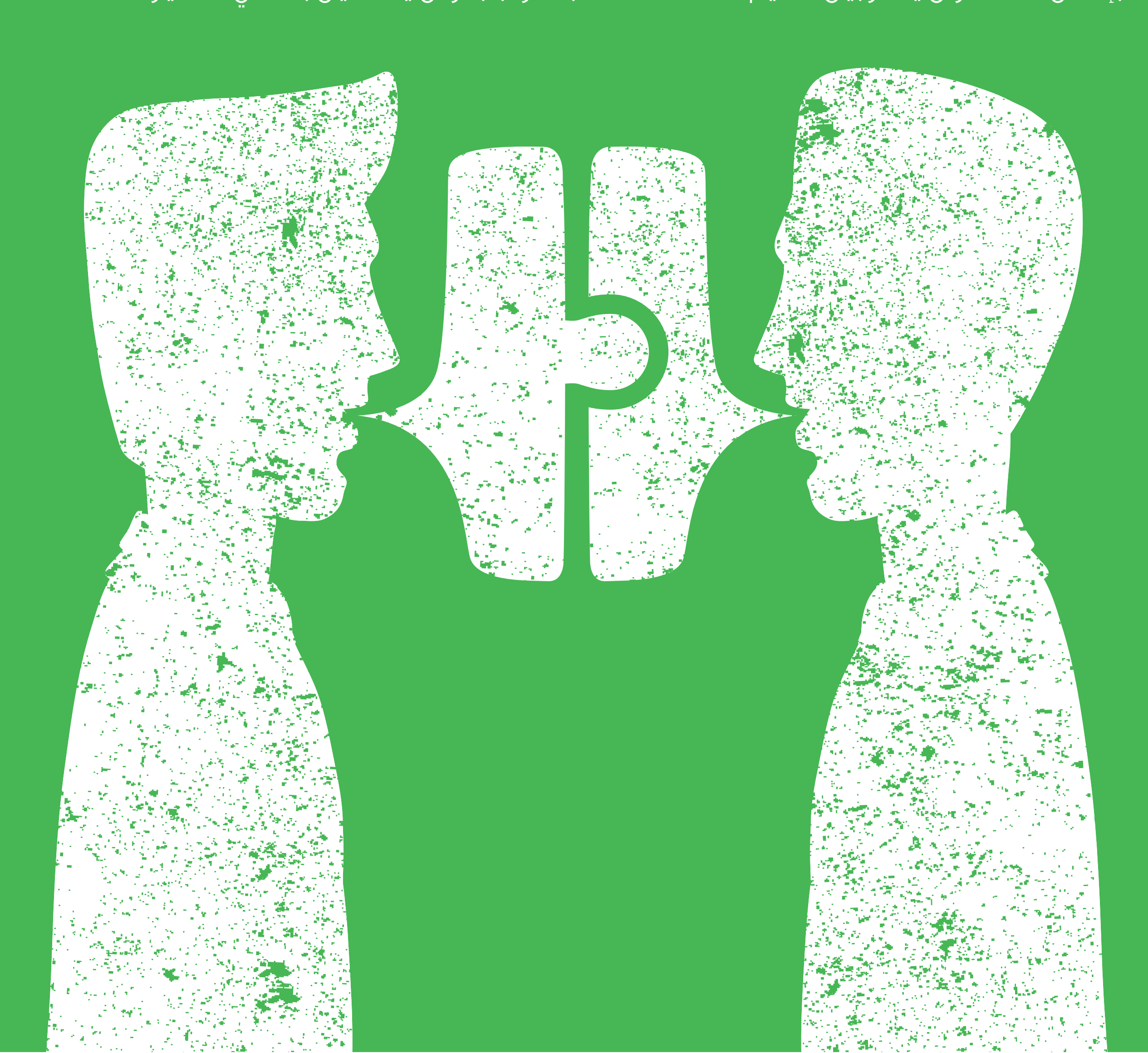
العثور على نماذج: نقاش في الفصل لواجب قراءة وضيف محاضر

/٣ ساعات

قراءة تحضيرية (اختياري)

الصفحات من ٢٧–٦٥ من كتاب "القصة تقول الحقائق" لمارك هنتر ولوك سينجر،
(Hunter and Sengers, op. cit., The Story Tells the Facts, pp. 27-65).

بإمكان المحاضر أن يختار بين تقديم هذه المادة لطلابه كواجب او أن يستعين بها في تحضيراته.



مقدمة

ننصح بأن يخصص المحاضر وقتاً دورياً في الفصل لمناقشة قصص استقصائية مطبوعة ومصورة أو إلكترونية؛ وهي القصص التي ينبغي أن تقدم للطلبة ليقوموا بمراجعتها والإطلاع عليها قبل المناقشة. كما ننصحه بدعوة صحافي محترف له تحقيقات مهمة منشورة. وفي كلتا الحالتين، فإن الهدف من التمرين هو صقل ذوق الطلبة وخبراتهم وحسن تقديرهم فيما يتعلق بالقصص الاستقصائية.

وللأسف، فإن قليلا من الطلبة يتذكرون اسم صحافي استقصائي واحد، ولعل عددا أقل منهم يقومون من وقت لآخر بدراسة تحقيقات بعين ناقدة. هذه الظاهرة تؤدي إلى نتائج سلبية، ومن بينها أن الطلبة سيحاولون ابتكار حلول أثناء العمل–وفي الأغلب سيفشلون- في حين أن محترفين سبقوهم إليها، ويمكنهم بالإطلاع على عملهم أن يبدأوا من حيث انتهى منه الآخرون. وفي هذه الحالة، فإنهم سينظرون إلى هؤلاء المحترفين وكأنهم ظواهر خارقة بمهارات استثنائية، بدلا من أن ينظروا إليهم كممارسين محترفين يمكن أن يكونوا نماذج في سياق عملية تعلم مستمرة؛ فالمحترفون يتعلمون من بعضهم البعض. ولا يوجد سبب لكي لا يفعل الطلبة الشيء ذاته.

أولا: تعظيم الفائدة من المحترفين

استخدام عمل الأستاذ (المحاضر) كأنموذج: يمكن لأول صحافي محترف سيحاضر في الطلبة أن يكون أستاذا يدرّس في الجامعة، إذا كان قد قام بنشر تحقيقات. والميزة في استقدام هذا الأستاذ/ الصحافي المحترف هي أنه يمكنه أن يوثق للطلبة كيف لمعت الفكرة في ذهنه، ثم كيف اختمرت، ثم كيف نفّذها، وذلك قبل أن يقوم بنشرها.
في الوقت ذاته، ثمّة احتمال أن يقوم الطلبة بنقد هذا العمل، وهذا التوجه يستدعي من الأستاذ الزائر أن يكون صريحا في المواضع التي فشل فيها. فالإخفاق يعد خبرة مهمة. أيضا، فإن على الأستاذ الزائر ألا يعطي إنطباعا للطلبة بأن أنموذج العمل الذي يطرحه هو أنموذج مطلق ومجرد؛ فالطلبة بحاجة إلى العديد من النماذج المختلفة.

وفي مثل هذه المناقشة بين الأستاذ الزائر والطلبة ننصح بأن تتضمن المناقشة:

١. أصل القصة.
٢. الأساليب الخاصة في البحث– من دون كشف هوية المصادر– بما في ذلك المشكلات التي
٣. واجهها وكيف حلها أو لم يحلها.

٤. الأساليب الخاصة التي اتبعها في تنظيم المادة.
٥. الأساليب الخاصة التي استخدمها في بناء وصوغ القصة وقراراته فيما يتعلق بأسلوب الكتابة. كيف تم النشر والترويج.
٦. نتائج العمل بعد النشر – جدل عام أو إصلاحات قانونية.
٧. وكل هذه العناصر متاحة في كتاب الحالات والنماذج المرفقه - كملحق لهذا الفصل – والخاص بالصحافة الاستقصائية العالمية.

مبادئ عامة:

هل يمكن أن يؤدي عرض قصة معينة إلى نتائج سلبية أكثر منها إيجابية؟وما هي المبادئ الأخلاقية التي ينبغي على الصحفي أن يحترمها في هذا الصدد؟ والإجابة: إن أية قصة جيدة يجب أن تترك طالما تم وضع الحلول لها.

على سبيل المثال: إذا قرر الأستاذ استبعاد مادة معينة من القصة، فيجب أن يطرح قراره هذا للمناقشة مع الطلبة الذين يمكن ان يختلفوا معه في القرار. وفي هذه الحالة، لا ينبغي على الأستاذ أن يقف موقف المدافع؛ فعلى الطلبة أن يدركوا أن المحترفين يتخذون قراراتهم تحت ضغوط صعبة وأن الحلول المثلى ليست دائما متاحة، والهدف في النهاية هو تدريب الطلبة على حسن التقدير.

مزيد من الأساتذة المحترفين الزائرين

طبقا لخبراتنا، الأستاذ الزائر الأشهر لا يكون بالضرورة هو الأكثر إلهاما للطلبة– رغم وجود استثناءات مثل يسري فودة– وإنما الأفضل هم من يحبّون عملهم ويمارسونه باقتدار، وفي هذا بعض من المخاطر:

١. في بعض الأحيان يتقمص الصحافيون شخصية الشيوخ والبرلمانيين ويعتقدون أن دورهم هو إطلاق بيانات عن حرية التعبير وحرية الصحافة. وهذه القضايا ينبغي إذا أثيرت ألا تتم بشكل مجرد، بل يتم ربطها بأحداث معينة وبالآثار المترتبة على ممارسة المهنة، مثل محاكمات تجري تحت مسمى التشهير أو في حالة تتعلق بتكميم أفواه الصحافة والصحافيين.

٢. على الصحافيين المتمرسين أن يمدوا الطلبة بملخصٍ وافٍ عن كيفية قيامهم بالعمل، وبالتالي، تكون المحاضرة محتوية على عنصر الترفيه والتشويق أكثر من مجرد كونها تلقينية. وجميع هذه العناصر يمكن العثور عليها في كتاب الحالات والنماذج الملحق بهذا الفصل.

٣. ينحو العديد من الصحافيين إلى الشكوى، وبذا قد يقدمون صورة محبطة عن المهنة للطلبة. ولهذا يمكن أن يطلب من الأستاذ الزائر أن يركز على الجوانب الإيجابية لهذه المهنة.

ويفترض أن لا يخجل المحاضر أو يتردد في لعب دور المحاور للأستاذ الزائر، وبخاصة فيما يتعلق بكيفية إنجازه لتحقيق ما وبشكل محدد، مثل: كيف حصلت على هذه المعلومة بالذات؟

في أحيان كثيرة يطرح الطلبة أسئلة مداهنة مثل: ألم تكن خائفا؟ وهنا يجب على المحاضر أن يطرح السؤال بشكل مختلف حتى يبث الثقة في نفوس الطلبة مثل: ما هي المخاطر التي كنت تفكر بها وقدّرتها؟ وكيف نجحت في تخطيها؟

سيكون مفيداً أن تطلب من الطلبة كتابة تقرير عما استفادوه من الأستاذ الزائر، ويمكن ان يكون ذلك تمريناً يعطى عليه درجات. وهذا يتطلب تنبيه الجميع لحضور هذه المحاضرة؛ فالتخلف يعطي انطباعات سلبية شديدة.

ثانيا: تطوير نماذج لصحافة الاستقصاء العربية

- كيف يمكن للطلبة أن يساهموا في بناء أرشيف للأعمال الاستقصائية المتميزة؟

حتى لحظة كتابة هذا المنهاج، فإن من المسلم به أن شبكة أريج هي المتميزة في هذا المجال على مستوى العالم العربي. ويمكن الرجوع إلى موقع شبكة أريج الالكتروني www.arij.net والذي يعد مصدرا رائعا في هذا الصدد. إلا أن ذلك لا ينبغي أن يؤخذ على إطلاقه في ضوء تاريخ الصحافة الاستقصائية في العالم العربي.

فقبل عام من وضع هذا المنهاج، طلبنا من المشاركين في حلقات بحثية بعدة دول عربية أن يعدّدوا صناع أفلام استقصائية يمكن أن يعدّوا من المتميزين في هذا المجال في المنطقة؛ فلم ينجح في الإجابة عن هذ السؤال سوى قلّة من المشاركين. وهذه ثغرة ننصح كلا من المحاضر والطلبة أن يسدّوها ليس فقط من خلال العمل الاستقصائي، ولكن أيضا من خلال الكشف عن نماذج متميزة في هذا المجال تم تجاهلها أو غض الطرف عنها أو ذهبت طي النسيان. وهذه المهمة لن يقدر عليها سوى الصحافيين المتحدثين بالعربية.

بناء أرشيف يكون بمثابة تأريخ وتأصيل للأعمال الاستقصائية العظيمة ليس هدفاً هيناً ولا ثانوياً، وإنما هو بمثابة تأسيس مصدر يعد أساسا يمكن البناء عليه. وفي هذا الصدد، نقترح أن يقوم الطلبة بهذه المبادرة، والتي من خلالها سيجدون صحافيين تعد أعمالهم نماذج على عدة أصعدة. يمكنك أن تمنح الطلبة درجات تتواءم مع مدى نجاحهم في هذه المهمة، بما في ذلك قيامهم بعرض نتائج عملهم كتابة وشفاهة على لوحة إيضاح (سبورة). ويمكن اختيار إحدى هذه القصص مادةً للنقاش داخل الفصل، لتحقيق الأهداف التالية:

- سيتعلم الطلبة أنهم لن يبدأوا من الصفر؛ فهناك من سبقوهم إلى هذا العمل، وهناك آخرون سيقتفون أثرهم فيما بعد.
- سيبادرون لإنشاء سجل بأساليب عملهم ومناهجه من خلال ملاحظتهم لكيفية قيام من سبقوهم بحل المشكلات التي واجهتهم.
- سيقدمون على تطوير مهاراتهم في السرد بفضل استيعابهم لمهارات من سبقوهم في ذلك.

وسنطرح شكلا لـ "تقرير حول تقويم العمل الاستقصائي" تم تصميمه لكي يتدبر الطلبة إسهامات كاتب القصة الإستقصائية ومضامينها. وللمحاضر أن يقرر طول هذا التقارير التي ننصح بأن تتحول إلى قاعدة بيانات متاحة للممارسين والأكاديميين في العالم العربي.

تقرير تقويمي للعمل الاستقصائي

المؤلف:
العنوان :
تاريخ النشر أو البث:
(يلاحظ قبول الأعمال التاريخية)

ملخص:
وهو عبارة عن وصف القصة بما لا يزيد عن صفحة واحدة. وإذا كانت القصة خيالية، يجب شرح أسباب الاهتمام بها من وجهة نظر استقصائية.

الاهتمام المهني:
ما الذي يجعل القصة تستحق الاهتمام من الناحية الحرفية أو المهاراتية؟ فهل نجح المؤلف في الوصول إلى شهود لم يصل إليهم أحد من قبل؟ هل استخدم المؤلف معلومات متاحة للعامة بشكل جديد؟ ما هي الكشوفات المتميزة التي قدمها؟

الاهتمام بالجانب الجمالي:
كيف تم سرد القصة؟ هل استخدم المؤلف في سرده ضمير المتكلم أم استخدم ضمائر أخرى؟ هل طوّر استراتيجيات في السرد؟ هل أدت تفاصيل معينة إلى النتيجة المرجوة منها؟ وكيف؟ هل كانت قوة الدفع في السرد حاضرة طول الوقت؟ وكيف؟ هل وصلت القصة في ذروتها إلى نتيجة مرضية؟

الاهتمام الاجتماعي:
ماذا لو أحدثت القصة تغييرا مجتمعيا؟

- مناقشة الفصل لأساليب السرد

يمكن للمعلم أن يختار قصة أو أثنتين من القصص التي اقترحها الطلبة، أو تلك المتاحة على موقع شبكة أريج لمزيد من النقاش. ويمكن للأستاذ اختيار القصة التي يمكن الإضافة إليها من خلال تحرير أفضل أو من خلال اختيارات لقصص أخرى؛ وهذا يجوز في حالة معظم القصص التي تحتوي بعض العناصر أو الجوانب التي يمكن أن يتم تحسينها. توزع القصة على الطلبة لقراءتها قبل المحاضرة، ويمكن لهذه الأسئلة أن تكون دليلا للمناقشة، ويمكن للأستاذ أن يطلب من الطلبة إعداد أجوبة لها قبل المحاضرة:

– كيف يمكنك أن تلخص القصة في جملة أو جملتين؟ هل عملية تلخيص القصة تسهل عملك؟ بمعنى آخر، هل مغزى ومضمون القصة واضح للفهم؟ هل تتضمن القصة تلخيصا في بدايتها، وهذا يعرف مهنيا بالفقرة الجامعة، الجملة العقدية أو الفقرة الجوهر؟ وإذا كان ذلك، فأي فقرة تلك؟

– كيف يبدو الإطار الزمني للقصة؟ وهل في القصة بناء؟ وما هي قواعد هذا البناء؟ وهل البناء واضح؟

- من هو بطل أو أبطال القصة؟ وكيف تم تقديمه أو تقديمهم للقارئ؟ ما الذي علمناه عن البطل؟ وهل ستتذكر البطل أو الأبطال بالشكل الذي قدم أو قدموا به؟

ماذا كان هدف البطل في القصة؟ وكيف حاول أن ينجز هذا الهدف؟

- هل هناك صراع أو حدث غير متوقع منع البطل من تحقيق الهدف؟ كيف استجاب البطل لذلك؟ وكيف قاوم من منعه من تحقيق هدفه؟

- هل يوجد في القصة خصم للبطل؟ وماذا يريد أن يحقق؟

- كيف تبدأ القصة في الفقرة أو الفقرات الافتتاحية؟ وهل هي محدّثة بشكل كاف؟ وهل كان هناك بديل أفضل؟

- ما تقييمك لعنصر السرعة في إيقاع القصة؟ وهل تدفعك لمواصلة القراءة؟ أم أنها فشلت في ذلك، أين، ولماذا؟ هل تجد بعض الفقرات أكثر طولا مما يجب؟

- كيف صنع المؤلف الإثارة والترقب؟ وهل صور ذلك وأوحى به؟ هل استخدم أسلوب الإثارة؟ هل نجح في خلق حوارية بين متناقضات (الضد والضد)؟ هل استخدم الاستعارات؟

- ما هي تفاصيل الوصف في القصة، بما في ذلك الأماكن والناس والأفعال؟ هل نجح المؤلف في مخاطبة كل الحواس (النظر والسمع والإحساس)؟ لو كنت مكانه ماذا كنت ستصف؟ ما تأثير التفاصيل في القصة؟ هل تسرع التفاصيل قراءتك أم العكس؟

- هل معد التحقيق حاضر في القصة؟ أين وكيف؟ هل يضايقك حضوره؟ وما تأثير حضوره في القصة؟

- هل تتكلم الشخوص في القصة؟ هل تتكلم من خلال حوارات أم من خلال اقتباسات عنها؟ وما تأثير ذلك؟

- كيف تنتهي القصة؟ وهل تعجبك النهاية ولماذا؟ هل كان يمكن أن تكون هناك نهاية بديلة؟ ما هي؟ هل هي حقا نهاية، أم مجرد ختام للقصة؟ هل يمكن حقا كتابة نهاية لقصة اخبارية؟ كيف يمكن التعامل مع هذه المشكلة؟ ملحق: دليل ختامي للمؤلف... كتاب النماذج والحالات للصحافة الاستقصائية الدولية (اليونيسكو ٢٠١٢)

- كيف ومتى بدأت القصة؟ هل بدأت بمعلومة من مصدر؟ أو بملاحظة شخصية؟ هل انتهيت بالقصة التي بدأتها؟ بمعنى آخر، هل تحولت فكرتك المبدئية بمرور الوقت إلى أخرى؟

- ما هي الوثائق التي سعيت اليها بما فيها الالكترونية؟ هل وجدت استحالة في الحصول على وثائق معينة؟ وإذا كان الأمر كذلك، كيف تعاملت مع هذه المشكلة؟ إذا كنت تعاملت مع بيانات، فهل وجدت صعوبة في ذلك وفي جعلها قابلة للاستخدام؟

- هل يوجد في بلدك قانون لحرية الحصول على المعلومات؟ إذا كان الجواب نعم، هل استخدمته؟ واذا أجبت بنعم، ما هي النتائج؟

- صف باختصار استراتيجيتك في البحث؛ هل تبدأ بالوثائق أم بالمصادر البشرية؟ هل تضع خارطة بالمصادر والأماكن الواردة في القصة؟ متى تبدأ في تنظيم المادة التي جمعتها أثناء عملك؟ هل تفعل ذلك بشكل دوري وعلى فترات أم منذ بداية مرحلة الكتابة، أم لا تفعل ذلك إطلاقا؟ وهل تستخدم نظاما معينا في تنظيم المادة؟

- إذا كان عليك أن تنصح شخصا بأسلوب أو أسلوبين في البحث تراهما أساسيين، فما هما؟

- ما هو رد الفعل على عملك؟ هل تغير شيء نتيجة له؟ هل توجه أحد لك بالشكر؟ هل حرّك أحدهم قضية ضدك؟ هل أجريت تصحيحات أو توضيحات على التقرير؟ هل شكّك أحد في دقة ما ورد في القصة؟ إذا كانت الإجابة بنعم، يرجى التوضيح.

- ما العقبات الأكثر صعوبة التي واجهتها أثناء التقصي واضطررت للتعامل معها في القصة من حيث: المادة؟ الناحية النفسية؟ والسياسية؟ وكيف تعاملت معها؟ مثال على ذلك: هل كنت مضطراً أن تعمل على مشاريع قصص أخرى في ذات الوقت لأسباب مادية؟ هل أزعجتك مصادر ما؟ هل حذّرك أحدهم من التحقيق وكتابة القصة ونشرها؟ هل استشعرت حاجة لداعمين وحلفاء لمساعدتك؟

- أين ساعدك الحظ في هذه القصة؟ ولماذا كان للحظ أهمية في هذا الجزء؟ وما الذي سبق هذا الحظ؟ بمعنى آخر: ما الذي يجب عمله لزيادة حظوظك؟

- هل تستخدم منهجا للكتابة؟ هل تستطيع أن تصفه؟ هل عثرت علي أي شيء يجعل الكتابة أكثر كفاءة وكفاية أو أكثر سهولة؟

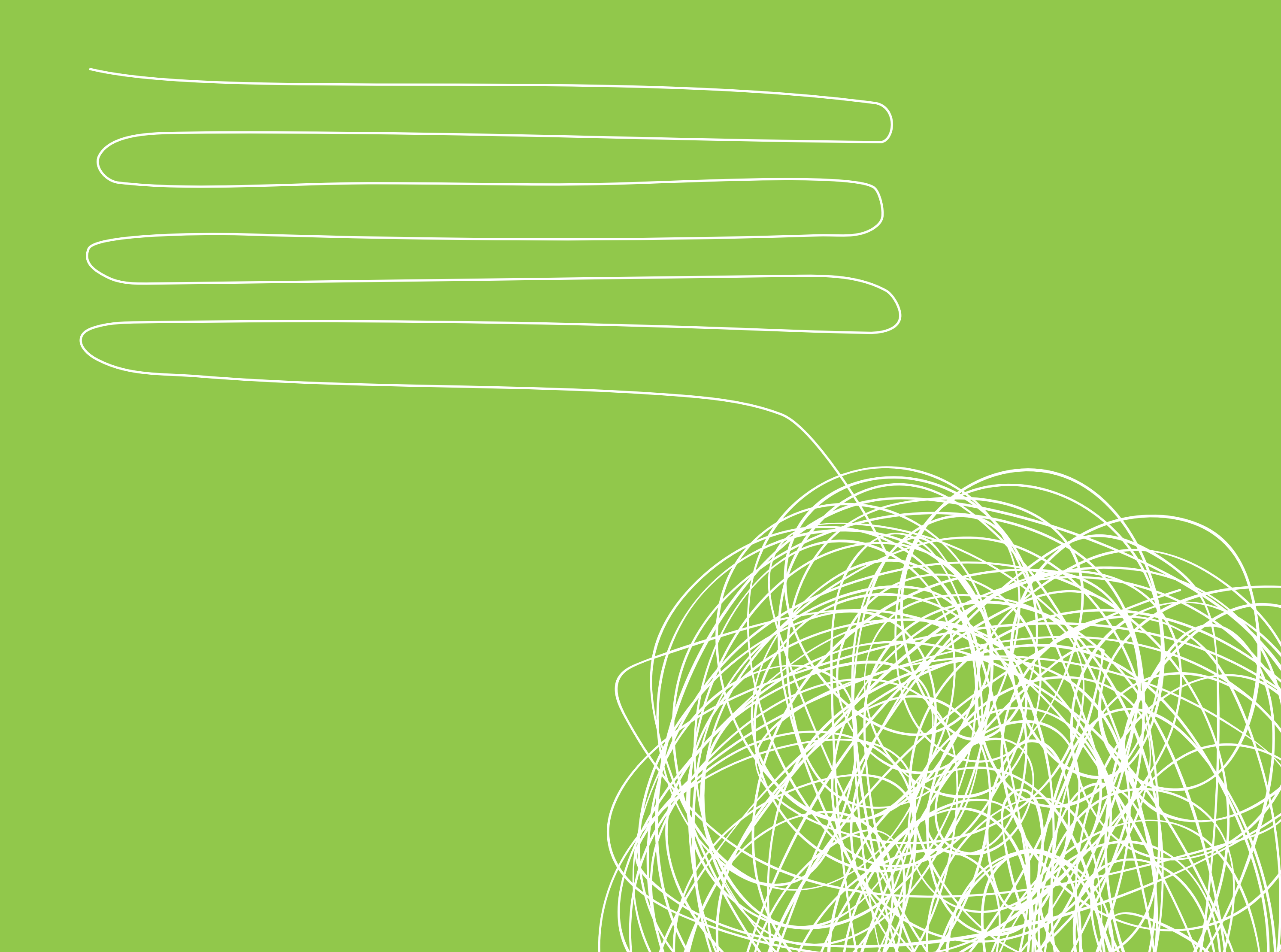
- أخيرا، ماذا فعلت - إن كنت فعلت - لزيادة تأثير القصة عند نشرها؟ وهل كان لما فعلته تأثير؟ هل أنت راض عن نتائج القصة؟

صياغة (سرد) قصص التحقيق

/ساعة ونصف

قراءة تمهيدية:

مارك لي هنتر: الفصل السادس المعنون "كتابة التحقيقات" الصفحات من ٦١–٧٤، من كتاب "على درب الحقيقة" – دليل أريج – الفصل السابع "ضبط الجودة": تقنيات وأخلاقيات" الصفحات من ٧٥–٨٢ - أيضا: "القصة تطرح الحقائق" مارك هنتر وريك سينجزر. الصفحات من ٢٧–٦٥"



مقدمة

تتمثل محصلة هذه المحاضرة بقيام الطلبة بصياغة قصة من ٤-٦ صفحات متتبعين فيها الخطوات التي تم عرضها شفاهة في الفصل الرابع عشر. وهذا سيكون آخر تكليف لهم في هذا الفصل الدراسي ويجب أن تخصص له حصة كبيرة من درجاتهم.

قد يكون التحقيق متواضعاً في المستوى لأسباب عديدة منها ضيق الوقت؛ لا يمكننا بناءً على ذلك أن نتوقع أن ينتج الطلاب تحقيقاً متكاملاً عن قضية اجتماعية أو سياسية كبرى. ولكن يمكننا توقع قصة تتسم بالأصالة لكونها تكشف أمراً كان مجهولاً أو متجاهلاً. وقد تكمن أصالة القصة أيضاً في حقيقة أنها تكشف عن كذب رواية رسمية أو لكونها رواية غير مكتملة. فإذا جاءت القصة واصفة للمشكلة، وطارحة للحل، أو منوهة عن شخص أو مؤسسة مسؤولة عن حل المشكلة، فإنها قصة جيدة.

يمكن للمحاضر انتهاز فرصة المحاضرة فيسمح للطلاب بفرصة تحديث العرض الشفهي الذي سبق وقدموه وإدخال التحسينات على مقترحاتهم. وبشكل خاص، يمكن للمحاضر أن يقوم بدور نقدي لما يطمح إليه الطلبة من خلال مشاريعهم. وسيرى الطلاب بصفة عامة طيفاً واسعاً من الاحتمالات في مقترح ما. ويجب ان تصر على أن يختاروا واحدا منها - الأكثر جدوى من حيث التنفيذ- ويتم التركيز عليه. ذكّرهم أنه يجب عليهم إنشاء ملف رئيسي، كما سبق وأرشدتهم، ويمكنهم دائما العودة إلى المحتوى وتطويره

يبدأ عدد كبير من التحقيقات المهمة عندما يكون الصحافي بصدد عمل قصة إخبارية لتغطية زاوية ما بشأن أمر تتكشف أهمية أكبر له.[1] في مثل هذه الحالات يظهر نمط مشترك؛ عندما يحرك الموضوع حاسة المحرر، وهي تلك اللحظة التي يبدأ فيها الصحافي بتطوير مهارات جديدة وتعزيز الثقة بالنفس.

في واقع الأمر، إن القصة هي التي تقوم بتدريب الصحافي. لذلك، ليس من المهم إذا كان الطلبة سيتناولون موضوعا ذا قيمة كبرى؛ فما يهم بالدرجة الأولى هو أن الطلاب بإجرائهم التحقيق يكتسبون خبرات لم تكن لديهم من قبل (على سبيل المثال: بدلا من التحقيق في مشكلة اجتماعية وتأثيرها في المجتمع بأسره، يمكن للطلاب تحري كيف أثرت تلك المشكلة في فرد بعينه. وبدلا من اختراق حلقة إحدى الجرائم، يتحرى الطلاب تأثير تلك الجريمة في حياة سكان حي ما).

قد يبدو هذا جليا، إلا أننا نؤكد لك أنك ستصادف كل عام طالباً يحلم بتحقيق سبق صحافي يحقق له الشهرة على الفور. ولسوء الحظ فإن هذا النوع من الطلاب هو من يفشل في إنتاج تحقيق صالح للنشر. وعلى الأستاذ المحاضر أن يستغل هذه المحاضرات الأخيرة في تصحيح تلك الاتجاهات. فنحن لا نريد أن نحبط الطلبة، لكننا لا نريد لهم الفشل أيضا. إسألهم عن كيفية تحقيق أهدافهم، وإن لم يستطيعوا الإجابة بمنطقية أطلب منهم العودة لمراجعة خطة التحقيق أو أهدافه.

[1] تحقيق كريس دي ستوب التاريخي حول الإتجار بالنساء في بلجيكا والتحقيق الذي أجرته آن- ماري كاستريت حول فضيحة الدم الملوث في فرنسا مثالان بارزان. كلا التحقيقين تم توثيقهما في كتاب مارك لي هنتر "الصحافة الاستقصائية في فرنسا والولايات المتحدة"، مطبعة الجامعات الفرنسية ١٩٩٧.

تتيح لك هذه المحاضرات أيضا الفرصة لتذكير الطلاب بأن مهمتهم الرئيسية وهدفهم هو رواية قصة. إن شيئا لن يتغير لو فشلوا في هذا وإن جزءًا من جهدهم - أو جلّه- سيذهب هباء. ويجب على الطلبة أن يدركوا أنهم لا يقومون بتجميع معلومات، بل يستخدمون المعلومات من أجل صوغ قصص حقيقية لها معنى، وهذا ما يجعل منهم صحافيين.

قد تساعد الأساليب التالية في تبسيط عملهم. وهي تركز على بناء القصة التي هي كبرى المشاكل التي يواجهها الطلاب. لأن التحري ينتج كما كبيرا من المحتوى، وبالتالي، فإن الطلبة غير المدربين سيغرقون فيه. وهذه التقنيات المطلوبة بسيطة.

ا- استكمال وإعادة هيكلة الملف الرئيسي

تبدأ عملية الكتابة قبل أن يشرع الطلاب في صوغ مسودة القصة

- تحويل المعلومات إلى بيانات - ما يعني منحها هيكلا وترتيبا - وتجهيز نسق لإنشاء سرد القصة.
- يمكن نقل بعض المعلومات - وبصفة خاصة تصريحات مهمة للمصادر الحية أو الوثائقية - مباشرة إلى القصة.
- الأفكار والرؤى التي تخطر لنا اثناء تحقيق القصة والتي عادة ما تكون ذات أهمية كبرى أيضا.

كل هذه الملامح ستوجد في الملف الرئيسي عندما نجيد إعداده، لذا يرجى التأكد من فهم الطلبة لكيفية إعداده. سيكون من المجدي أن تراجع بسرعة الملفات الرئيسة التي تم البدء بإعدادها في الفصل الخامس عشر. وإن لم يقم الطلاب بإضافة شيء لها منذ ذلك الحين، قم بتحري الأسباب منهم.

أ- اختيار بناء (سرد) القصة

قمنا بتوصيف بنائين نمطيين وتجريبيين لسرد القصة في دليل الصحافة الاستقصائية: أولهما قائم على التسلسل الزمني وثانيهما قائم على الشكل الملحمي التصويري. يناسب النمط الأول القصص التي يشكل فيها مرور الزمن عاملا مؤثراً رئيسياً في تطور القصة، مثل كتابة الجرائم والسير الذاتية أو لمحة عن حياة شخص ما، أو تحقيق عن سوء تطبيق سياسة ما. أما الهيكل الملحمي، فأكثر ما يناسبه هو قصص تتناول ظواهر تتكرر في أماكن متفرقة، ويلائم أيضا صناعة الفيلم حيث نتحرك بالكاميرا من مكان إلى آخر.

ويجب تكليف طلبتك بقراءة الفصول المناسبة من دليل الصحافة الاستقصائية "على درب الحقيقة" الذي أعدته شبكة أريج لوصف أي من هذين النسقين يناسب طبيعة قصصهم وبناء ملفاتهم الرئيسية طبقا لذلك. وشرحنا في الفصل الخامس عشر كيف نبني ملفا رئيساً طبقاً للترتيب الزمني للقصة لأنه الأكثر بساطة. ومن أجل تحويله إلى النمط الملحمي، يمكن للطلاب ببساطة قص ولصق مدخلات الملف طبقا لترتيب تحدّده الشخصيات الواردة في القصة.[٢] تحدث اثنان من المؤلفين باستفاضة عن كيفية القيام بذلك في سجل الصحافة الاستقصائية العالمية [The Global Investigative Journalism Casebook].

إذا ثبتت صعوبة الأمر على الطلاب يمكنك اقتراح النسق التالي عليهم: المنحنى الكوميدي. لوحظ استخدام هذا النسق في التحقيقات الاستقصائية منذ كتب هيربرت جانز مؤلفه "تحديد ماهية الخبر" Deciding What's News" (١٩٥٧) ويمكن رسم هذه المنحنى على السبورة كما يلي:



قد يصر بعض الطلاب على تفضيلهم للصوغ العفوي، تاركين النسق أو البناء يرتفع بشكل طبيعي من المحتوى. وفي هذا الصدد، يجب أن نقر بأن قليلين هم القادرون على العمل بهذه الطريقة، وعلى مدار خبرتنا العملية في الكتابة، لم نصادف سوى اثنين من الصحافيين المقتدرين. والطلاب الذين يتبعون هذه الطريقة، يفعلون ذلك عادة على سبيل التجربة، من أجل متعة تجربة شيء جديد، أو لأنه يبدو أكثر سهولة من عمل مخطط للسرد. في النهاية لن يصبح الأمر أكثر سهولة لأن بناء القصة سينهار بالكامل.

ب- تنقيح الملف الرئيسي

بعد أن يحدد الطلاب النسق المناسب لقصتهم، تأتي الخطوة التالية وهي إعداد المحتوى داخل الملف الرئيسي ليعبر بأحسن صورة عن هذا النسق. إنها مسألة قص ولصق. ويظهر هذا المبدأ أيضا في الفيلم الوثائقي، إذ يتم أولا مراجعة السيناريوهات ثم يتم الإتفاق على تتابع الأحداث قبل أن يتم عمل الإعداد النهائي وبناء التعليق.

بعد ذلك يقص الطلاب المحتوى، لاستبعاد التكرار والحشو الزائد؛ ذلك أن الطلاب يكررون أنفسهم عادة نتيجة افتقادهم للثقة بالنفس، وجراء حرصهم على أن يظهروا لجمهورهم مقدار الجهد الذي بذلوه في سبيل التحقيق. ولكن لسوء الحظ، فإن الجمهور لا يكترث للأمر، فهو يلاحظ فقط أن التحقيق يزيده مللا، لأنه مثقل بسيل من الحقائق التي لا تنتهي. وعلى الطلاب أن يتعلموا استغلال أفضل ما في المحتوى المتاح لديهم مع الاحتفاظ بالبقية على سبيل الاحتياط.

يرجى ملاحظة أنه قبل القيام بأي تغييرات في الملف الرئيسي فإنه يجب على الطلاب الإحتفاظ بنسخة منه تحت اسم جديد. تطبق نفس القاعدة في الحفظ على كل المراجعات على مصادر المحتوى الأصلية. وننصح بإضافة التاريخ إلى اسم الملف حتى يتمكن الطالب من إيجاد نسخة سابقة من ملف ما.

[٢] انظر "ما بعد"، باري يومان، ص ٢٣-٣٥ ومارك شابيرو الصفحات ٧٤-٧٦.

٢- إعادة كتابة الملف الرئيسي

حال الانتهاء من تنقيح الملف الرئيسي بعناية تصبح عملية كتابة مسودة للتحقيق من أبسط ما يمكن. سيقوم الطالب بفتح الملف وحفظه باسم جديد، ويعيد الكتابة من أعلى. ستتوارد الأفكار والتغييرات أو التعديلات مع تقدم الطلاب، وهذا محل ترحيب.

لقد اكتشفنا عبر سنوات من الخبرة أن بعض الطلاب يفضلون الكتابة مباشرة بأسلوب إبداعي في المسودة الأولى ويهتمون بربط الحقائق الواردة في القصة لاحقا، فيما آخرون يوردون الحقائق أولا ثم ينشغلون بأسلوب سرد القصة في المسودة الثانية. لا بأس بالمنهجين. إلا أنه يجب على الطلاب أن يعرفوا أهمية إيراد المراجع الخاصة بالحقائق الوارد ذكرها في التحقيق (راجع ضبط الجودة فيما يلي). ويجب تذكيرهم بأن الصحافيين لا يختلقون الحقائق وأنهم يكتبون بأسلوب صحافي.

لدى الوصول إلى هذه المرحلة، فإن أغلب الطلاب سيتمكنون من القيام بعمل جيد. ومع ذلك هناك بعض الأخطاء التي يكررون ارتكابها. وعلى الأستاذ المحاضر أن يتنبه إليها حيث نقترح عليه منح الطالب أو فريق العمل فرصة مناقشة تلك الأخطاء مع المحاضر خلال ساعات عمله في المكتب أو عبر أي وسيلة أخرى.

- سيسعى الطالب إلى محاولة إثبات فرضية لا تدعمها المادة التي حصل عليها. وفي مثل هذه الحالات، يكتشف الطالب في الأغلب قصة أخرى وراء الحدث، دون أن يدرك ذلك، أو أنه يخشى من الفشل لأن الفرضية الأصلية لم تعد صالحة للإثبات. في هذه الحالة يجب على المحاضر مراجعة المادة وأن يرى بنفسه ما تعبر عنه.، وتكون النتيجة غالبا قصة أفضل بكثير من التي تخيلها الطالب مبدئيا. ومع ذلك قد يتشبث بعض الطلاب بأفكارهم الأولية سواء كانت صحيحة أو مغلوطة. وفي هذه الحالة، يجب ألا يتردد المحاضر في استبعاد هذا العمل لأن إبداء الرأي شيء ولي عنق الحقائق لدعم تصوره شيء آخر.

- عندما ينجح طالب في كشف حقيقي، ولكنه يخشى الكتابة عنه، يكون الخوف أحيانا في اللاوعي أو يكون الطالب غير مدرك له؛ فيرفض إصدار حكم من دون أن يدرك أنه يفعل ذلك. يحدث ذلك عادة لأن مصدرا مسؤولا قام باستغلال الطالب أو ترهيبه. وفي حالات أقل، يكون سبب تردد الطالب في إصدار حكم أو الوصول إلى تقدير ما هو نتيجة نفور غريزي لأن يواجه شخصا ويقول له أن ما يفعله خطأ، وكأن لسان حاله يقول: "من أنا حتى أتهم أحدا"؟ وتكون النتيجة أنهم يرفعون من شأن مصالح أولئك الذين يستغلون المجتمع على حساب مصالح ضحاياهم. (مثال واقعي: بدأت طالبة قصتها بالتالي: "في الخامس عشر من يناير سيغير الاتحاد الأوروبي من التشريعات الخاصة بملصقات الطعام". وأصل القصة الحقيقية هو أن جماعات الضغط التي تعمل لمصلحة منتجي الأغذية في الاتحاد الأوروبي غيرت ملصقات الطعام لجعل الأطعمة التي تضاف إليها كيميائيات تبدو كما لو أنها طبيعية وغير ضارة. ستمثل هذه المرحلة من الفصل الدراسي فرصة للطلبة للظهور وإثبات الذات. وسيواجه آخرون عقبة قد لا ينجحون في تجاوزها أبدا. وأفضل ما يمكنك عمله هو تحديد الخطأ بأقصى قدر مستطاع تسمح به أعراف الثقافة المحلية في مجتمعك.

٣- تطبيق (معايير) الجودة

تزداد ممارسة تدقيق الحقائق ومراجعتها يوما بعد يوم في وسائل الإعلام الدولية. ورغم ذلك فإنها لا تطبق على الإطلاق في العديد من الدول. النموذجان موجودان، كما تشهد القراءة التمهيدية لهذا الفصل وكلاهما يحتوي على أدلة مفصلة للعملية. إذا لم يكن طلابك قد تعلموا شيئا عن هذا الأمر، فسيواجهون صعوبة شديدة في إيجاد فرصة عمل في سوق الإعلام الدولي، وبخاصة سوق العمل الذي يجزل العطاء. الناشرون ورؤساء التحرير في الخارج حذرون جدا من التحقيقات الصحافية التي لا تنجح في اجتياز معايير الاختبارات القانونية المحلية التي يعتمدونها. وتساعد عملية تدقيق الحقائق في اجتياز التحقيقات حسب تلك المعايير.

ويجب تشجيع الطلبة على عمل نسخة من التحقيق تحوي هوامش المراجع التي استخدموها لإنجاز تحقيقاتهم الاستقصائية، وتشتمل على مرجع يوضح كل تصريح صحافي وكل حقيقة من الحقائق التي تتضمنها القصة. كما يجب ذكر التواريخ التي أجريت فيها الحوارات مع المصادر الحية بالإضافة إلى بيانات الاتصال الخاصة بكل مصدر (إلا في حال طلب المصدر عدم ذكر إسمه). ويجب إلحاق الوثائق مع ذكر تفصيلي للمرجع ورقم الصفحة.

كما يجب تشجيع الطلاب على ذكر أي مؤلف أو أعمال تمت الإستعانة بها بشكل مباشر، ذلك أن ممارسة سرقة جهد صحافيين آخرين أصبحت منتشرة وبغيضة. إن من الغباء أن يخاطر الطالب بكسب عداء شخص قد يصبح زميلا أو صديقا بدلا من إطراء جهده. إن الطريقة المشبوهة التي يشير فيها بعض الصحافيين إلى مصادرهم وبشكل خاص الإعتماد على الشائعات، لهو أمر مروع بذات الدرجة. والمثير للدهشة أيضا قراءة تعليقات مستقاة من أحداث لم تقع أصلا. ولكنه لا يكاد يكون مستغربا في مهنة الصحافة.

الخاتمة

لن يصبح كل طلابك صحافيي استقصاء. فقد يمتلك بعضهم الموهبة والشخصية والرغبة والإنضباط لمتابعة هذا العمل، وآخرون سيفتقدون لواحدة أو أكثر من هذه الخصائص. يمكنك أن تنير لهم الدرب، ويمكنك شحذ رغبتهم في هذا اللون من الصحافة، لكن لا يمكنك منحهم الموهبة أو تغيير شخصيتهم في فصل دراسي واحد.

وفي هذا الصدد، يتعامل كل أستاذ مع هذا الوضع بشكل مختلف. وقد جربنا في هذا السبيل نهجين: منح كل طالب في الفصل فرصة متساوية من الاهتمام أو التركيز على أفضل الطلاب فقط. تجربتنا تقول إن أسوأ الطلاب هم الذين يطالبون بأكبر قدر من الاهتمام، وخلصنا إلى أنه لا بد أن نرفض ذلك عند حد معين لا يجب تجاوزه. إن أكبر خطأ يمكن أن نقع فيه كأساتذة، من وجهة نظرنا، هو حرمان أفضل الطلاب من الدعم الذي يحتاجونه من أجل التقدم.

ونحن نأمل أن تساعد في اكتشاف وتدريب مواهب عظيمة. حظا سعيدا.

صحافة البيانات – مقدمة

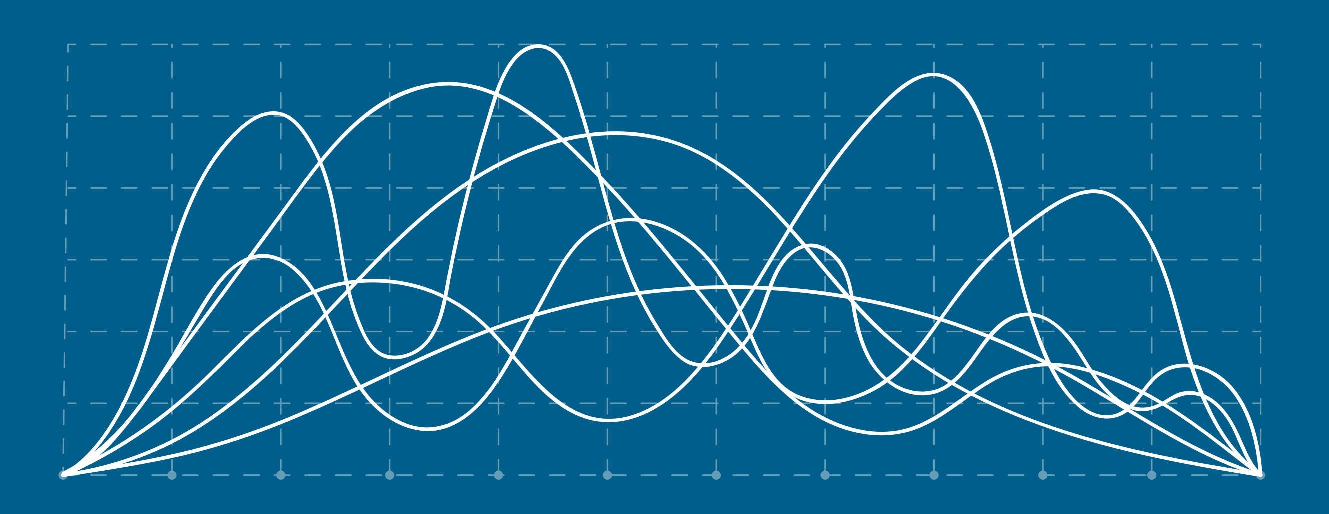
المدة: ثلاث ساعات، ويفضل إدارتها كورشة عمل خلال نهاية الأسبوع.

كتيب صحافة البيانات: دليل شامل لصحافة البيانات، متوفر مجانا على
http://datajournalismhandbook.org/1.0/en/

موارد إضافية قيمة:

صحافة تقودها البيانات: هذا الموضوع متوفر على الموقع الإلكتروني
http://datadrivenjournalism.net/

صحافة البيانات على الجارديان: مقالة مفصلة حول صحافة البيانات في صحيفة الجارديان، متوفرة على
http://www.theguardian.com/news/datablog/2011/jul/28/data-journalism



تعريف

"عندما كانت المعلومات شحيحة، فقد تكرست جهودنا في تعقب المعلومات وجمعها. ومع وفرة المعلومات حاليا أضحت معالجة المعلومات أكثر أهمية. ونقوم بالمعالجة بمستويين: ١) التحليل من أجل استخلاص المغزى والبنية من تدفق البيانات اللامتناهي، و ٢) العرض من أجل إدخال الأمور المهمة والمناسبة في ذهن المستهلك."

– فيليب ماير، أستاذ متقاعد، كما أشير إليه في كتيب صحافة البيانات.

وتعتبر صحافة البيانات إحدى فنون الصحافة التي تقود البيانات فيها القصة الإخبارية. وهي عملية يتم من خلالها جمع المعلومات وتنقيحها وتخيلها بشكل مبتكر، وذلك بربط حكاية جذابة بطرق قد يفشل فيها مجرد السرد.

ولنتطرق مباشرة إلى مفهوم خاطئ: "البيانات" ليست رديفا لـ"الأرقام". البيانات تتألف من حقائق تم أرشفتها وتنظيمها، ويمكن تحليلها لكشف أنماط وهياكل الحقيقة. وقد تتألف الحقائق من أرقام ولكنها قد تتألف كذلك من أحداث وأحكام وأماكن، أو أي تصنيف آخر للمعلومات. وحالما يتم تنظيمها ليسهل تقييمها وتفسيرها فإنها تصبح قاعدة بيانات. وقد احتوى مخزون الوثائق المتعلق بالغزو الأميركي للعراق، والذي سربته "ويكيليكس"،على بيانات بالغة الأهمية حول جوانب عديدة لهذه الحرب، ولكن ينبغي تنظيم هذه البيانات واستجلاؤها وتحليلها قبل أن تصبح قاعدة بيانات منطقية.

ومع ظهور الانترنت وحوسبة ونشر السجلات الحكومية ونتائج البحوث غير الحكومية وأرقام الشركات، فقد أصبحت البيانات الآن متاحة بشكل وافر. أضف إلى ذلك الحجم الهائل للمعلومات الشخصية التي ينشرها الناس بمحض إرادتهم على مواقع التواصل الاجتماعي. مثل صور المصفحات الروسية التي أتاحت للمواطنين الصحفيين في "بيلينغكات" تتبع مسار إطلاق صاروخ من منصة الاطلاق نحو طائرة الخطوط الماليزية، رحلة MH17 . وستفهم حينها السبب الذي يجعل صحافة البيانات فنا صحفيا بالغ الأهمية ومرغوبا فيه بشكل متزايد.

وفي الواقع، فإن الطلب في هذه الأيام يزداد على خبراء البيانات في العديد من المنظمات الإعلامية حول العالم. فلدى كل من الجارديان والـ بي بي سي ونيويورك تايمز فرقها الخاصة من خبراء البيانات. وإضافة إلى ذلك تتطور مؤسسات صحافة البيانات ككيانات مستقلة، حيث تروج القضايا والأخبار العاجلة وتبيع منتجاتها لمنظمات إعلامية كبرى (مثل: جمبستارت Jumpstart في جورجيا، فيجيوالايزينغ بالستاين Visualizing Palestine في لبنان، وبيلينغكات Bellingcat في المملكة المتحدة).

ولكن هذا الفن ليس جديدا تماما، فإعداد التقارير بمساعدة الكمبيوتر (CAR) Computer Assisted Reportiy يمكن اعتباره سالفا لصحافة الاستقصاء. ويعود تاريخ الـ CAR واسع الانتشار إلى الوقت الذي صدر فيه كتاب فيليب ماير "صحافة الدقة" عام ١٩٧٣، والذي نص على استخدام طرق إحصائية مستخلصة من علم الاجتماع من أجل تأسيس معايير صحافية عالية المصداقية والبينات. وبدءا من أواخر السبعينيات، بدأ الصحافيون الاستقصائيون باستخدام مصادر من قبيل البيانات الحكومية حول الإسكان وصكوك الرهن، والتي أتاحت لهم تحليل وكشف خطايا البنوك التي ترتكب في ممارسات الإقراض.

وقام آخرون، مثل دونالد بارتلت وجيمس ستيل بإنشاء قاعدة البيانات الخاصة بهما، ومنها مثلا ما يتعلق بالنظام العدلي، للتأكد ما إذا كان الأميركيون السود أكثر عرضة للإدانة وأكثر حصولا على أحكام بالسجن مددا أطول من أحكام الأميركيين البيض (وقد كانوا كذلك بالفعل). ومع بداية عقد الثمانينيات، أصبحت CAR أكثر أنواع التخصص الصحفي نموا في الصحافة الأميركية، ومحركا قويا للرابطة الوطنية المسماة "رابطة المراسلين والمحررين الصحفيين الاستقصائيين المتحدة". وفي عقد التسعينيات، عندما بدأت الانترنت بتوفير مصادر جديدة للبيانات على نطاق واسع وبصورة ميسرة، قامت الصحافة الاستقصائية بشكل فعال بإعادة تعريف هذا الفن من خلال أساليب وتطبيقات جديدة.

وبهذه الطريقة الجديدة في العمل الصحفي، قد توفر البيانات أدلة عالية الإقناع، كما هو الحال عند (CAR). وقد تكون البيانات بمضامينها وإيحاتها والإدراك الذي تقدمه لموضوعات متنوعة مثل الإنفاق الحكومي (من خلال تحليل الميزانية) أو الجريمة المنظمة (من خلال سجلات الشركات) هي الموضوع الأساسي والقوة الحيوية للقصة الإخبارية. وإلى جانب ذلك، تتيح صحافة البيانات استخدام برامج مؤثرات العرض التي تسمح للصحافيين بسرد القصة بطرق جذابة. وتوفر أدوات مثل الإنفوجرافيك والفيديوغرافيك (البيانات المصورة والبيانات المتحركة) وغيرها أساليب جديدة لتبيان الحقائق والرؤى التي تجسدها القصة، وبطرق لا تستطيع الصحافة التقليدية استعمالها بشكل مباشر.

ملاحظة لعناية الأستاذ المحاضر: بإمكانك قبيل ذلك استخدام أحد الأمثلة لجعل الطلبة أكثر إحساسا بالمفهوم.
راجع *http://boutique.visualizingimpact.org/* وقم بالنقر على *Politicians Salaries and Income Inequality* (رواتب السياسيين وتفاوت الدخل). لاحظ أنه بالرغم من أن استخدام الإنفوغرافيك يستلزم دفع رسم قيمته ٢٢ دولارا، فبإمكانك الحصول عليه مجانا من خلال الانترنت ليتمكن طلبتك من مشاهدته.
في عرض البيانات المصورة (الإنفوغرافيك)، تقارن البيانات المرئية بين رواتب السياسيين حول العالم في صورة بيانات مكتوبة بطريقة بسيطة وجذابة وملفتة للنظر. أطلب من الطلبة أن يتخيلوا قراءة هذه القصة بنص طويل ومفصل. كيف ستبدو؟ ما مدى الإثارة فيها؟ ثم اسألهم إن كانوا سيقرأون مقالا مطبوعا كهذا حتى النهاية.

تقتضي صحافة البيانات القيام بالخطوات التالية:
١- تحديد السؤال
٢- العثور على البيانات
٣- تنقيح البيانات
٤- تصور القصة

وسنتطرق الآن بالتفصيل إلى كل واحدة من هذه الخطوات:

الخطوة الأولى: تحديد السؤال

تعد الصحافة مزيجا من تحقيق العلوم الاجتماعية والصحافة التقليدية معا. فهي تستعير الصرامة العلمية من الأولى، وسرد الرواية من الثانية.

وكما هي الحالة في كلا الحقلين فليس ممكنا البدء بصحافة البيانات بدون وجود سؤال محدد يؤدي إلى الفرضية. وغالبا ما تكون البيانات عبارة عن مجموعة من المعلومات المشوشة، أو المملة أحيانا، وغير الناضجة.

وإذا لم يكن لديك نقطة للبداية أو زاوية تستطيع من خلالها اختبار وتحليل الوثائق والأرقام، فلن يكون لها فائدة ذات قيمة، ولن تؤدي بالتأكيد إلى إنتاج قصص. ومرة أخرى، ينبغي لك أن تعرف ما الذي تبحث عنه حتى تستطيع العثور عليه.

ينبغي أن تكون الأسئلة:

أ) متعلقة بالبيانات التي في متناول يدك أو بالبيانات التي تستطيع العثور عليها (أنظر القسم أدناه لتعرف كيفية تحديد موقع البيانات).

ب) محددة وواضحة: فكلما كانت الأسئلة والفرضيات أكثر وضوحا، كانت الأجابات أسهل.

ج) متعلقة بمواضيع إخبارية: فأنت تريد أن تطمئن أنك تبحث عن موضوع ذي أهمية بالنسبة للقراء، قد يحدث فيهم تأثيرا بشكل مباشر أو غير مباشر، ويحتوي على زاوية إنسانية مثيرة للاهتمام. فلا أحد ينظر إلى البيانات من أجل البيانات

تمرين:

قد لا يتمكن الطلبة من استيعاب هذه الخطوة البسيطة بشكل كامل بدون وجود تمرين حسي. وحتى تقوم بشرح هذا المفهوم بشكل أوضح، قم بعرض صفحة إكسل Excel، تحتوي على أعداد أولية واطلب منهم صياغة أسئلة يمكنهم الإجابة عنها استنادا إلى هذه الأعداد. واسألهم أي القصص يمكن أن تسفر عنها هذه الأسئلة.

وإليك صفحة الإكسل Excel Sheet التي بإمكانك استخدامها:

الدولة	معدل التضخم المتوقع – صندوق النقد الدولي (2015-17)	(معدل التضخم الفعلي (2010-14)	معدل التضخم الفعلي (2014)
أفغانستان	5.00%	12.19%	5.00%
ألبانيا	3.00%	2.51%	3.00%
الجزائر	4.25%	4.45%	4.25%
أنجولا	5.00%	13.36%	6.00%
أنتيجوا وبربودا	2.54%	3.43%	2.76%
الأرجنتين	11.00%	10.36%	11.00%
أرمينيا	4.00%	6.59%	4.00%
أستراليا	1.93%	2.88%	3.20%
النمسا	1.90%	2.89%	1.90%
أذربيجان	6.17%	6.72%	6.50%
البهاما	2.01%	2.78%	2.01%
البحرين	2.00%	1.49%	2.00%
بنغلادش	4.98%	9.46%	6.12%
بربادوس	4.35%	8.02%	4.27%
روسيا البضاء	9.00%	59.31%	20.00%
بلجيكا	1.86%	3.29%	1.82%
بليز	2.50%	1.90%	2.50%
بنين	3.10%	2.91%	3.44%
بوتان	5.38%	7.96%	5.32%
بوليفيا	3.99%	7.04%	4.16%
البوسنة والهرسك	2.40%	2.90%	2.20%
بوتسوانا	6.08%	8.29%	6.34%
البرازيل	4.50%	6.21%	4.50%
بروناي دار السلام	1.34%	1.33%	1.37%
بلغاريا	3.00%	3.25%	3.00%
بوركينا فاسو	2.00%	2.41%	2.00%
بوروندي	5.65%	9.49%	6.10%
كمبوديا	3.03%	4.03%	3.97%
الكاميرون	2.50%	2.65%	2.50%

كندا	2.00%	2.44%	2.01%
الرأس الأخضر	1.99%	3.50%	1.99%
جمهورية أفريقيا الوسطى	2.02%	1.78%	2.01%
تشاد	3.00%	4.31%	3.00%
تشيلي	3.00%	3.71%	3.00%
الصين	3.00%	4.35%	3.00%
كولومبيا	3.01%	3.45%	3.01%
جزر القمر	3.08%	6.79%	2.15%
جمهورية الكونغو الديموقراطية	7.50%	12.64%	8.50%
جمهورية الكونغو	2.57%	4.18%	2.67%
كوستاريكا	4.00%	5.28%	4.50%
ساحل العاج	2.50%	3.50%	2.50%
كرواتيا	3.00%	1.98%	2.80%
قبرص	2.02%	3.05%	2.03%
جمهورية التشيك	2.00%	2.36%	2.00%
الدنمارك	2.17%	2.70%	2.00%
جيبوتي	2.34%	5.21%	2.31%
دومينيكا	1.34%	2.74%	1.91%
جمهورية الدومينيكان	4.00%	7.00%	4.50%
الإكوادور	3.00%	4.37%	3.33%
مصر	7.67%	11.24%	10.25%
السلفادور	2.80%	3.59%	2.80%
غينيا الإستوائية	6.89%	7.36%	7.04%
إريتريا	12.26%	13.23%	12.26%
إستونيا	2.80%	4.78%	2.80%
إثيوبيا	9.33%	22.70%	11.00%
فيجي	3.50%	5.94%	4.00%
فنلندا	2.00%	2.69%	2.00%
فرنسا	1.96%	2.01%	1.85%
الجابون	3.00%	1.49%	2.80%
جامبيا	5.00%	5.09%	5.00%
جورجيا	6.00%	6.64%	6.00%
ألمانيا	2.00%	2.06%	1.90%
غانا	7.51%	8.58%	8.51%
اليونان	1.27%	3.63%	0.61%
غرانادا	2.00%	3.87%	2.00%
غواتيمالا	4.00%	5.80%	4.20%
غينيا	5.92%	20.65%	6.17%
غينيا بيساو	2.00%	4.53%	2.00%
غوايانا	5.52%	5.30%	5.22%
هاييتي	3.58%	7.51%	4.47%
هندوراس	6.01%	6.05%	6.14%
هونغ كونج	3.00%	4.32%	3.00%
هنغاريا	3.00%	4.38%	3.00%

أيسلندا	2.51%	3.97%	2.40%
الهند	4.18%	8.05%	5.32%
إندونيسيا	4.22%	5.37%	4.72%
جمهورية إيران الإسلامية	15.70%	19.75%	15.50%
العراق	4.00%	4.66%	4.50%
أيرلندا	1.78%	0.86%	1.51%
إسرائيل	2.05%	2.39%	2.05%
إيطاليا	1.40%	2.87%	1.20%
جمايكا	6.42%	8.89%	6.42%
اليابان	0.78%	-0.30%	0.44%
الأردن	4.55%	4.68%	5.29%
كازاخستان	6.06%	7.60%	6.38%
كينيا	5.00%	11.53%	5.00%
كيريباتي	2.50%	0.71%	2.50%
كوريا	3.00%	3.60%	3.00%
كوسوفو	1.40%	5.06%	0.95%
الكويت	4.04%	4.38%	3.98%
جمهورية قيرغيزستان	6.00%	12.32%	7.14%
جمهورية لاو الديموقراطية الشعبية	3.95%	7.75%	4.63%
لاتفيا	2.17%	3.14%	2.22%
لبنان	2.00%	4.08%	2.00%
ليسوتو	4.53%	5.00%	5.09%
ليبريا	5.00%	9.03%	5.00%
ليبيا	5.00%	8.30%	5.00%
ليتوانيا	2.28%	3.55%	2.43%
لوكسمبورغ	1.52%	2.98%	1.51%
جمهورية مقدونيا (يوغسلافيا السابقة)	2.00%	2.88%	2.00%
مدغشقر	6.00%	10.34%	8.00%
مالاوي	10.79%	8.01%	11.59%
ماليزيا	2.50%	2.66%	2.50%
المالديف	4.36%	10.05%	7.50%
مالي	4.27%	3.62%	3.92%
مالطا	2.10%	2.68%	2.10%
موريتانيا	5.26%	5.81%	5.85%
مريشيوس	4.40%	5.49%	4.40%
المكسيك	3.00%	4.11%	3.00%
مولدوفا	5.00%	7.93%	5.00%
منغوليا	7.33%	12.70%	8.50%
مونتنيغرو (الجبل الأسود)	1.32%	1.71%	1.32%
المغرب	2.53%	1.54%	2.50%
موزامبيق	5.62%	11.04%	5.60%
ميانمار	5.28%	6.96%	5.28%
ناميبيا	4.50%	5.14%	5.20%
نيبال	5.71%	9.33%	6.61%

هولندا	1.82%	2.00%	1.90%
نيوزيلاندا	2.08%	2.94%	2.37%
نيكاراغوا	6.93%	8.61%	7.00%
النيجر	2.00%	2.05%	2.00%
نيجيريا	7.00%	11.04%	7.00%
النرويج	2.50%	1.46%	2.50%
سلطنة عمان	2.86%	3.74%	2.99%
الباكستان	13.67%	12.54%	12.00%
بنما	4.00%	5.61%	4.50%
بابوا غينيا الجديدة	6.50%	7.06%	6.60%
البارغواي	4.30%	6.08%	5.00%
بيرو	2.00%	3.41%	2.00%
الفلبين	4.00%	3.90%	4.00%
بولندا	2.50%	3.85%	2.50%
البرتغال	1.47%	2.98%	1.55%
قطر	5.00%	1.20%	4.00%
رومانيا	3.00%	5.55%	3.00%
روسيا	6.50%	7.44%	6.50%
رواندا	5.00%	4.30%	5.00%
ساموا	4.00%	1.29%	4.00%
ساو تومي وبرنسيبي	3.00%	12.41%	3.00%
المملكة العربية السعودية	3.98%	5.37%	4.05%
السنغال	2.10%	3.52%	2.14%
صربيا	3.83%	8.65%	4.00%
سيشل	3.14%	2.96%	3.14%
سييراليون	5.43%	17.65%	7.00%
سنغافورة	1.90%	4.75%	2.35%
الجمهورية السلوفاكية	2.80%	3.00%	2.80%
سلوفينيا	2.10%	1.96%	2.00%
جزر سليمان	4.69%	3.94%	4.57%
جنوب أفريقيا	4.73%	4.79%	4.90%
إسبانيا	1.51%	2.61%	1.49%
سريلانكا	6.00%	5.86%	6.00%
سانت كيتس ونيفيس	2.50%	3.15%	2.50%
سانت لوسيا	2.32%	4.50%	2.54%
سانت فنسنت وجزر غرينادين	2.50%	2.80%	2.50%
السودان	13.51%	17.12%	20.30%
سورينام	3.97%	12.82%	3.97%
سوازيلاند	5.06%	6.13%	3.96%
السويد	2.00%	1.27%	2.00%
سويسرا	1.00%	0.46%	1.00%
الجمهورية العربية السورية	غير متوفر	غير متوفر	#VALUE!
مقاطعة تايوان الصينية	2.00%	2.09%	2.00%
طاجيكستان	6.95%	9.58%	6.95%
تنزانيا	5.45%	9.07%	5.43%

تايلاند	2.57%	3.29%	4.37%
جمهورية تيمور الشرقية الديموقراطية	8.00%	13.30%	8.00%
توجو	3.86%	4.21%	-2.04%
تونغا	6.00%	5.35%	6.00%
ترينيداد وتوباغو	4.00%	9.34%	4.00%
تونس	3.50%	3.82%	3.50%
تركيا	5.50%	8.42%	5.50%
تركمنستان	7.00%	5.05%	7.00%
توفالو	غير متوفر	غير متوفر	0.00%
أوغندا	5.00%	9.97%	5.00%
أوكرانيا	5.04%	6.83%	5.04%
الإمارات العربية المتحدة	1.97%	1.04%	1.92%
المملكة المتحدة	2.00%	4.02%	2.00%
الولايات المتحدة	1.87%	2.34%	1.77%
أوروغواي	5.97%	7.76%	5.96%
أوزبكستان	11.00%	12.68%	11.00%
فانواتو	2.98%	2.61%	2.98%
فنزويلا	27.40%	26.20%	28.30%
فييتنام	5.00%	14.94%	5.50%
الجمهورية اليمنية	8.00%	17.61%	10.00%
زامبيا	5.00%	7.55%	5.00%
زيمبابوي	5.01%	4.07%	5.01%

المصدر: مدرسة ستيرن للأعمال/جامعة نيويورك (تموز/يوليو ٢٠١٥)

أدع الطلبة إلى أن يتخيلوا فرضيات يمكن لهذه البيانات أن تساعد في التحقق منها - مثلا، "يكون التضخم مرتفعا نسبيا في الدول التي تشهد تدخلا سياسيا عميقا ومباشرا في الاقتصاد". وإن توفر لديك الوقت، فبإمكانك أن تتابع واحدة من الفرضيات التي يقترحها الطلبة، حاول أن تتحقق منها كليا أو جزئيا من خلال هذه القائمة، وبين للطلبة كيف يبدو سرد القصة ملفتا عندما تكون محددة.

الخطوة الثانية: العثور على البيانات

حالما يتم تحديد الفرضيات فستكون بحاجة إلى أن تعثر على البيانات التي تساعد في الإجابة عنها. ورغم أن من الشائع أن يتذمر الناس بشأن ندرة البيانات في العالم العربي، فعلى شبكة الإنترنت يتوفر عدد غير محدود من المصادر المفتوحة حول المنطقة. بل إنه يمكن الحصول على البيانات حتى من الدول الأكثر استبدادا.

ملاحظة لعناية الأستاذ: قد يجادل الطلبة بالقول إن البيانات الصادرة عن الدول الاستبدادية ليست موثوقة. ولذا يرجى أن تبين لهم بأن تلك قد تكون هي القصة بالضبط. بإمكان طلبة الصحافة والصحافيين استقاء البيانات من حكومة استبدادية ما ومقارنة الأرقام بالإحصائيات الصادرة عن إحدى المنظمات الدولية كالأمم المتحدة أو البنك الدولي، أو المنظمات غير الحكومية. وبذا تكون الفجوة ما بين كلا مجموعتي البيانات هي القصة.

المصادر المفتوحة على شبكة الإنترنت

تضم المصادر المفتوحة على الشبكة ما يلي:

١- المنظمات الإحصائية الوطنية. مثلا: الإدارة المركزية اللبنانية للإحصاءات

٢- الحكومات المحلية والإقليمية والدولية. مثلا: وزارة الإعلام الأردنية، الجامعة العربية، وزارة الدفاع الأميركية، إلخ.

٣- الأسواق المالية الوطنية، مثلا: هيئة الأوراق المالية الأميركية.

٤- السجلات التجارية المختلفة، مثل دار الشركات في المملكة المتحدة.

٥- الشركات المدرجة التي تصدر تقارير سنوية، إلخ

ملاحظة لعناية الأستاذ المحاضر: يرجى التوضيح بأن كثيرا من الحكومات تقوم باستخراج البيانات الخاصة بدول وحكومات أخرى، بغرض المقارنة على الأغلب. وعلى الطلبة ألا يحصروا بحثهم على المصادر الحكومية المحلية.

٦- المؤسسات البحثية: مثلا: الدولية للمعلومات، كتاب الحقائق الدولي لوكالة لمخابرات المركزية، إلخ.

٧- المؤسسات الخيرية والمنظمات غير الربحية (المحلية والإقليمية والدولية). مثلا: اليونسكو، السلام الأخضر، الصليب الأحمر، المركز الدولي لدراسات السجون، إلخ.

ملاحظة لعناية الأستاذ المحاضر: قم بلفت نظر الطلبةإلى أن عددا من منظمات الصحافة الاستقصائية، مثل OCCRP (مشروع الجريمة المنظمة وتقارير الفساد) ، ProPublica، و"أريج"، قد قامت بإنشاء قواعد بيانات لخدمة الصحافيين. ونحن نرحب بطلبتك على وجه الخصوص لاستخدام قاعدة البيانات الخاصة بـ"أريج" والمشاركة فيها.

كيف تقوم بالبحث:

تتوفر معظم البيانات الصادرة عن هذه المصادر على جداول إكسل Excel. وبعضها مطبوع بطريقة الـ PDF. كيف تجد هذه البيانات؟ الإجابة بسيطة: من خلال جوجل وغيرها من محركات البحث. وهنا نذكرك بالخطوات التي ينبغي على الطلبة اتباعها للتأكد من أن بحثهم في جوجل يعطي النتائج المطلوبة، والتي ناقشناها بالتفصيل في ملحق الفصل السابع: البحث المتقدم على الإنترنت.

أ. البحث حسب نوع الملف: يتيح لك جوجل إنجاز البحث بواسطة نوع المستند. أنقر على الكلمة التي تبحث عنها، ثم أضف نوع الملف: xls لنظام إكسل EXCEL، أو fdp لنظام PDF. فمثلا، لو كنت تبحث عن معدلات الانتحار حسب الدولة، فبإمكانك الدخول إلى جوجل، وإدخال مايلي: معدلات الانتحار حسب الدولة ٢٠١٥، نوع الملف slx. سوف تكون النتائج محصورة في جداول إكسل.

ب. البحث في مواقع محددة: لنفترض أنك تود البحث عن معدلات الانتحار الصادرة عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP. ادخل إلى جوجل وأدخل ما يلي: معدلات الانتحار حسب الدولة ٢٠١٥، نوع الملف: xls، الموقع: www.undp.org. ستأتي جميع القوائم التي سيستخرجها جوجل حصريا من الموقع الذي اخترت عنوانه.

طرق بديلة للبحث

ماذا تفعل لو لم يؤد بحثك على جوجل إلى النتائج المرجوة؟ في بعض الحالات لن يجد أحدنا قائمة واحدة تضم المعلومات المطلوبة في مستند واحد. لحل هذه المشكلة هناك بعض الطرق من خلال الخطوات التالية:

أ. حاول أن تعثر على بيانات من أكثر من تقرير وقم بتجميعها بنفسك لإنشاء مستند إكسل شامل. مثلا: إذا لم تستطع العثور على صفحة إكسل تحوي مقارنة لمعدلات الوفاة في العالم العربي، ابحث على الانترنت عن مصادر محلية في كل دولة على حدة، احصل على المعلومات المتوفرة، واجمعها في مستند واحد لتستخدمه كجدول بيانات خاص بك، وكمصدر لبياناتك المصورة (انفوغرافيك).

ب. قم بجمع المعلومات بنفسك إن لم تكن موجودة. مثلا: إن لم تستطع أن تجد مستندا يقارن بين استخدام الفيسبوك وتويتر وانستغرام في مصر، قم بإجراء استبيان تشرف عليه بنفسك للحصول على البيانات. اعمل على حشد المصادر إن احتاج الأمر.

حشد المصادر (Crowdsourcing) هو تمرين تعاوني تساهم فيه مجموعة متنوعة من الزائرين الغرباء غير المطلعين للقيام بمجهود معين - وهو في هذه الحالة جمع البيانات. ويكون حشد المصادر ذا فائدة في غياب البيانات على وجه الخصوص. يقوم شخص ما أو شخصية اعتبارية بإنشاء منصة إلكترونية على الإنترنت (على جوجل درايف Google Drive أو سيرفي مونكي Survey Monkey) تتيح للغرباء التعاون معا في إدخال البيانات التي يجدونها على الإنترنت. ويمكن للمبرمج الذي ينشئ المنصة، أن يتأكد من وجود طريقة للتحقق من صحة البيانات المدخلة والتخلص من الشوارد، من خلال برمجة الكمبيوتر في المقام الأول أو من خلال تصميم الاستبيان. عادة ما يتم الإعلان عن المنصة من خلال منصات الإعلام الاجتماعية لمضاعفة عدد المساهمين المتطوعين.

قم بالبحث في المواقع لاستخراج البيانات في حال عدم توفر قوائم بهذه البيانات. وإن كان لديك مبرمج كمبيوتر فيمكنه مساعدتك في استخراج البيانات (التي لا تتوفر على الإنترنت بنظام إكسل) من بنوك البيانات الحكومية وغير الحكومية والشركاء.

تتضمن المصادر المفتوحة للبحث في المواقع كلا من Google Books Ngram Viewer و Scrapewiki.com هذه المواقع تتيح لك من خلال خطوات ذاتية الشرح أن تستقي البيانات من المواقع التي تعجبك.

ملاحظة لعناية الأستاذ المحاضر: نرجو أن تبين للطلبة بأنهم لن يجدوا في بعض الحالات أية بيانات مهما حاولوا البحث. وهذا يعتبر نتيجة بحد ذاته. حيث أن انعدام المعلومات قد يصبح في الحقيقة هو القصة.

كذلك يرجى إعلام الطلبة أنهم لن يتمكنوا في بعض الحالات من العثور على بيانات موثوقة. وفي حالات كهذه فإن عليهم أن يضعوا النتائج ضمن السياق على النحو التالي:

أ. البحث عن مصادر البيانات (في الحقيقة فإن عليهم القيام بذلك دائما)

ب. استخدام مجموعة بيانات متعددة ومقارنة المصادر. فمثلا بإمكانهم مقارنة سجلات الشرطة التي تحتوي على تقارير حول حالات الاغتصاب مع إحصائيات إحدى المنظمات النسائية. ولأن كثيرات من ضحايا الاغتصاب لا يقمن بإبلاغ الشرطة عن المأساة التي تعرضن لها، فقد نلاحظ وجود فجوة كبيرة بين سجلات الطرفين. في هذه الحالة، استخدم سجلات كلا الطرفين. مرة أخرى، قد يصبح هذا هو قصتك.

الخطوة الثالثة: تنقيح البيانات

عند العثور على صفحات البيانات عليك التأكد من تنقيح البيانات، وهذا يعني أن عليك التخلص من العثرات، والأخطاء المطبعية والفراغات الموجودة على الصفحة والتي قد تفسد حساباتك وتخلق شوارد تشوش قصتك أو تشوهها.

ما الذي تستلزمه هذه العملية؟

لنفترض أن في حوزتك سجلا بجميع الموظفين في وزارة الداخلية المصرية. وتود أن تعرف كبداية نسبة الذكور إلى الإناث. عليك أن تعي أن الذي قام بإدخال البيانات هوعلى الأرجح بشر. وكان عليه، أو عليها، أن يقوم بإدخال مئات الأسماء، إلى جانب تاريخ الميلاد ونوع الجنس والوظيفة. وربما لم يلاحظ هذا الموظف الحكومي في إحدى المرات التي كان فيها منهكا بأنه استعمل كلمتي "ذكر" و "رجل" في نفس الوقت. وفي أحيان قليلة ربما استخدم كلمة "ذك" بدلا من "ذكر" (وهو خطأ مطبعي في هذه الحالة). وسيكون من واجبك أن تنقح البيانات وتتأكد بأن كلمة واحدة فقط تستخدم في تحديد نوع الجنس الذكري. وإن لم تفعل ذلك فستكون النتيجة أرقاما مشوهة ومعلومات غير دقيقة.

كيف يمكن رصد الأخطاء والشوارد؟

إنها عملية بسيطة. أنقر على كلمة "data" (في أعلى صفحة الإكسل)، وستظهر لك قائمة بالخيارات. أنقر على "Filter". ستظهر أسهم صغيرة بجانب كل فئة عمودية على صفحة الإكسل (أنظر الصورة أدناه)

	A	B	C	D
1	Country	Actual inflation rate (201	Actual inflation rate (2010-1	Expected inflation rate- IMF (2015-1
2	Afghanistan	5.00%	12.19%	5.00%
3	Albania	3.00%	2.51%	3.00%
4	Algeria	4.25%	4.45%	4.25%
5	Angola	6.00%	13.36%	5.00%
6	Antigua and Barbuda	2.76%	3.43%	2.54%
7	Argentina	11.00%	10.36%	11.00%
8	Armenia	4.00%	6.59%	4.00%

أنقر على السهم. ستظهر لك جميع الإجابات في الخانة العمودية. وسيتيح لك هذا معرفة إن كانت كل الكلمات العائدة للذكور مكتوبة "ذكر male"، وهل ورد كذلك استعمال كلمتي "رجل man" و "ذكmal "

ماذا تفعل لو وجدت ملفات بصيغة الـ PDF فقط؟

عند العثور على صفحات البيانات عليك التأكد من تنقيح البيانات، وهذا يعني أن عليك التخلص من العثرات، والأخطاء المطبعية والفراغات الموجودة على الصفحة والتي قد تفسد حساباتك وتخلق شوارد تشوش قصتك أو تشوهها.

ما الذي تستلزمه هذه العملية؟

تلجأ الحكومات وبعض المؤسسات الأخرى أحيانا إلى طباعة إحصائياتها على ملفات PDF بدلا من جداول الإكسل. لا يستطيع أي منا تنقيح البيانات الموجودة على ملفات PDF ولا بد من إجراء الحسابات يدويا.

ولتحويل ملف من صيغة الـ PDF إلى قائمة إكسل:

١- افتح المستند في "أدوبي أكروبات Adobe Acrobat"

٢- أنقر على "Export PDF" في الجانب الأيمن

٣- اختر "spreadsheet" كنسق لملفك

٤- إختر "Excel Workbook"

٥- أنقر "Export"

ملاحظة: الموقع التالي يقوم كذلك بتحويل ملفات الـ PDF إلى مستندات إكسل:
www.pdftoexcelonline.com/en/

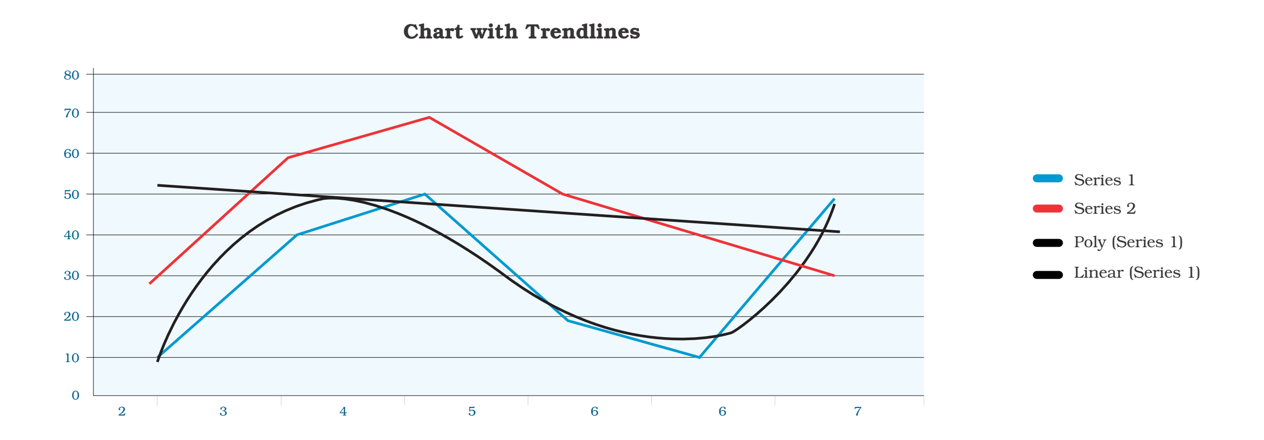
الخطوة الرابعة:

تستلزم الخطوة الأخيرة هذه القيام بمجموعة من الخطوات الفرعية، حيث ستستخدم في المقام الأول سردك للقصة ومهاراتك الفنية. ولكن قبل أن تقوم بسرد قصتك فلا بد من التعريف بها داخل البيانات.

أي أن تجد معنى البيانات من أجل الجمهور، ثم تقوم بجعلها جذابة بصريا لهم.

البحث عن النماذج

حالما يتم تنقيح بياناتك فسيتحتم عليك أن تبحث عن نماذج في البيانات التي تسرد القصة. وكما بينا سابقا، عليك أن تبدأ بطرح سؤال محدد ومناسب للأخبار. وهذا يساعد كذلك على عرض الصور البيانية، مثل تحويل الجداول إلى رسوم بيانية أو خطوط دائرية. وبعد تحويل الأرقام إلى رسومات، يمكنك تحديد الفروقات اللافتة أو النماذج المتماثلة، مثل هذا: (رسم بياني مع خطوط الاتجاه)



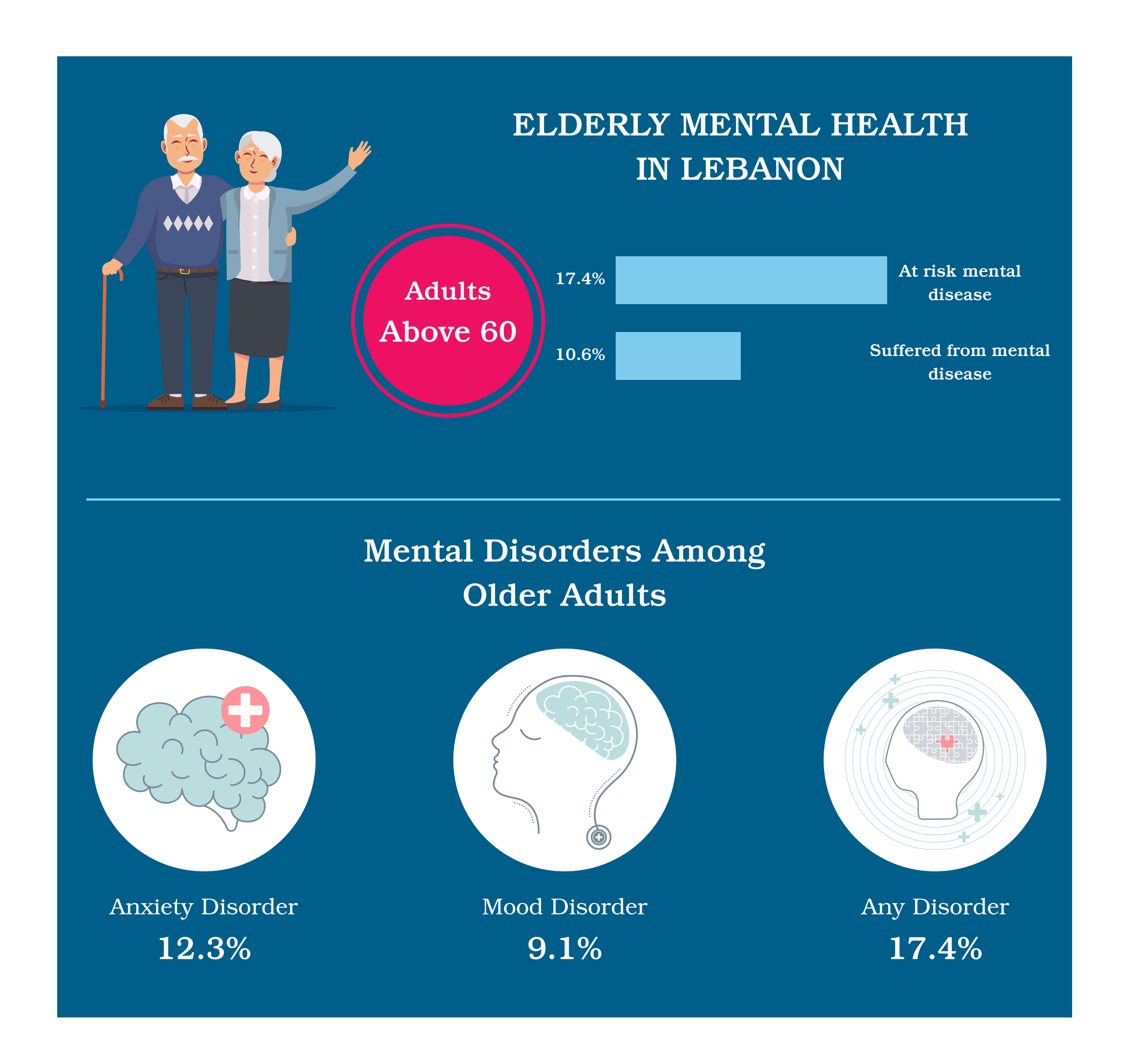
وحالما تشاهد البيانات بصريا، ستتمكن من ملاحظة النماذج وأوجه التشابه والاختلاف بشكل أكثر وضوحا.

وفوق ذلك، بإمكانك إجراء العمليات الحسابية، مثل تجميع معدلات الانتحار في بلاد أوروبية بإضافة الولايات المتحدة، ومقارنة النتيجة بأرقام حالات الانتحار في البلاد العربية.

اختيار الصور المرئية

هناك أنواع عديدة من الأدوات التي بإمكانك استخدامها لتصوير البيانات. وكثير منها متوفرة مجانا على شبكة الإنترنت. وستقرر القصة التي تحددها نوع الأدوات التي ستختارها. وإليك بعض الأمثلة:

- الصور البيانية الثابتة: وهي طريقة جذابة من الناحية الجمالية لعرض البيانات، ولكنها لا تتيح للمستخدمين التفاعل مع المعلومات المصورة ولا تدعم الفيديو. وهذا مثال على ذلك:



تتيـح لـك العديـد مـن المواقـع المجانية إنشـاء بيانـات مصـورة infographic تمثـل بياناتـك. ولـديها قوالب جاهزة تسـتطيع تعديلها لمسـاعدتك علـى عـرض قصتـك بشـكل تصويـري. وهـي مواقـع سـهلة الاسـتخدام وذاتية الشرح. وتتضمـن الأمثلة ما يلي:

www.piktochart.com
http://www.easel.ly/
http://vizualize.me/

- البيانـات المصـورة التفاعليـة: تتيـح هـذه الأداة للمسـتخدمين التفاعـل مـع رسـم البيانـات؛ مثـلا: عندمـا ينقـر المسـتخدم علـى متغيـر مـا (نـوع الجنـس مثـلا) ويختـار فئـة معينـة (أنثـى، مثـلا)، فسيتمكـن من مشاهدة مدى تأثير هذا الأمر على الإناث.

ومـن الأمثلـة المشـهورة هـذا الرسـم البيانـي الـذي يصـور تأثيـر الأزمـة الاقتصاديـة التـي حدثـت عـام ٢٠٠٨ علـى قطاع الوظائـف فـي الولايات المتحـدة. وبسـبب طبيعتـه التفاعليـة يتيـح لـك هـذا الرسـم البيانـي معرفـة التأثيـرات المتفاوتـة لهـذه الأزمـة علـى النـاس مـن مختلـف الأعماروالمسـتوى التعليمـي والعـرق ونوع الجنس:
http://www.nytimes.com/interactive/2009/11/06/business/economy/unemployment-lines.html?_r=0

لاحظة لعناية الأستاذ المحاضر: عندما ترى الطلبة هذا الرسم البياني، دعهم يحاولوا تجربته. واسألهم عن شعورهم نحو البيانات وتفاعلهم معها.

تتيح لك العديد من المواقع المجانية استحداث صور بيانية تفاعلية، مثل:

https://infogr.am/
http://www.dipity.com/

- البيانات المصورة المتحركة: وهي عبارة عن صور بيانية مثبتة فيها، ولها تأثير قوي على المشاهدين، كما تشاهد في المثال التالي: http://guns.periscopic.com/?year=2013

وبدلا من إظهار رقم، والذي قد لا يعني لك شيئا، تعطيك هذه الصور البيانية المتحركة الفرصة لتدرك أهمية الرقم بشكل مرئي.

وتتيح لك بعض المواقع استحداث صور بيانية متحركة. ومن الأمثلة على ذلك:

http://www.dipity.com/
https://venngage.com/

- البيانات المصورة متعددة الوسائط: وهي عبارة عن صور بيانية مدمجة فيها، بالفيديو والصوت والنص. ولها تاثير قوي على القراء والمشاهدين على حد سواء، كما تشاهد أدناه:

http://storybuilder.jumpstart.ge/en/how-can-we-better-manage-the-water-shortage-in-urban-area-in-gela

لاحظ أن القراء في هذه الصورة البيانية متعددة الوسائط يستخدمون كل حواسهم، حيث يتفاعلون مع القصة ويحسون بها.

كما تتيح لك بعض المواقع المجانية أن تنشئ صورا بيانية متعددة الوسائط. ومن هذه المواقع:

https://infogr.am/
http://storybuilder.jumpstart.ge

ملاحظة مهمة: جعل الأرقام قابلة للتعبير

كما ترى في الأمثلة آنفا، وخاصة في البيانات المصورة المتعلقة بالقتل نتيجة إطلاق النار، تحتاج إلى إيجاد طرق مبتكرة لتبين أثر الأرقام على الناس، ولجعل الأرقام معبرة، مثل القصة.

وقد قال ستالين مرة إنك إذا قتلت عددا كبيرا من الناس فسيغدون مجرد أرقام. ولكن صحيفة (بوليتيكن) الدنماركية تمكنت من خلال هذا العرض التصويري الذكي أن تجعل القراء يحسون بالمأساة المروعة التي راح ضحيتها ٤٧٠٬٠٠٠ شخص في سوريا. أنظر:

http://politiken.dk/udland/internationalt940px/ECE3065857/har-du-ogsaa-svaert-ved-at-forstaa-hvor-mange-470000-mennesker-er/

فحتى لو لم تكن تفهم اللغة الدنماركية فستحس بما تحدثه الأرقام من تأثير.

وفي مثال آخر، تقارن الصورة
البيانية استهلاك القهوة في نيويورك ولندن باستخدام الألوان (اللون البني واللون الأبيض المائل إلى الصفرة) لتوضيح النسبة في ذهن القارئ.

https://www.finedininglovers.com/blog/food-drinks/coffee-consumption-london-new-york/

تمرين (داخل الفصل أو كواجب منزلي)

اختر سؤالا واطلب من الطلبة أن يعثروا على المعلومات على الإنترنت، قم بتنقيحها، جد النماذج وقم بعرضها في الصورة البيانية التي صمموها.

